

أدباء..

لكنهم جواسيس

دخلت الجاسوسية عالم الأدب في القرن التاسع عشر، إثر الفضيحة السياسية الخاصة بالضابط الفرنسي دريفوس، التي تابع الشعب أحداثها بشغف كبير من عام 1800 إلى 1890، ما لفت انتباه الكتّاب والناشرين.

وهكذا تناول الروائيون موضوع الجاسوسية في أعمالهم، إلا أن هذا الجنس لم يرق إلى مصاف الأدب إلا بعد الحرب العالمية الثانية. بقيت ساحة أدب الجاسوسية حكرًا على الكتاب البريطانيين زمنًا طويلاً، وأبرز من كتبوا في هذا الإطار عملوا خلال مرحلة من حياتهم جواسيس لبلدهم أو عملاء مزدوجين.


إيان فليمنج


سومرست موم



أولن ستاينهاور


جون لوكاريه

جون لوكاريه ديفيد جون مور كورنويل الذي عاود الكتابة من عالم الجاسوسية بعد 11 أيلول/سبتمبر، وظهر واضحًا في كتاباته موقفه من السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والعالم وتغير عالم الجاسوسية بدخول لاعبين جدد كالشركات الخاصة وتحولات الجواسيس الذين عملوا لمصلحة أنظمة سقطت، ونتيجة للحراك السياسي وما تشهده المنطقة العربية من حروب ازداد الاهتمام بأدب الجواسيس الذي يبلغ قراؤه الملايين.

ويعد جون لوكاريه صاحب عشرات روايات التجسس ذائعة الصيت، ومخترع شخصية الجاسوس الغربي الظريف "جورج سمايلي"، المنخرط أبدًا في معركة حامية الوطيس ضد "كارلا"، الشخصية النقيضة والضابط في الـ KGB. وهو بريطاني سليل الغرب الأوروبي وأحد كبار الأساتذة في التخييل الروائي البوليسي حول المواجهة بين الشرق والغرب. كان لوكاريه لا يزال عميلاً سريًا حين دغدغته غواية الأدب، فكتب أولى محاولاته الروائية، ووقّعها باسم لوكاريه المُستعار الذي أراده غرائبيًا. اشتهر الكاتب أيضًا برفضه للقب "فارس" الممنوح من ملكة بريطانيا، كما اشتهر في الآونة الأخيرة بمواقفه المعارضة لأيديولوجية الهيمنة الأمريكية وحربها على العراق وما يسمى بالإرهاب.

انضم لوكاريه إلى سلاح الاستخبارات في الجيش البريطاني في عام 1950 وكان بمثابة محقق اللغة الألمانية في النمسا، كانت وظيفته تكمن بمقابلة الناس الذين عبروا "الستار الحديدي" إلى الغرب من أجل جمع معلومات استخباراتية منهم.

عمل لو كاريه في السفارة البريطانية في بون وهامبورغ ألمانيا حتى عام 1964، ترك جهاز الأمن السري من أجل الرواية وابتكاره شخصية "جورج سمايلي".

وبعد أن انتهت الحرب الباردة أصدر لو كاريه كتابًا يمكن اعتباره واحدًا من أهم كتبه وهو "الرحلة السرية"، وهو كتاب تكمن أهميته في كونه يلخص بشكل من الأشكال رحلة الكاتب نفسه، مع العمل المخابراتي ومع العمل الأدبي في آن معًا.

ولا يغيب عن بالنا أن لوكاريه: مثل غرين وموم، اشتغل على رفع أدب التجسس من دائرة الأدب الشعبي الترفيهي والمثير، إلى عالم الأدب الروائي الكبير.

ويعد أولن ستاينهاور الكاتب الأمريكي الذي انتقل من كتابة الروايات التاريخية إلى رواية الجاسوسية أبرز كتاب ذلك النوع في الجيل الحالي. كتب ستاينهاور ثلاثية «السائح»، والسائح تعبير أطلقه على القتلة المحترفين الذين يعملون لمصلحة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وتبدأ أحداثها في عام 2001. وينتقل في رواية "عملية القاهرة" الصادرة في 2014 إلى الشرق الأوسط بعد الربيع العربي. حبكة الرواية معقدة وأحداثها تنتقل من الولايات المتحدة إلى بودابست وليبيا لكن معظم الأحداث تدور في القاهرة. تمتلئ الرواية بالشخصيات والأماكن والأحداث وتتميز بالإثارة والخطوط المتشعبة للقص على خلفية الأحداث الكبرى في الشرق الأوسط لكن ذلك يربك الحبكة. (إبراهيم فتحي، الحياة).

سومرست موم الذي ولد في 25 يناير 1874 وتوفي في 16 ديسمبر 1965، روائي وكاتب مسرحي إنجليزي عمل في المخابرات البريطانية ومن هنا كتب روايته الشهيرة "عندما كنت جاسوسًا" التي حققت مبيعات هائلة، وقد عمل جاسوسًا للمخابرات البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى وكان يتلقى الأوامر من كولونيل أوضح في كتابه "عندما كنت جاسوسًا" إنه يكاد لا يتذكر اسمه فكان متنقلاً ما بين فرنسا و سويسرا وإيطاليا وقد اختاره الكولونيل لأن عمله كمؤلف روايات يبرر له تحركاته الكثيرة في القارة الأوروبية.

الروائي الشهير جورج أورويل كان عميلاً لجهاز الاستخبارات البريطاني الداخلي «إم آي 5»، واستخدمت روايته "مزرعة الحيوانات" وما زالت كأداة لمحاربة الشيوعية، حيث ترجمت خلال الحرب الباردة إلى عدد كبير من لغات العالم وأنتجت منها مسرحيات ومسلسلات إذاعية بثت بلغات مختلفة للتحريض ضد الاتحاد السوفيتي.

وقد تعاون غراهام غرين الروائي وكاتب القصة والمسرحية والصحافي مع المخابرات البريطانية أو مكتب (إم 16)، مع اندلاع الحرب العالمية الثانية وكان رئيسه المباشر الجاسوس والعميل المزدوج كيم فيلبي. وقد ساعده حبه للسفر والمغامرة والمخاطر على القيام بمهامه في العديد من البلدان ليستقيل من دوره التجسسي عام 1944. ويعزو البعض سبب استقالة غرين، لتفادي الشهادة ضد صديقه كيم فيلبي الذي تبين بأنه عميل مزدوج لصالح الاتحاد السوفيتي.

الروائي البريطاني إيان فليمنج، ضابط المخابرات البحرية البريطانية في الحرب العالمية الثانية، اشتهر بتأليف سلسلة روايات جيمس بوند أو 007، الذي كان بطل 12 رواية وتسع قصص قصيرة، مع بيع ما يزيد على 100 مليون نسخة من أعماله في مختلف بلدان العالم.

وأول رواية صدرت له حملت عنوان (الكازينو الملكي) عام 1953، وبطلها العميل السري جيمس بوند. ومكنه نجاح رواياته في بريطانيا أولاً ولاحقًا في الولايات المتحدة، نال التقاعد في نهاية الخمسينيات واستقر في جامايكا.

إريك جوردان أحد ضباط المخابرات الأمريكية الذين عملوا في الشرق الأوسط، وكان قبل تقاعده مسؤولاً عن عمليات الاستخبارات CIA الأمريكية في الشرق الأوسط قام بتأليف رواية "العملية هيبرون" تروي أحداثًا عن الصراع الاستخباري بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

والذي يحكي كيفية زرع جاسوس إسرائيلي في البيت







الأبيض. هذا العميل ليس كبير الموظفين أو طباخ الرئيس أو سكرتير الرئيس، بل جورج جونسون نائب الرئيس الذي يجري إعداده ليكون رئيس الولايات المتحدة القادم عبر توفير كل فرص نجاحه في الانتخابات الرئاسية.

وإذا كان نجاح الأدب بشكل عام يكمن في أحد محاوره على عنصر التشويق المستلهم من الفضاء اللانهائي للخيال، ففي أدب الجاسوسية يكاد يكون هذا هو العنصر الرئيسي والأكثر أهمية على الإطلاق، حتى أنه ومن وجهة نظر النقاد قد يأتي على حساب التقنيات الفنية، مثلما هو الحال في أدب الجريمة. ولقد حقق "إريك جوردان" نجاحًا منقطع النظير في توظيف عنصر التشويق، بل والمفاجأة في رائعته "العملية هيبرون" . وقد انتابت ملايين القراء حالة من الذهول حين اكتشفوا أن عميل الموساد ما هو إلا جورج جونسون نائب الرئيس والذي أطلق عليه الموساد اسم هيبرون وكلمة "هيبرون" تعني في العبرية مدينة الخليل.

وكتب الروائي البريطاني لين ديتون Len Deighton روايته ملف إيبكريس الذي حقق من ورائها شهرة كروائي. ورواية "ملف إيبكريس" وهي رواية جاسوسية حولت لفيلم سينمائي من بطولة مايكل كين . ولد لين ديتون في 18 فبراير 1929 في ماريلبون في لندن، وكان والده سائقًا وميكانيكيًا، وكانت والدته طباخة. وهو ومؤرخ عسكري بريطاني وكاتب سيناريو، وكاتب مسرحي، وكاتب خيال علمي.

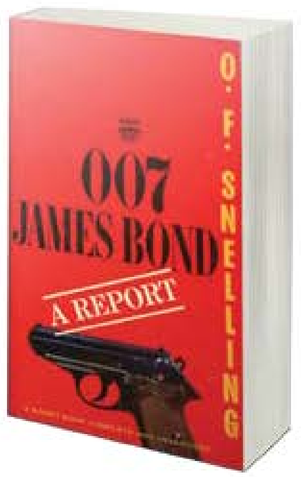
وقد زرع حب روايات الجاسوسية ما شاهده وهو صبي في الحادية عشرة من عمره، وهو اعتقال آنا فولكوف، وهي مهاجرة من أصل روسي عملت جاسوسة لصالح النازيين.

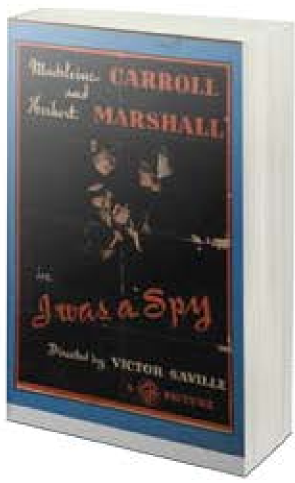
الروائي البرازيلي باولو كويلهو أخرج في روايته الجديدة "الجاسوسة" من الأرشيف الخبر الصحافي الذي وثق إعدام ماتا هاري رمياً بالرصاص سنة 1917، وكيف أن مجلس الحرب الثالث في باريس كان قد حكم عليها بالإعدام بتهمة الجاسوسية والأعمال الاستخباراتية لصالح العدو الألماني.

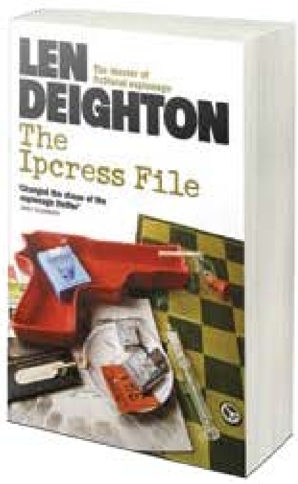
تناول شرارات ممهدة للحرب العالمية الأولى، والكراهية التي كانت في تصاعد قبل اندلاعها، وكيف أنه كان هناك في كل طرف من ينتقص من الآخر بطريقة شعبوية، دافعًا الأحداث إلى التفجر ، وكيف أن حفنة من الضباط كانت تقود ملايين البشر إلى الموت والجوع والحرب.

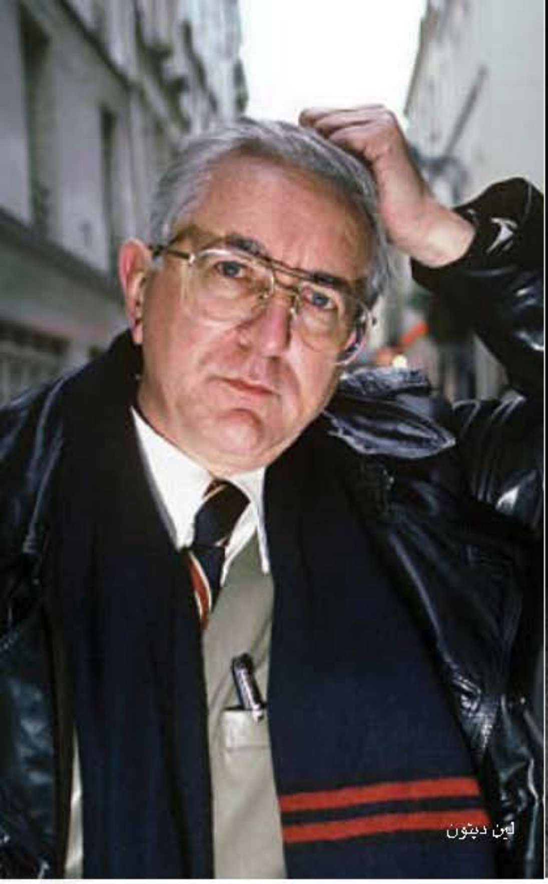
أحيا كويلهو المرأة الهولندية التي اشتهرت باسم ماتا هاري؛ والتي ألهبت مسارح باريس ومدنا أوروبية عديدة في بدايات القرن العشرين، والتي كانت قد وصلت إلى درجة من اليأس دفعتها للاتفاق مع القنصل الألماني في هولندا على أن تزوده بالمعلومات والأخبار من فرنسا، وكان قد اختير لها اسم حركي تعريفي يرمز إليها لتوقع به رسائلها التي يفترض أن تكتبها بالحبر السري، تنقض اتفاقها معه، وتخبر الجانب الفرنسي بذلك، ويبدأ الجميع يشكك بها، ويعتبرها عميلة مزدوجة، ويتم إعدامها بناء على الظنون والشكوك.

اشتهر المؤلف البريطاني إيريك كليفورد آمبلر برواية قناع ديمتريوس والتي نشرها عام 1929، نشرت في الولايات








لين ديتون


إيريك آمبلر


كين فوليت

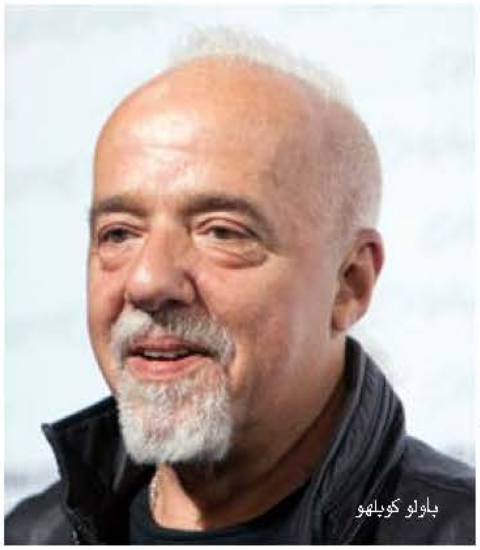
المتحدة بعنوان "كفن ديمتريوس"، وقد حوّلت إلى فيلم سينمائي عام 1944، و "ضوء النهار" (1962) التي حولت لفيلم توبكابي (1964).

ولد في 28 حزيران/يونيو 1909 وتوفي في 22 تشرين أول/أكتوبر 1998، وهو مؤلف بريطاني مرموق، اختصّ بروايات الرعب والتشويق، وتحديدًا روايات التجسس، قدّم واقعية جديدة لهذا النوع الفني. كما عمل ككاتب سيناريو واستخدم اسم مستعار إليوت ريد لكتبه التي ألّفها بالتشارك مع تشارلز رودّا.

الروائي الأمريكي توم كلانسي كتب روايته الأولى "The Hunt For Red October" مطاردة أكتوبر الأحمر في عام 1984 عندما كان في السابعة والثلاثين من عمره، قدّمت الرواية على فكرة انشقاق طاقم لغواصة روسية حيث تدور الأحداث داخلها بطريقة مشوقة، لم يعرف أنها كانت كافية لتصدّر قائمة الكتب الأكثر مبيعًا في صحيفة نيويورك تايمز

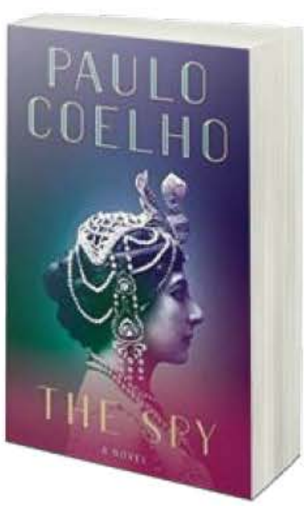



توم كلانسي


باولو كويلهو

الرسمية بعد أن صرّح الرئيس الأمريكي "رونالد ريغان" حينها بأن صياغة كلانسي للسيناريوهات العسكرية متينة لدرجة أنها توهمك بواقعية أحداثها، وبعد إنتاج ذلك الكتاب بمدة بسيطة أصبح الكتاب من الوجهات العسكرية المفضلة لدى الجيش الأمريكي، حتى أن بعض كتاباته اللاحقة قد دخلت مناهج الأكاديميات العسكرية رسميًّا في الولايات المتحدة. طبعت كتاباته لأكثر من 50 مليون نسخة حول العالم، وقد تم تحويل مجموعة منها إلى أفلام ضخمة.

الروائي البريطاني كين فوليت هو مؤلف روايات جاسوسية، وقد بلغت مبيعات أعماله أكثر من 100 مليون نسخة. أربعة من كتبه وصلت إلى رقم 1 في قائمة أفضل الكتب مبيعًا لنيويورك تايمز، منها مفتاح ريبيكا، الثلاثي، وعالم بلا نهاية. كما يعد كتاب "دعامات الأرض" أحد أشهر أعماله، و"الرجل القادم من سانت بطرسبورغ".





كيف غيرت نهاية الحرب الباردة روايات الجاسوسية؟

عندما هوى جدار برلين، لم تعد روايات الجاسوسية كما كانت من قبل. فقد آن الأوان لكتّابها ليبحثوا عن أعداء جدد، كما تقول الكاتبة الصحفية جين سياباتاري.



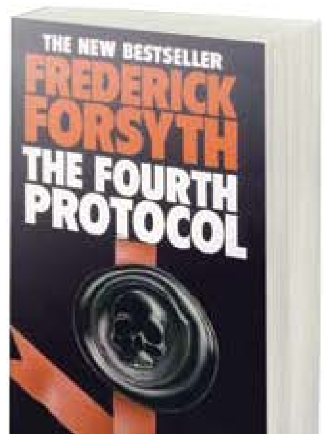
وفرت الحرب الباردة خلفية مناسبة لروايات الجاسوسية. فأعلام الأعمال الفنية حول الجاسوسية، أمثال جيمس بوند، وجورج سمايلي، وهاري بالمر، واجهوا خصومهم الشيوعيين في لعبة شطرنج دولية في خطوات محسوبة بدقة، وأهداف شديدة الوضوح، انطوت على مخاطر وانجازات.

أضفى الخداع والخيانات مزيداً من التعقيد على الموضوع، لكن الأعداء كانوا واضحين ومحددين. فهناك ضابط الاستخبارات البريطاني "سمايلي" في مواجهة نظيرته كارلا من جهاز الاستخبارات السوفيتي الكي جي بي. ويتمثل ذلك في فكرة "نحن" مقابل "هم".

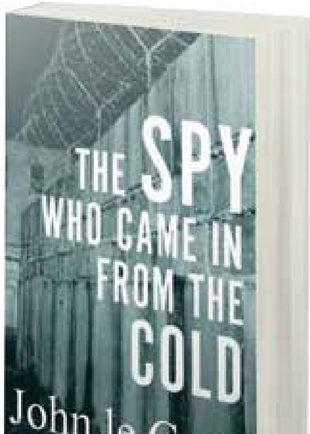
يقول كاتب روايات الجاسوسية أولين ستاينهاور: "خلال الحرب الباردة، أي قارئ لرواية عن الجاسوسية كان يفهم ما يدور فيها من صراعات على تنوعها، فهي تكون في العادة الشرق مقابل الغرب، أو أن البطل في مواجهة الفساد السياسي، أو الغربيون الجشعون يدمرون نظامهم بأيديهم."

كما تمكن قراء روايات الجاسوسية إبان الحرب الباردة من التعرف على العملاء المزدوجين كما ورد في رواية فريدريك فورسيث (البروتوكول الرابع)، والشعور بالذهول من عمليات غسيل الدماغ كما في رواية ملف ابكريس لدايتون.

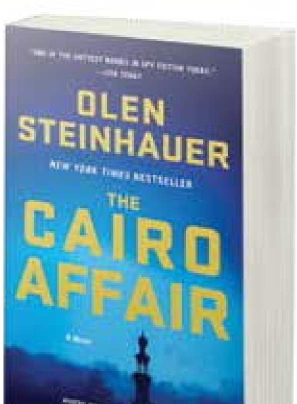
لقد قدم لنا أعمال الجاسوسية في صورة الجاسوس البشري، دون استعمال الأقمار الصناعية وأنظمة التعقب المزودة بها أجهزة الهاتف النقال، كما نراه في أفلام رعب التكنولوجيا المتقدمة. وفي روايات الماضي، عانت الشخصيات التي أوردها الكتاب والمؤلفون من الضغط النفسي والجسدي.



رواية (البروتوكول الرابع)



رواية (الجاسوس الذي أتى من البرد)



روايه (كايرو أفير)



الروائي البريطاني إيان فليمنج، ضابط المخابرات البحرية البريطانية في الحرب العالمية الثانية، اشتهر بتأليف سلسلة روايات جيمس بوند أو 007

فكان جيمس بوند على شفير الانهيار العصبي عندما قتلت عروسه الجديدة في فيلم "أنت تعيش فقط مرتين".

وتنتهي رواية (الجاسوس الذي أتى من البرد) بصورة مدمرة لما تتركه السنون من أثر على العملاء المزدوجين الذين يبررون أفعالهم التي تتعارض مع قيمهم الأخلاقية.

بيد أن هناك ما يثير البهجة أيضًا، كالعشاء في مطاعم فاخرة، وبعض المواقف الرومانسية، والزيارات الطويلة إلى أقاصي الأرض، بما في ذلك بلدان خلف الستار الحديدي.

وقد فرض انتهاء الحرب الباردة ضرورة أن يجد الروائيون أعداءً جددًا. يقول كاتب روايات الجاسوسية جوزيف كانون: "عندما انتهت الحرب الباردة فقدنا خصمًا مثاليًا".

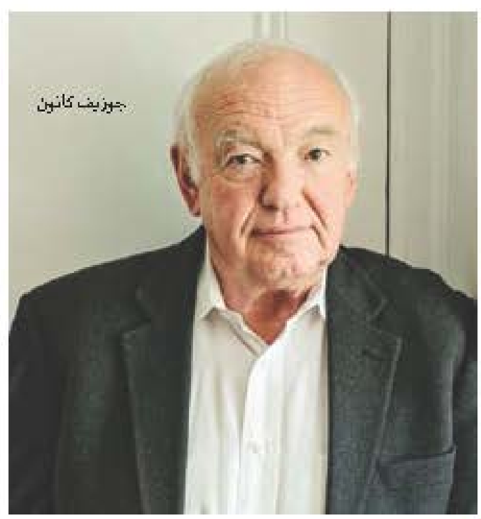
لم يعد بإمكان الكتاب الاعتماد على مسألة القطبية السهلة في الرواية، مع وضد، بريء ومظلوم، معتد ومحب للسلام... إلى آخره."

ويقول ستاينهاور الذي تركز روايته الثلاثية "ميلو ويفر" على العلاقات بين الولايات المتحدة والصين: "تبقى روسيا قائمة ولكنها دولة قائمة على الاختلاسات".

ومن أوجه انتهاء الحرب الباردة ظهور عدد من الصراعات الوجودية. ويضيف ستاينهاور: "الارهاب وجد كموضوع خلال الحرب الباردة، ولكن الآن، بالطبع أصبح مصدرًا أساسيًا لرواية الصراع. كما أن العلاقات المعقدة بين دول الشرق الأوسط والمتشددين الدينيين تشكل مادة للرواية. الفساد السياسي الداخلي لا يتلاشى، لكن العلاقات الأمريكية مع الدول الأوروبية باتت أكثر تعقيدًا."

ويضيف: "إن بروز المسح والمراقبة الإلكترونية وخلع صفة البطل على من يقرع جرس الإنذار، أو يوصل معلومة تنذر بحدوث أمر ما قبل وقوعه، كل هذه الأشياء تشكل مواضيع مميزة."

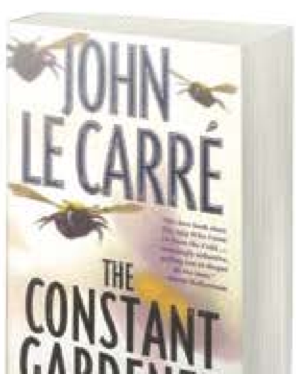
لقد أرخ ستاينهاور في روايته "كايرو أفير" (أو علاقة القاهرة) التي نشرها عام 2014 للأحداث في كل من مصر ما بعد مبارك وليبيا بشكل مواكب للأحداث تقريبًا، خلال الربيع العربي.



جوزيف كانون



رواية "المطلوب الأول الأكثر أهمية"



رواية "البستاني الدائم"



النظام العالمي الجديد

بعد عام 1989 كان الوقت قد حان لإعادة التفكير بالكامل في لعبة الجاسوسية كما ترد في الروايات. بعد انهيار سور برلين قال جون لا كاريه للنيويورك تايمز: "كتبت دائمًا عن أناس يئنون تحت وطأة الثقل الأخلاقي للحرب الباردة، ويتوسلون للتخلص من هذه المعاناة".

وأضاف: "أنا في غاية السعادة مع وجود حزمة جديدة من المواضيع".

وقد تعامل مع هذه الحزمة الجديدة في كتاباته متعرضًا لتجارة المخدرات الدولية، والمافيا الروسية، وغسيل الأموال، وفساد الشركات. رواية "البستاني الدائم" (أو The Constant Gardener) التي كتبها عام 2001 تدور أحداثها عن الفساد والتحلل والنهب فيما كان يعرف بكينيا البريطانية.

وتناول فيها شركات الأدوية التي تستخدم المواطنين في البلدان النامية كفئران تجارب لاختبار ما تصنعه من أدوية.

سرعان ما كتب لا كاريه عن الحرب العالمية على الإرهاب وعن عملاء أمريكا وحلفائهم البريطانيين الذين يبررون التعذيب والتسليم القسري غير المعتاد للمشتبه بهم، كما ورد في روايته لعام 2008 بعنوان "المطلوب الأول الأكثر أهمية".

وتحمل شخصيته الرئيسية توبي بيل، النجم الصاعد في السلك الدبلوماسي البريطاني الذي يبحث عن "الهوية الحقيقية لبلده في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وانتهاء عصر الاستعمار"، تشابهاً مع ادوارد سنودن.

فريدريك فورسيث كذلك اتبع عناوين الصحف، وما يتداول في وسائل الإعلام، فقد كتب روايته "قبضة الحرب" عام 1994 أثناء حرب الخليج الأولى.

المخابرات المركزية الأمريكية CIA والبريطانية MI6 والباكستانية ISI حاربوا جميعهم تنظيم القاعدة في روايته (الأفغان) لعام 2006.

وهناك رواية (قائمة قتل) لعام 2013 التي تتناول "داعية" يعظ عبر الإنترنت ويدعو المتشددين المسلمين إلى اغتيال قادة بريطانيا والولايات المتحدة.

بعض الكتاب اختاروا أن يؤلفوا رواياتهم عن الأحداث اليقينية التي جرت في الماضي، إبان حقبة الحرب الباردة، أو حتى إبان مراحل تاريخية سبقت الحرب الباردة، بدلاً من تحديثها لتتناول أحداث الوقت الحاضر التي لا يزال يغلفها الغموض.

أفلام الرعب التي يكتبها ألان فارست عن الغلاف الجوي (بلغت 12 حتى الآن، أحدثها فيلم منتصف الليل في أوروبا) تدور أحداثه خلال الثلاثينيات والأربعينيات، عندما وحد العملاء السوفيت والغربيون جهودهم لصد تصاعد الطاغوت النازي.

ويركز جوزيف كانون على الحقبة التي تلت الحرب الباردة مباشرة، من خلال روايته (الجاسوس الضال) عام 1998، ورواية "الألماني الطيب" (ذا جود جيرمان) عام 2001، معتبرًا أن عام 1945 "وقت مفصلي، يشكل بداية العالم الذي نعيش فيه الآن".

وشهدت رواية "من أجل عبور اسطنبول" لعام 2012 تحولاً إلى مدينة محايدة قرب منطقة البلقان، وهي مكان مثالي للتنصت، وتعد قبلة للجواسيس ومنطقة انطلاق رئيسية لعمل المخابرات الإسرائيلية الموساد للمساعدة على إنقاذ اليهود الأوروبيين المحاصرين.

قد تكون الحرب الباردة مصدر إلهام لا مثيل له لروايات التجسس، لكن جوهر روايات التجسس لم يتغير. القراء يتوقعون أبطالاً واضحين يتصدون لأعداء خارجيين، لكن ما تغير للأبد هو وضوح اللونين الأبيض والأسود في طبيعة الحرب الباردة، بمعنى أن تفاصيل الصراعات الدائرة على الساحة العالمية باتت أكثر تداخلاً واختلاطًا.

يقول ستابنهاور: "جواسيس اليوم أكثر تناقضًا، إذ يقومون بعملهم بقدر من القلق المحسوب، ويتعاملون مع العبء الأخلاقي، أي مع الحيلة والكذب التي تتطلبها الوظيفة".

القراء أصبحوا معتادين على رؤية العيوب في نظامنا، وفي أنفسنا، بفضل الصور المتشككة التي رسمها كتاب روايات الجاسوسية إبان الحرب الباردة.

هذه الحقبة التي حددت بوضوح من هم "الأبطال" ومن هم "الأوغاد" أفسحت الطريق لما نراه اليوم من الخطوط غير الواضحة، وتغير الولاءات، والغموض. (How the end of the Cold War changed spy fiction, Jane Ciabattari, 7 November 2014, BBC)



كيف يكتبون؟

> ثمة من يكتب عنوانًا قبل النص ومن يكتب نصًا، لا يعثر له على عنوان إلا بعد جهد، وهكذا تتداعى تلك الطقوس المتباينة، لدى كل واحد، لتصب في النهاية في أعمال إبداعية، نقرأها ونشيد أو لا نشيد بها.



د. أمير تاج السر
كاتب وروائي سوداني

من الأسئلة التي تتكرر دائمًا، ويكاد يسأل عنها كل من له علاقة مباشرة بالكتابة، سواء أن كان شاعرًا أو قاصًا، هو سؤال الطقوس، ذلك الذي يسعى لاستنطاق لحظات الكتابة عن المبدع، ومعرفة أي الأشياء تدفع للكتابة، وأيها يبعده منها، وكيف يصيغ العالم المتخيل، في نصوص وعوالم كبيرة، وهو جالس؟

سؤال الطقوس، سؤال مشروع في رأيي ومهم أيضًا وينبغي إدراجه حين يقوم أحدهم بدراسة كاتب ما، في تلك الرسائل الجامعية التي تكتب دائمًا لنيل درجات علمية، فأنا يخصني جدًا أن أعرف كيف كتب جيمس جويس رائعته "عوليس"، وفي أي بؤس، ووحشة كتب همينغواي أعماله الخالدة، وهل يذهب أورهان باموق مثلاً، إلى أي مقهى في شارع الاستقلال الضاج لكتابة نصوصه، أم يبدعها في مكتب مغلق؟

وهكذا، حين يلم القارئ بالكاتب، أي يقرأ له أعمالاً إبداعية، ويضيف إلى معلوماته شيئًا من سيرته ومغامراته الكتابية، يتم فهمه أكثر، وأظنني بهذه الطريقة، فهمت كتّابًا عديدين كنت أقرأ لهم وتعجبني ما يكتبون، ومكتبتي سيرة بول بولز، المسماة "بدون توقف"، والتي قرأتها مؤخرًا، من الإلمام بجوانب كثيرة مهمة، من طقوس كاتب "السماء الواقية"، إحدى الروايات المدهشة، التي لا تغيب أبدًا عن الوجدان.

بالنسبة لطقوس الإيحاء والكتابة، فهي بالقطع تختلف من كاتب لآخر، هناك من يستوحي من أي شيء بما في ذلك قرصة الجوع لمصاريته، وجفاف لسانه من شدة العطش، ومرور فراشة ترنح بالقرب من عينيه، وهناك من لا يستوحي إلا من أشياء ضخمة، مثل المعارك، والزلازل والفيضانات، وتشرد الناس في الأرض، ومن لا يريد إيحاء ولا يبحث عنه، وتأتيه الكتابة طواعية، وهو جالس في عزلة تامة.

وتأتي مسألة الكتابة نفسها، أي ساعات الكتابة نفسها، وكيفية إنجازها، وتحت أي ضغط أو شحنة؟ ويأتي الاختلاف الكبير، بين المبدعين، وقد تحدثت مرة عن كتاب "طقوس المبدعين"، الذي جمعه الكاتب السعودي

عبد الله ناصر الداوود في جزأين راثدين لمن أراد أن يلم بعوالم لا يعرفها عن الكتابة، أو يعثر على إجابة السؤال المطروح، دائمًا: ما هي طقوس الكتابة؟

لقد اجتهد الكاتب حقيقة في جمع مادته الفنية بصبر، أشبه بصبر الباحثين الأكاديميين، وعلى مدى أشهر، حتى استطاع في النهاية أن يمنحنا شيئين: أولاً متعة القراءة لكتاب مختلف عن بقية الكتب المتراصة في مكتباتنا، أو أذهاننا، وثانيًا لمحات لعالم إبداعي نعرف صناعه جيدًا من خلال قراءتهم كتبًا، ولا نعرف كيف يصنع ذلك العالم.

فأنت حين تقرأ رواية مثل "مائة عام من العزلة" تصيبك الدهشة، من وجودها أمامك كاملة وناضجة، ولا تستطيع أن تتخيل كم بقيت على نار الكتابة حتى تنضج وتدهش، وماذا كان يرافق كتابتها من فوضى أو نزق أو احترام، تهتم بالعمل الإبداعي حقيقة، ولا تنظر إلى ما وراءه، وتأتي فكرة عبد الله ناصر الداوود، في اعتقادي نوعًا من التواصل غير المباشر مع الكاتب، حين يمنحك طقوسه أثناء الكتابة.

القارئ للكتابين، لا يجد صعوبة في الدخول إلى كل طقس والخروج منه، وقد كتبت كل الطقوس بطريقة سلسة وسهلة، وفي الغالب هي لغة الإبداع نفسها التي يستخدمها الكاتب في نصوصه، وقد كان لكل كاتب من الذين شاركوا، طقوسه الخاصة التي ربما تتفق مع كاتب آخر، وربما تختلف معه كما ذكرت، لكنها في النهاية كلها، شهادات جديرة بالتأمل، وعمل توثيقي لا يجب أن يعبر مثل أي عمل آخر، وإنما يراجع باستمرار.

الذين شاركوا سواء كانوا من العالم العربي أو العالم البعيد اتفقوا تقريبًا في أن لهم طقوسًا أثناء الكتابة، فقط اختلفوا في مسألة الاحتراف الكتابي المفقودة بالطبع في عالمنا العربي، فمعظم كتابنا ليسوا متفرغين، ولا يمكن أن يتفرغوا في الوقت الحاضر، لذلك تجد الكاتب العربي سارقًا حقيقيًا للوقت، يسرقه من ساعات عمله الرسمي الذي يعتاش منه، ويسرقه من هدوء عائلته وواجبات أبنائه، ويظل هكذا حتى يحترق في النهاية، بينما الكاتب الأوروبي يعرف تمامًا حاضره الذي يكتب فيه، ويستطيع أن يتكهن بلا عناء، بمستقبله ومستقبل عائلته كلها.

كتّاب يحبون الكتابة في الليل، آخرون مثلي، يخاصمون ليل الكتابة ويحبون ساعات النهار، كتاب تستهويهم الخلفيات الموسيقية ويجدون فيها إيحاءات شتى، آخرون تجرح الموسيقى أفكارهم، تشردها، البعض يكتب في المقاهي والطرقات المزدحمة، والفنادق الضاجة بالنزلاء والتدخين، البعض الآخر يكتب في بيته، في غرفة مغلقة.

ثمة من يكتب عنوانًا قبل النص ومن يكتب نصًا، لا يعثر له على عنوان إلا بعد جهد، وهكذا تتداعى تلك الطقوس المتباينة، لدى كل واحد، لتصب في النهاية في أعمال إبداعية، تقرأها وتشيد أو لا تشيد بها.

"الذين شاركوا سواء كانوا من العالم العربي أو العالم البعيد اتفقوا تقريبًا في أن لهم طقوسًا أثناء الكتابة، فقط اختلفوا في مسألة الاحتراف الكتابي المفقودة"

"بالنسبة لطقوس الإبداع والكتابة، فهي بالقطع تختلف من كاتب لآخر، هناك من يستوحي من أي شيء بما في ذلك قرصة الجوع لمصارينه وجفاف لسانه من شدة العطش"

رُقْيَةُ مدينةٍ مَسْكُونة

صديقي
سلامٌ عليكَ
سلامٌ على صَحْبكَ الطَّيِّبينْ
سلامٌ على قبلة الحبِّ والشِّعرِ والياسمينْ
سلامٌ
يطلُّ ضحىً من بياضِ الشَّواطئِ من ساحلِ المتعبينْ
صديقي
قُم اقْرأْ
قُمَ اقْرأْ
قُمَ اقْرأْ بفاتحة الحُسْنِ
واَسلكْ طريقَ التَّبَاريح
حتى تعودَ الجراحُ إلى نهـرها
والرياحُ إلى نحرها
والحمامُ إلى ثغرها

قف بقارعة الشَّهد حينًا من الدَّهْرِ
رَدِّدْ على سَمْعها : "قُلْ هُوَ اللّه"
ثُمَّ أَعذْها بربِّ السَّمَاوات منْ كُلِّ داءٍ دَفينْ
وَمَنْ كُلِّ لصٍّ أمينْ
ورتِّلْ على نارها آيةً محرقةْ
لنا في المدينة ..
بابٌ يقومُ على فكرةٍ مُغْلَقةْ
لنا في المدينة ..
وجهٌ غريبٌ ينامُ على لغةَ المشْنَقَةْ
ويصحو على لغةَ المشنقةْ
فقطْ تحتوينا السَّماءُ بزينتها
في المدينة بحرٌ بخيلٌ
وحزنٌ يَمُرُّ على خَجَلٍ
ربَّما
يسرقَ الضوءَ والأغنياتِ
هنا ..
من جنوب الجمالِ المعتق بالصبر والنازفينْ
فَمي مغلقٌ كالطريقِ إلى العابثينْ
هو الخوفُ
من نَزَقِ الظلمِ في غربةِ الكلماتْ



شعر : إبراهيم عمر صعابي

جازان

أكُلُّ السَّــواحلِ يَغْشى ثراهــا المَمــاتْ ؟
أكُلُّ السَّــواحلِ تَهْدي بنيها فُتاتَ الفُتَاتْ ؟
أكُلُّ السَّواحلِ تحمي الغريب بكل اللغاتْ ؟
صَديقي
قُم اقرأْ ولو آيةً
رُبَّما يَخْرجُ المارِدُ النّذلُ
تصحو المدينةُ من موتها
رُبَما في المَساءِ تعودُ الحياةْ
قُم اقرأْ
ولو آيةً .. آيتينِ .. ثلاثًا
ورُشَّ على صَدْرِها ماءَ زمزمَ أكثرَ منْ قُلّتَيْنْ
فكلُّ الشَّــرايينِ مسكونةٌ بالظلامْ
وكل المواعيد مســـــكونةٌ بالظلامْ
وكل الأماكنِ مسكونةٌ بالظلامْ
وكل الموائد مســــكونةٌ بالعظامْ
قُم اقْرأْ صَديقي
ألستَ تُجيدُ التّلاوةَ ..
رتِّلْ فَسَيّدُ نخوتنا هُمَامْ

لنا سَيّدٌ
بَابُهُ موغلٌ في الغيابْ
له ألفُ صمتٍ وصمتٍ يُجيدُ السُّبابْ
لهُ رُفْقَةٌ نصفُ قامتِهمْ في انْحناءْ
يصوغُ بهمْ نَكْهةً للصَّباح
وأخرى يُخَبِّئُها للمَساءْ
وقفنا هنا يا صديقي
وقفنا ببابِ المدينة
ننعي الموانيَ وقدْ أبحرتْ في الرجاءْ
ونزجي سلامًا
على ساحراتِ السَّواحلِ
إذ يحترفْنَ
غناءَ المواويلِ للعائديـنْ .



الأم أول وطن



د. وليد فتيحي

جدة

هي أول وطن لكل إنسان، بل هي أقدس الأوطان.. ففيها الزمان والمكان الذي تنفخ فيه الروح، وهكذا رفع قدرها الرحمن وجعلها أعظم هدية للإنسان لتجسد أسمى صور الرحمة على مر العصور والأزمان.

أطلق القرآن كلمة الأم على الأصل الطيب والمقدس لكل شيء عظيم، وجعل للأم مكانة لم يجعلها لغيرها فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾. قال ابن عطية: ذكر الله الأم في هذه الآية في أربع مراتب، والأب في مرتبة واحدة فقط جمعته مع الأم في قوله: "بوالديه"، ثم ذكر الحمل للأم، ثم الوضع لها، ثم الرضاعة التي عبر عنها بالفصال. وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى عندما جاءه رجل يسأله عن أحق الناس بصحبته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمك. قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أبوك.

هل دور الأم الذي أكسبها هذه المكانة التي لا يصل إليها الأب، يقتصر على كونها الوطن الأول لأي إنسان وعلى مشقة الحمل والوضع والرضاعة؟ أم أن هناك دورًا في التنشئة والتربية للطفل أعظم بكثير من دور الأب؟ إن العلم الحديث والأبحاث والدراسات تجيبنا عن هذا السؤال.

تبدأ بالطفل في رحم الأم، حيث يُعد عضوًا لا يتجزأ منها، وكما أن حالة الأم الجسدية وما تتغذى به يؤثر على الطفل، فإن مشاعر الأم وحالتها النفسية تؤثر كذلك على الجنين، ولذلك ظهر علم يسمى برمجة الجنين جسديًا وعقليًا ونفسيًا داخل رحم الأم.

ففي دراسة حديثة أجريت عام 2013م في جامعة غرناطة في أسبانيا واستغرقت خمسة أعوام على 17 ألف أم و18 ألف طفل عبر أوروبا، فحص فيها الباحثون تأثير التغذية المتوازنة والرضاعة الطبيعية على الأجنة والأطفال حتى التاسعة من العمر، وأثبتت الدراسة بما لا يقبل الشك أن التغذية للأم أثناء الحمل، وغذاء الطفل في السنوات الأولى من عمره هما من العوامل الرئيسية في برمجة الطفل ولهما تأثيرات على نمو الجنين وعلى الطفل جسديًا وعقليًا ونفسيًا وسلوكيًا، كما بينت الدراسة أن مستوى التعليم والحالة الاجتماعية للأم لعبا دورًا هامًا كذلك في برمجة الجنين.

تؤكد الدراسات والأبحاث أن الحالة النفسية للأم الحامل تؤثر تأثيرًا مباشرًا على الجنين، فالضغوط النفسية والاكتئاب والتوتر والقلق تؤدي إلى إفراز هرمونات التوتر في الأم، وعلى رأسها هرمون الكورتيزول الذي يستطيع أن يصل إلى الجنين عبر المشيمة عندما تزداد كميته في الدم، وهذا يفسر زيادة حركة الجنين عند توتر الأم، وعند وصول الكورتيزول للجنين يؤثر في عملية تشكيل الدماغ ويحدث تغيرات في طريقة تكوينه تجعل الطفل مُهيأ للتوتر والقلق والمشاكل السلوكية والنفسية عندما يكبر، واستطاعت دراسات عديدة أن تؤكد أن هذه التغيرات استمرت في مرحلة الطفولة وحتى سن البلوغ.

كذلك تقوم هرمونات التوتر بالتأثير على كمية الدم والأكسجين والغذاء التي تصل إلى الجنين، مما يؤدي إلى مضاعفات تصل إلى التشوهات الخلقية أو مشاكل في النمو أو الولادة المبكرة، وتستمر هذه التأثيرات مدى الحياة.

وقد أكدت دراسة حديثة أجريت في جامعة سنغافورة ونشرت في مجلة "Biological Psychiatry" وجود تغيرات واضحة في منطقة هامة في الدماغ تسمى الأميجدلا عند الأطفال الذين ولدوا من أمهات كن يعانين من الاكتئاب.

إن التغيرات في الأميجدلا تؤدي إلى تغيرات في التصرف والسلوك، كما أنها تؤدي إلى الأرق والتوتر، ويؤكد باحثون في جامعة كولورادو أن هناك علاقة واضحة بين التغيرات التي تحدث في الأميجدلا وحدة الاكتئاب.

إن العلاقة العاطفية التي تنشأ بين الطفل والأم هي أول علاقة حميمة لأي طفل، وتضع الأسس لجميع العلاقات اللاحقة في حياته، بل تحدد مدى احتمالية نجاح علاقاته المستقبلية وقدرته على التحكم في مشاعره وعواطفه.

فعقل الطفل أشبه ما يكون بالأسفنجة تمتص كل شيء من حولها، وكل حركة من حركات الأم هي بمثابة رسالة للطفل.. تغيرات الوجه، لغة الجسد والكلمات، كلها رسائل للطفل تساعد على تشكيل عقله وتكوين سلوكه.

الأم التي ترفض قراءة قصة لطفلها قبل النوم لانشغالها إنما ترسل بذلك رسالة له أنه ليس أهم شيء في حياتها، بل هناك أشياء أخرى أهم منه، ومجموع هذه الرسائل يؤسس القاعدة التي تنطلق منها رؤية الطفل لنفسه وثقته بها، فهو يرى نفسه من خلال نظرة أمه له، والنضوج العاطفي والنفسي للطفل سيوفر له فرصة النمو والتطور السليم الصحيح في كل مجالات الحياة، حيث تؤكد الدراسات أن الأطفال المستقرين عاطفيًا والناضجين اجتماعيًا يحققون تفوقًا أكاديميًا على أقرانهم الأقل حظًا في مناخ يعينهم على النضوج.

توالت الدراسات والأبحاث التي تبحث تأثير علاقة الأم بالطفل في سنواته الأولى على بناء شخصيته وسلوكه وتطوير قدراته العقلية والنفسية، وجاءت نظرية علاقة الارتباط "Attachment Bonding" ومن رواد هذا العلم طبيب النفس البريطاني "John Bowlby" وعالمة النفس الأمريكية "Mary Ainsworth" واكتسبت نظرية علاقة الارتباط قوتها ومصداقيتها من خلال الأبحاث العلمية العديدة واستخدام تقنيات تصوير الدماغ الحديثة.

وكذلك نظرية حساسية الأم، وهي قدرتها على مراقبة الطفل مراقبة دائمة وملاحظة حركاته وتغيراته وفهم تلميحاته، وترجمة هذه الحركات والإشارات بدقة والاستجابة لها بطريقة مناسبة وملائمة والتواصل معه بطريقة يفهمها والتفاعل معه تفاعلاً إيجابيًا متبادلاً.

وتؤكد الدراسات أن علاقة الطفل بالأم في السنوات الأولى تشكل طبيعة العلاقات المستقبلية للطفل طوال حياته، سواء كانت إيجابية أو سلبية، فهي تهدم أو تبني قدرته على التركيز وتؤثر على مدى وعيه وإدراكه لمشاعره وأحاسيسه وقدرته على التعامل مع الصعاب والمحن والمصائب والشدائد وسرعة وقوفه بعد السقوط واحترامه وحبه لذاته وتوقعاته من نفسه ومن الآخرين وقدرته على جذب الآخرين إليه وبناء صداقات متزنة وعلاقات صحيحة سليمة مع الآخرين.

فالأم التي تحظى بقسط وافر من الذكاء العاطفي والقدرة على قراءة طفلها والاستجابة له تخلق في الطفل الإحساس بالأمان والثقة، بل وأثبتت الدراسات أن ذلك يزرع في الطفل الإحساس بالتعاطف مع الغير ويجعله قادرًا في المستقبل على العطاء.

وجد أنه كلما ازدادت حساسية الأم وقدرتها على فهم



جون بولبي

"الأم التي ترفض قراءة قصة لطفلها قبل النوم لانشغالها إنما ترسل بذلك رسالة له أنه ليس أهم شيء في حياته، بل هناك أشياء أخرى أهم منه، ومجموع هذه الرسائل يؤسس القاعدة التي تنطلق منها رؤية الطفل لنفسه وثقته بها"



ماري إينسورث

طفلها وتجاوبها مع احتياجاته، لارتفعت نسبة الإنجاز الدراسي والأكاديمي عند الطفل، ممثلة في درجات أعلى في اللغة والرياضيات، بل وساعد ذلك على تطور قدرته في القراءة الرمزية والقدرات العقلية والفكرية بشكل عام والتحكم في العواطف والمشاعر.

الأم القادرة على الاستماع للطفل حتى وإن كان الموضوع غير شيق لها، وعند وقوع الطفل في مأزق فلا تبادره باللوم وإنما تتعاطف معه وتركز معه في إيجاد حل استراتيجي، فإنها تعلمه كيف يتعامل في المستقبل مع التحديات لإيجاد حلول عملية، لا لإضاعة الوقت والجهد في اللوم وفيما لا يفيد.

الأم القادرة على إدارة ومعالجة عوامل التوتر بنجاح والتي تستطيع أن تهدئ من روع طفلها وتتواصل معه بالعقل والعاطفة وتشاركه الفرح والمرح والسرور وتتسامح بسرعة وسهولة، فإن الجهاز العصبي عند الطفل يتكون بأسس سليمة قوية تعينه على التعامل مع الصراعات المستقبلية والتحديات بثقة، إضافة إلى أنه يكون معها مرناً مبدعاً متفائلاً ومفعماً بالأمل.

بينت الدراسات أن من أهم العوامل المؤثرة إيجابيًا في الطفل، هي مدى صحة علاقة أمه به، واحترام الأم لذاتها وكيانها، كما أن من أهم العوامل المؤثرة سلبًا في الطفل، الاكتئاب والضغط والتوتر.

في دراسة حديثة من جامعة أريزونا، وجدت أن أطفال الأمهات اللاتي يعانين من الاكتئاب وتمت معالجتهن، أظهروا أعراضًا للاكتئاب أقل بكثير من الأطفال الذين لم تستجب أمهاتهم لعلاج الاكتئاب.

وأثبتت الدراسات المدعومة بأحدث تقنيات تصوير الدماغ أن حب الأم للطفل له تأثير على حجم جزء في الدماغ يسمى Hippocampus، وهو مسؤول عن تكوين ذاكرة جديدة والتعلم والاستجابة للضغوط، وفي إحدى الدراسات وجد أن حجم Hippocampus كان 10% أكبر في الأطفال الذين حظوا بقسط أوفر من الحب والحنان، مقارنة بغيرهم من الأطفال الأقل حظًا.

عند دراسة الأطفال الأيتام في رومانيا الذين عانوا من الإهمال منذ الولادة، فلم يكن هناك مجيب لصراخهم وبكائهم منذ ولادتهم وحرموا من أي فرصة في تكوين علاقة وطيدة مع إنسان بالغ، وجد أن هناك فعليًا ثقب أسود في جزء من الدماغ في المنطقة التي من المفترض أن يكون فيها القشرة الأمامية Prefrontal cortex والمسؤولة عن إدارة المشاعر والإحساس بالجمال والسعادة.

وبذلك فإن تربيتهم الأولى حالت بينهم وبين أن



> بينت الدراسات أن من أهم العوامل المؤثرة إيجابيًا في الطفل، هي مدى صحة علاقة أمه به، واحترام الأم لذاتها وكيانها، كما أن من أهم العوامل المؤثرة سلبًا في الطفل، الاكتئاب والضغط والتوتر.

يصبحوا أناسًا طبيعيين مدى الحياة، وهذا ما أكدته Gerhard Sue في كتابها (لماذا الحب مهم؟ why love matters) وبينت في كتابها أن كل تجربة يمر بها الطفل لها تأثيراتها على تطور الدماغ وتكوين شخصية الطفل، فالإهمال والتوتر والتناقض في المعاملة، كلها تؤدي إلى تربية طفل متوتر غير مستقر وغير آمن وغير واثق بنفسه، متزعزع أو منعزل.

وتستمر آثار علاقة الطفل بأمه مدى الحياة، فتبين الدراسات أن أنماط التواصل والتعلق بين الطفل وأمه في عمر سنة واحدة تستحدد وبكل دقة ما يمكن أن نتوقعه من الطفل عندما يصبح في الثامنة من عمره.

وفي دراسة مسحية قومية بأمريكا على ألفين وتسعمائة وخمسة من البالغين ما بين خمس وعشرين سنة إلى أربع وسبعين سنة وجد أن علاقة الطفل بالأم استمرت آثارها الصحية والنفسية إلى مرحلة متأخرة من العمر.

وعندما تكون الأم ضحية عنف أسري من قبل الأب، فإن الطفل يصاب بالحزن والارتباك والتشويش والحيرة والخوف على الأم وعلى نفسه والإحباط وتأنيب الضمير والانعزالية وتبخيس الذات والغضب وتحطيم صورة العالم في عينيه وتكوين نظرة سلبية لنفسه وللعالم من حوله، وقد ينتهي بتبرير العنف واحتقار المرأة ومحاكاة هذه السلوكيات العدوانية المرضية ضد المرأة والآخرين.

إن العلم والدراسات والأبحاث تثبت لنا بما لا يقبل الشك أن الأم هي أهم مدرسة في صناعة الأجيال

هنا أفهم قول حافظ إبراهيم:

الأمُ مدرسةٌ إذا أعددتَها
أعددتَ شعباً طيّبَ الأعراقِ
الأمُ روضٌ إن تعهّدَه الحَيا
بالريِّ أورقَ أيّما إيراقِ
الأمُ أستاذُ الأساتذةِ الألى
شغلتْ مآثرُهم مدى الآفاقِ

وأفهم قول نابليون بونابرت: "أعطني أماً طيبة، أعطك أمة عظيمة".

وقوله: "إن المرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها".

ولكن الأم قبل أن تكون أمًا وترفع مكانتها كأم في المجتمع وتُحمّل عبء صناعة جيل.. ماذا كانت؟ كانت طفلة ثم فتاة ثم امرأة، فهل عوملت الطفلة والفتاة والمرأة بما يليق بها كصانعة جيل وبما يُهيئها لحمل هذه الأمانة العظيمة.

يشرح الدكتور مصطفى حجازي في كتابه (التخلف الاجتماعي.. مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور) الوضعية التناقضية للمرأة في المجتمعات المتخلفة، فالمرأة في أي مجتمع هي أفصح الأمثلة على وضعية القهر بكل أوجهها في المجتمع المتخلف، بحكم أنها أضعف عنصر فيه وأكثره تعرضًا للقهر، فهي تعاني أنواعًا مختلفة من الاستلاب المقنن، تارة باسم الدين والدين بريء منه بالطبع، وتارة باسم العادات والتقاليد، رغم أن الشرع أولى بالاتباع، فتُهضم حقاً ضمنه لها الشارع.. وهل غير الله أعلم بما خلق وخير من يشرع لتنظيم الحياة؟

فترى في المجتمعات المتخلفة تناقضًا عجيبًا في معاملة المرأة ما بين تبخيس وتقديس، تبخيس المرأة كأنثى وتقديسها كأم، وليس أكثر تبخيسًا للمرأة على المستوى الاجتماعي في المجتمع المتخلف من مكانتها في لا وعي الرجل المقهور بإسقاط العيب والضعف والعار عند الرجل على المرأة اجتماعيًا، وتستخدم المرأة كوسيلة للتعويض عن المهانة التي يلقاها الرجل المقهور اجتماعيًا أو للتعويض عن قصوره اللاواعي بإسقاطه على المرأة، وفي الحالتين تفرض على المرأة وضعية من القهر تقضي على إمكاناتها الذهنية والإبداعية والاستقلالية والمادية، بل ويكرس هذا القصور كما تكرس صفات الأنوثة المبخسة.

إنه التبخيس المفرط المقنن المبرمج، المرأة العورة والمرأة الضعف والمرأة العيب والمرأة القاصر والمرأة الناقصة.. هل يمكن أن ينتقل هذا بين يوم وليلة لتصبح الأنثى والمرأة أمًا وتتدفق عليها صفات التقديس كـ (الجنة تحت أقدام الأمهات).. أي أمٍ هذه التي سينتجها كل هذا التبخيس؟ هل سيربي طفل اليوم (رجل وامرأة الغد) من هذه الأم إلا ما أسقطه المجتمع عليها؟ هل تستطيع الأم المهمشة المنكسرة المنهزمة المبخسة أن تُخرج جيلاً بصفات غير التي ألبسها المجتمع إياها؟

إذا أردنا حقًا أن نخرج أجيالاً تنهض بأمتنا من جديد، فليس من طريق إلا أن نعيد للمرأة مكانتها التي ضمنها لها الشرع وأكدها الرسول بقوله "إنما النساء شقائق الرجال". فكل استلاب فكري وعقائدي واجتماعي واقتصادي وسياسي ونفسي يسقطه المجتمع على المرأة سيسقط بالتلقي والتربية لا محالة على الجيل القادم بأسره.

وإلى أن نعيد للمرأة حقوقها وكرامتها وعزتها، لن يكون هناك جيل قريب يعيد لنا كأمة حقوقنا وكرامتنا وعزتنا.



وأقرب رحما



محمد بن عبدالله القريح

الرياض

@ malfrah

كم من نعمة ولدت من رحم المعاناة؟
وكم من نعيم جاء من زفرة الألم؟
وكم من هبات وفضائل وجدت في منع أو حرمان؟
وكم من عطاء ومنح تتأتى للعبد بعد أن يظن أنه قد هلك بما حل به وأصابه.

ترددت كثيرًا قبل كتابة هذه الأسطر، لأنني لست فقيهًا ولا محدثًا ولا مفسرًا، ولا أدعي هذا الشرف، ولكنها فكرة ألحت عليَّ مدة من الزمن، فآليت على نفسي كتابتها، ربما يستفيد من حكمتها أحدنا، ويعيد ترتيب حساباته، وطريقة تفكيره في التعاطي مع الأحداث والأقدار، التي تمر به كل حين، وذلك عندما أمعنت النظر في ما ختم الله سبحانه وتعالى آية كريمة من آيات كتابه العزيز بـ(الرحمة القريبة) جدًّا، متى كان ذلك؟ كان بعد مصيبة ومشهد دامي، يحبس الأنفاس، ويشيب لهوله رأس الوليد! تمثل ذلك بأكبر جريمة، أثمت فيها يد إنسان يومًا، (حسب ما نظن)، ألا وهي ذبح ابن أمام ناظري أمه، عمل استعصى إدراكه وفهم أبعاده على كليم الله ونبيه موسى عليه السلام، لينطلق بعدها بتعنيف الخضر وتأنيبه ولومه بما تحمله كل نفس بشرية سوية لهذا الفعل الآثم! ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (74 الكهف)، لينجلي الأمر بعدها بآيات قليلة وقريبة جدًّا: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (81 الكهف).

قد يستعصي علينا فهم كثير من الأحداث، التي تقع حولنا، سواء لنا أو لغيرنا، دون أن نجد لها تفسيرًا أو تحليلاً آنيًا، يهدئ ثائرة النفس حولها، ولكن سرعان ما تجد حكمة الله ورحمته ورأفته داخلة في طيات هذه الأحداث بكل أبعادها وتفاصيلها.

ماذا وجدت هاجر بعد ما تركت في وادٍ غير ذي زرع؟

وماذا أدركت أم موسى بعدما ضاقت حيلتها بفقد ابنها، وفرغ قلبها من كل شيء إلا منه؟

وماذا حدث لنبي الله يوسف بعد كل التآمر الذي حدث له؟

وماذا حدث لنبي الله يعقوب بعد كل ما جرى له من الألم والمعاناة بفقد أبنائه واحدًا تلو الآخر.

وماذا حدث لخير البشر صلى الله عليه وسلم، بعدما دميت عقباه الشريفتان؟

قصص وأحداث وعبر لا تنتهي في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتزخر بها أمهات كتب التراث وبناته، تروي لنا حسن العاقبة والمآل بعد عواصف الألم والمعاناة، وشدة الحياة، لتأتي بعد ذلك نفحات الرحمة الإلهية التي لا تنتهي، في دروس عظيمة، تلهمنا وتعلمنا، كيف تكون الرحمة قريبة من العبد أقرب من إليه من حبل الوريد، وتأتي إليه في أحلك مراحل معاناته ألمًا وأشدها بأسًا.

كم من نعمة ولدت من رحم المعاناة؟

وكم من نعيم جاء من زفرة الألم؟

وكم من هبات وفضائل وجدت في منع أو حرمان؟

وكم من عطاء ومنح تتأتى للعبد بعد أن يظن أنه قد هلك بما حل به وأصابه.

أعد ترتيب أوراقك وحساباتك، وارجع بالذاكرة قليلاً، لتدرك حجم العطايا، التي أجزلت لك بعد كل ابتلاء، ستدهش حقًّا من رحمة أرحم الراحمين ولطفه وعطائه. وستقف حائرًا عن أيها ستحمده عليها.

أذكر وأنا أكتب هذه الأسطر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (42 الأنبياء).

وروي عن محمد بن مسلم أنه قال: بلغني أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني ولا تكثر عليَّ. قال: "لا تتهم الله في شيء قضاه لك"

(جامع العلوم والحكم، ص 194).

وروي عن الإمام عبد الواحد بن زيد رحمه الله أنه قال:

الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين.

خاطرة:

خلاصة التجارب كلها في الحب: أنك لا تحب حين تختار، ولا تختار حين تحب، وأننا مع القضاء والقدر حين نولد، وحين نحب، وحين نموت.

عباس محمود العقاد

"قد يستعصي علينا فهم كثير من الأحداث، التي تقع حولنا، سواء لنا أو لغيرنا، دون أن نجد لها تفسيرًا أو تحليلاً آنيًا، يهدئ ثائرة النفس حولها"

"ماذا وجدت هاجر بعد ما تركت في وادٍ غير ذي زرع؟
وماذا أدركت أم موسى بعدما ضاقت حيلتها بفقد ابنها، وفرغ قلبها من كل شيء إلا منه؟
وماذا حدث لنبي الله يوسف بعد كل التآمر الذي حدث له؟
وماذا حدث لنبي الله يعقوب بعد كل ما جرى له من الألم والمعاناة بفقد أبنائه واحدًا تلو الآخر.
وماذا حدث لخير البشر صلى الله عليه وسلم، بعدما دميت عقباه الشريفتان؟"



ستيفن هوكينغ قصة عالم على كرسي متحرك

"عندما سُئل أينشتاين ما شعورك بأن تكون أذكى رجل في العالم، قال حينها: اسألوا نيكولا تيسلا"

لكن لو كان أينشتاين بيننا وسُئل هذا السؤال حتمًا سيقول: اسألوا ستيفن هوكينغ.

يُعد ستيفن هوكينغ من أبرز علماء الفيزياء النظرية على مستوى العالم.

يقول هوكينغ: "ولدت في 8 يناير 1942، بالضبط بعد ثلاثمائة سنة من وفاة غاليليو. مع ذلك، أن حوالي 200 ألف طفل آخرين ولدوا أيضًا في ذلك اليوم. لكنني لا أعرف ما إذا كان أي منهم لديه اهتمام في علم الفلك".

ولد هوكينغ في أكسفورد حينما كانت لندن تقصف من قبل طائرات هتلر، ويُعد هوكينغ نفسه محظوظًا بعائلة متميزة، وخصوصًا زوجته "جين وايلد" التي تزوجها عام 1965، كما يُعد قدوةً في التحدي والصبر ومقاومة المرض، وإنجاز ما عجز عنه الأصحاء . إلى جانب باله الطويل في مجال العلوم الفيزيائية.

يقول هوكينغ: "لم أكن أعلى فئة في المدرسة، ولكن زملائي كانوا ينادونني بلقب أينشتاين".



ناصر بن محمد الزمل

رئيس التحرير

@nalzumal

/https://twitter.com

https://www.facebook.com/nalzumal

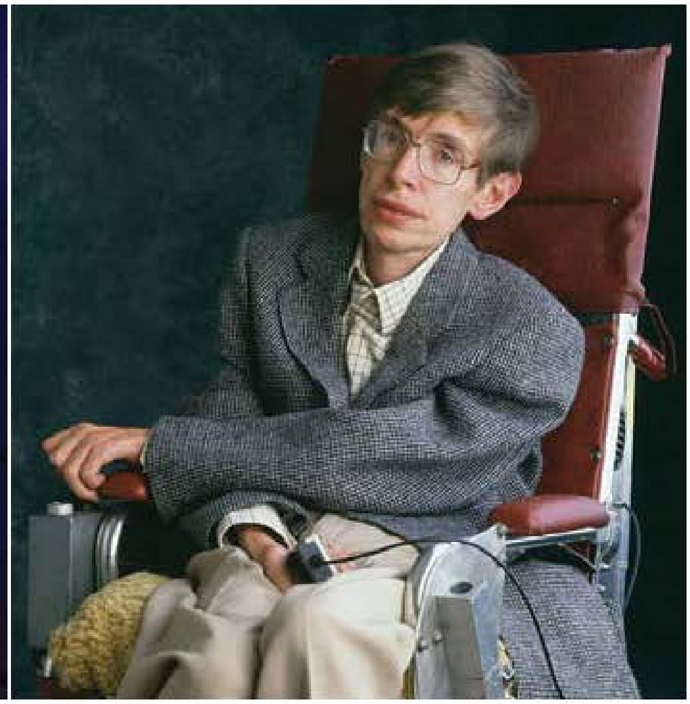
في هذه الأيام يظهر حضور ستيفن هوكينغ طاغيًا ووقوفه بجانب عدد من العلماء المؤسسين: أينشتاين وإسحاق نيوتن وماري كوري وريتشارد فاينمان وغيرهم. إنه حضور فرضه، وبإبهار شديد، عالِم الفيزياء النظرية وصاحب نظريات علم الكون والثقوب السوداء والديناميكية الحرارية.

ففي الوقت الذي منحه الأطباء فرصة الحياة لعامين إضافيين فقط عقب إصابته بمرض التصلّب الجانبي الضموري وهو في الـ 21 من عمره، كان ذلك في عام 1963، وها هو يدخل الآن بوابة العام 74، وهو أمد أطول مما توقعه الأطباء.

في أواخر عام 1960، تدهورت قدراته البدنية: بدأ باستخدام العكازات وتوقّف عن إلقاء المحاضرات بشكل منتظم. بينما خسر ببطء قدرته في الكتابة، طوّر ستيفن أساليب بصريّة تعويضيّة، بما في ذلك رؤية المعادلات بمنظار هندسي. شبّه الفيزيائي ووِرنر إسرائيل لاحقًا هذه الإنجازات لتأليف موتسارت لسمفونيّة كاملة في رأسه. ومع ذلك، كان هوكينغ مستقل ورفض بشدة قبول المساعدة أو تقبل التنازلات بسبب إعاقته. وقال إنه يفضل أن يُعتبر "أولاً عالم، ثانيًا كاتب علوم شعبية، وفي كل الأمور التي تهم، إنسان عادي مع نفس الرغبات، المحفّزات، الأحلام، والطموح كالشخص الآخر" فيما أشارت زوجته جين هوكينغ لاحقًا أن "بعض الناس قد تسمي ذلك الإصرار، والبعض قد يسميها العناد. أنا اسميها الاثنين في وقت واحد أو آخر". تطلّب الأمر العديد من المحاولات لإقناعه حتى قبل استعمال كرسي متحرك في أواخر الستينات، ولكن في نهاية المطاف أصبح معروفًا بقيادته الوحشية للكرسي المتحرك.

في أواخر السبعينيات تدهور كلام هوكينغ، استطاع فهمه فقط أبناء عائلته وأصدقاؤه المقربون. من أجل التواصل مع الآخرين، كان يترجم شخص ما يعرفه جيدًا كلامه إلى خطاب واضح، ومع تطوّر مرض التصلب الجانبي الضموري الذي يعاني منه هوكينغ، تباطأت قدرته على التواصل لتصل إلى كلمة واحدة في الدقيقة.





ومع بدء فقدانه لاستخدام أطرافه، طوّر طريقة لتصور المشاكل في ذهنه للوصول إلى حل بدلاً من كتابة المعادلات. وقد اقترح بعض زملائه أن هذه الطريقة في التفكير قد أدت إلى أعظم اكتشافاته.

قامت شركة إنتل للمعالجات والنظم الرقمية في عام 1997 بتطوير نظام حاسوب خاص متصل بكرسيه يستطيع هوكينغ من خلاله التحكم بحركة كرسيه والتخاطب باستخدام صوت مولد إلكتروني وإصدار الأوامر عن طريق حركة عينيه ورأسه، حيث يقوم بإخراج بيانات مخزنة مسبقًا في الجهاز تمثل كلمات وأوامر.

وفي الوقت الذي لا يخفي صاحب نظرية "التسلسل الزمني للكون" حبّه للشخصية الأسطورية "سوبرمان" فيقول عنه "إنه الشخص الذي يستطيع القيام بما تعجز عن فعله" لا يبدو، هو، أسيرًا لفكرة تحديات الإعاقة الجسدية، التي أجهزت على صوته بالكامل، إذ إن انشغاله بتقديم إجابات جديدة على أسئلة الكون العظمى وعلى مدار أكثر من خمسين عامًا، كانت كافية، على ما يبدو، لتعلن انتصار إرادة العقل على تحديات الجسد وإكراهاته التي كادت تودي بحياته في أكثر من منعطف صحي من سنوات عمره.

يقول في إحدى أشهر مقابلاته: "الجانب المظلم من كوني واحدًا من المشاهير، هو أنني لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان متخفيًا: النظارة الشمسية السوداء والشعر المستعار ليس كافيًا، طالما أنني أتحرك على كرسيّ متحرّك مثل هذا".

في كتابه "تاريخ موجز للزمن" الصادر عام 1988، يذهب هوكينغ إلى تقديم تفسيرات للأسئلة المؤسسة في الفيزياء والكون لغير المتخصّصين بها، في نبش اتجه صوب الإجابة على سؤال: هل سيذهب هذا الوجود إلى نهايته؟ وكيف؟

وهو الأمر ذاته الذي درج عليها في كتابه اللاحق "تاريخ أكثر إيجازًا للزمن" الصادر عام 2006 من خلال معالجة قضايا أكثر تعقيدًا كالمدخل إلى الفيزياء الموحّدة التي تشتمل على كل عناصر القوة غير المتناطيسية في الطبيعة في حين أصر على تخصيص كتابه "التصميم العظيم للكون" الصادر عام 2010 للتعامل مع أكثر الأسئلة التي تشغل الفرد العادي حول الكون والوجود والطبيعة، أسئلة تذهب في معظمها حول: متى بدأ الكون؟ لماذا نحن هنا؟ ما هي طبيعة الواقع؟ كيف وُضع هذا النسق الكوني؟

تتعاظم تخوّفات صاحب "الانفجار العظيم والثقوب السوداء" (1993) من سيطرة العقل الآلي والآلات الذكية (الروبوت) على عالم اليوم كثيرًا، معتبرًا إياها تهديدًا جديًّا محدقًا بالوجود البشري (إنها لا تستولي على وظائفنا فحسب، إنها تجعل من مجتمعاتنا، مجتمعات غير متساوية).

هكذا ينحاز هوكينغ وبشكل صريح إلى العقل البشري الخالص، الذي ومن خلال تطوره وعلوّه يصبح شيئًا فشيئًا أكثر تمدنًا وحضارة، دعا في أكثر من محاضرة إلى ضرورة انطلاق الاكتشافات إلى الفضاء، معتبرًا هذا المجال هو السبيل الوحيد لحماية البشرية من أخطار كثيرة، على رأسها الفناء.

يبدأ مؤلف "نظرية كل شيء" (2002) حديثه بصوت روبوتي معدني منطلقًا من أجهزة التنبؤ الصوتي باستخدام حركة عضلات الخد والحبال الصوتية بالقول: "هل تسمعونني بوضوح؟"، ثم يواصل: "هنالك بعض الحقائق العلمية تبدو أكثر غرابة وجنونًا من الخيال".

وبشغف محمول على روح الاكتشاف والمراقبة، واصل سعيه لتقديم إجابات حول أكثر قضايا الكون إرباكًا لعلماء سابقين حول أسرار الفضاء والكون الفسيح، وعلى رأسها الثقوب السوداء، يقول "إذا وقعت في واحد من تلك الثقوب السوداء، لا تيأس، هنالك دائمًا مخرج، صحيح أنني متحمس لفكرة الرحلة هذه، لكنني لن أخوض تلك التجربة".

> "تتعاظم تخوّفات صاحب "الانفجار العظيم والثقوب السوداء" (1993) من سيطرة العقل الآلي والآلات الذكية (الروبوت) على عالم اليوم كثيرًا، معتبرًا إياها تهديدًا جديًّا محدقًا بالوجود البشري (إنها لا تستولي على وظائفنا فحسب، إنها تجعل من مجتمعاتنا، مجتمعات غير متساوية)"

يضيف: "إن الثقوب السوداء ليست سوداء كما درج الحديث عنها علميًّا لوقت طويل، إنها بوابة دخول إلى تاريخ جديد، أو إلى مجرة جديدة، لكن البوابة هذه باتجاه واحد: إذا ذهبت إلى هناك فلن تتمكن من العودة إلى هذا العالم أبدًا".

وفي الوقت الذي يُعد فيه هوكينغ أعظم عالم فيزياء إلى جانب ألبرت أينشتاين في القرن العشرين، على الأقل من زاوية جرأة الأسئلة الكونية التي يطرحانها، إلا أنه لم ينَل جائزة نوبل في الفيزياء، على أي من أعماله ونظرياته (كون هذه الأعمال لم تخضع لتحقّق علمي) وإن كان قد حظي بعدة جوائز وتكريم لأخرى رفيعة.

ينصح هوكينغ المعاقين الآخرين "أن لا تجعل إعاقتك تمنعك ولا تعطل فيك الروح".



الهوية والقومية



أ.د. إبراهيم بن محمد الشتوي

أستاذ الأدب والنقد – قسم الأدب

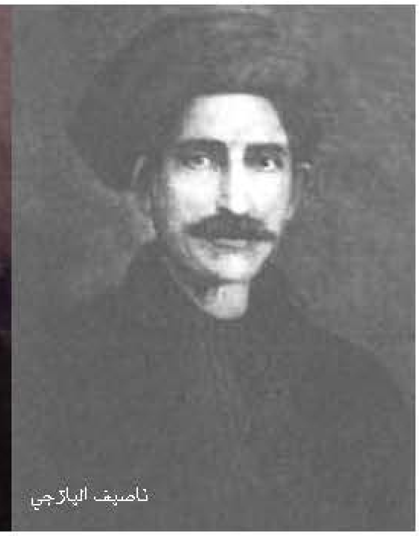
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

على خلاف ما جاء في التاريخ العربي، طرح سؤال «النحن» في العصر الحديث، فإذا كانت الأدبيات القديمة طرحته من خلال «اللغة» و«الدين» بوصفهما المكونين الكبيرين للقومية العربية-الإسلامية، فإن مفهوم «الأنا» في مطلع العصر الحديث أخذ صورة جديدة، فقد تأثر -أولاً- بالدعوات القومية الأوروبية في القرن الثامن عشر التي دعت إلى تعزيز الشعور القومي في منطقة اللاتينية، مما دفع بشعوبها إلى التنادي إلى الحديث بلهجاتها المحلية، وإحلالها محل اللغة الأصلية، واعتبار هذه اللهجات هي المركز في بناء هويتهم القومية.

ومن هنا بدأت الدعوات لإعادة النظر في بناء مفهوم «القومية العربية»، والبحث فيها باعتبارها هي الرابطة الحقيقية لأبناء هذه المنطقة، والمكون لها، والسبيل لتأسيس وطن جديد يختلف عن الوطن الأصلي، وجاءت الدعوات في القرن التاسع عشر تتبنى هذه الأطروحات، وتعيد النظر في مفهوم تكونات الأنا، وتعيد البحث فيها بشكل موسع.

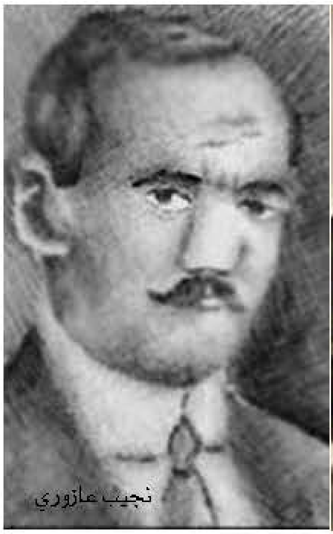
وقد جاءت هذه الدعوات في أول أمرها على يد المسيحيين في لبنان وسوريا، حيث يعيدها صاحب كتاب «الإسلام والمسيحية» إلى الشيخ ناصيف اليازجي، رائد حركة التنوير العربي – كما يرى- ثم بطرس البستاني، وسليم البستاني فيما بعد، وهم الذين يمثلون الجيل الأول من التنويرين العرب.

على أن هذه الدعوات قد اقتصرت على بعث التراث العربي، والكتابة على طرائق الأقدمين في العصور الذهبية للثقافة العربية، ولم تكن مباشرة في دعوتها إلى نظرية واضحة في القومية العربية بوصفها هي المكون الوحيد للهوية العربية، لكنها شكلت وسيلة جيدة لدخول المسيحيين من لبنان وسوريا بشكل فاعل في صياغة الثقافة العربية المعاصرة، وللقيام بدور مركزي في بناء الوعي العربي حيال ذاته وحيال الآخر كما يرى «جورافسكي»، خاصة بما تلاها من جهود جرجي زيدان في كتابيه «تاريخ التمدن العربي»، و«تاريخ آداب العرب»، ثم أعمال فرح أنطون


ناصيف اليازجي


بطرس البستاني


جرجي زيدان


نجيب عازوري

المتمثلة بنصوص روائية فلسفية «حاول أن يؤسس ويؤصل من خلالها ماضي العرب بصورة جديدة»، ثم مساهمة السوريين في إنشاء الصحف العربية، والتي جاءت باكورتها على يد خليل الخوري صاحب صحيفة «حديقة الأخبار»، ثم صحيفة «مصر»، ثم «التقدم»، ثم «الأهرام»، ثم «الهلال»، ثم «المقتطف»، وهي جميعًا – كما هو معلوم- صحف عنيت بأخبار المجتمع، والثقافة، والأدب، والترجمة. بل جعلت هذه الجهود للمسيحيين قصب السبق في بناء الفكر العربي الحديث، ووضع أسسه التي سار عليها فيما بعد أغلب من جاء بعدهم، وكانوا قادرين من خلال كتبهم، وصحفهم، ومطابعهم أن يغيروا واقعهم السابق المنكفئ على أنفسهم إلى أن يصبحوا في كثير منها عماد الحركة العلمية، والأدبية، والصحفية العربية، ثم تغيير الواقع العربي في موقفه من الآخر.

وهذه الدعوات لم تكن واضحة أو مباشرة في تبني نظرية للقومية العربية، أو أيضًا في التصريح بأنها تسعى لصياغة رؤية جديدة للعلاقة بين مكونات المجتمع العربي الإسلامي آنذاك، وإنما هذه المباشرة، والصراحة جاءت على يد أبناء الجيل الثاني من التنويريين المسيحيين الذين استلهموا الحراك الفرنسي الذي قام به نابليون، وسعوا إلى ترجمته واقعًا إلى الثقافة العربية، وصياغته صياغة تناسب البيئة والجغرافيا، إلى أن نضجت بعد ذلك على يد نجيب عازوري الذي بدأ الحديث عن «إمبراطورية» عربية تتحدث لغة واحدة، ولها تقاليد تاريخية مشتركة، وأبدعت أدبًا واحدًا، وتتكون من أمة واحدة تضم المسيحيين إلى جانب المسلمين.

وقد حفز سؤال «النحن» بعد ذلك كثيرين إلى طرح السؤال نفسه خاصة بعد أن انتقل – السؤال- من الشام إلى مصر على يد المسيحيين الذين عملوا في الصحافة والثقافة، ومن المسيحيين إلى المسلمين الذين لم يكونوا يشعرون بالإشكالية التي يشعر بها المسيحيون حيال البيئة المحيطة بهم – كما مر من قبل-، وهو ما جعل السؤال يتحول إلى وسيلة مقلقة لتفكيك الأمة العربية والإسلامية بمفهومها القديم، خاصة وأن السؤال لم يعد مقتصرًا في طرحه على أصحاب الأرومة العربية وحدهم، ولم تعد الإجابة عليه أيضًا واحدة بأن

> هذا التشرذم في المشهد الثقافي حيال تحديد مفهوم «الأنا» في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين دفع سؤال الذات –خاصة عند العروبيين– إلى تحولات جذرية، أدت إلى عدم الاكتفاء بالخطاب الثقافي والإعلامي كما كان من قبل

الأمة أمة عربية ولغتها العربية كما كانت في الزمن القديم. ومن يراجع كتاب «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» للدكتور محمد محمد حسين يجد أن السؤال قد انداح واتسع ليشمل فئات إثنية، وعرقية كانت تشكل فسيفساء الجسد العربي ليصبح طريقًا لبحثهم عن الاستقلال، والتقوقع على ذواتهم، والانفصال عن البيئة المحيطة بهم، بل كان وسيلة للتفنن في البحث عن المرجعيات المختلفة سواء كانت قديمة أو حديثة، وفي حديث «طه حسين» في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» خير شاهد على هذا إذ كان يرى فيه أن مصر أوروبية، وموقف محمد حسين هيكل الذي يرى مصر فرعونية، ومن يدعو إلى فينيقية لبنان وسوريا.

هذا التشرذم في المشهد الثقافي حيال تحديد مفهوم «الأنا» في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين دفع سؤال الذات –خاصة عند العروبين– إلى تحولات جذرية، أدت إلى عدم الاكتفاء بالخطاب الثقافي والإعلامي كما كان من قبل، بل تجاوزوه إلى تأسيس حركات وأحزاب تدفع في تأسيس كيانات سياسية قائمة على هذه الخطابات، وتحويل هذه الخطابات إلى أيديولوجيات مدعومة بقوة السلاح، تقوم على ثنائية الأنا والضد، وتتسم بقدر كبير من التطرف في تمجيد الذات، وتهميش الآخر، وتقوم في الانتشار على العنف ومصادرة الآخرين حقهم في الوجود، والتعبير عن الرأي مما أدى إلى الملاحقة، والسجن والتهجير لكل من لا يؤمن بوجهة نظرهم.

فظهر في الشام منذ منتصف ثلاثينيات القرن الميلادي المنصرم أحزاب، وتجمعات تنبني على التجمعات والآراء السابقة، وتكمل طروحاتها ولكن بصورة أكثر تطرفًا، وحزبية، وصرامة، فظهرت الأحزاب القومية العربية، وحزب البعث بفروعه المختلفة، وظهر جيل جديد من المنظرين في هذا الاتجاه من أمثال زريق، وعفلق، وآل البيطار، والحصري.

هذه الرؤية الصارمة التي تبنتها هذه الأحزاب في تحديد مفهوم «الأنا»، وتحويله إلى برامج حزبية دقيقة، انعكست على الآراء الأخرى في تحديد هذا المفهوم خاصة الإسلامي منها، فأصبح هو بدوره أيضًا (ومنذ نهاية القرن التاسع عشر) يرتب نفسه، ويعيد صياغة رؤيته في صورة جديدة عما كانت عليه من قبل على يد الأفغاني ومحمد عبده ثم محمد رشيد رضا، وأخيرًا على يد حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين. وكما كان خطاب القومية العربية يتكون من محددات أيديولوجية دقيقة، ويقوم على معادلة الأنا والآخر، كذلك كان الخطاب الإسلامي، فحمل في داخله رؤية إقصائية تصنيفية، تقوم على نفي القومي والاكتفاء بالديني وفق صيغة جديدة في تحديد مفهوم الأنا وما ينبغي أن تكون عليه.

وفي ظل هذا النفي والنفي المضاد، لدى هذه الاتجاهات الباحثة في مفهوم «النحن»، وتداخل السياسي بالثقافي، بحيث أصبح كل طرف يطرح مفهومه للأنا مع برنامج تطبيقي، يتضمن هذا البرنامج نفي الآخر، وإلغاءه وإن لم يقل هذا صراحة، واستخدام العنف في فرض رؤيته، وإقصاء المخالف تشرذمت «الأنا»، بوصفها مفهومًا أولًا يحوي مكونات عدة، ثم بوصفها حالة جسدية وطنية لم تستطع أن تفهم نفسها أو أن تلتقي معها تحت قبة مصلحة مشتركة.

ذكر الحيوان والحشرات في القرآن الكريم وفي أمثال وأشعار العرب



أ.د: عبدالله بن محمد الشعلان
قسم الهندسة الكهربائية - كلية الهندسة
أستاذ كرسي الزامل لترشيد الكهرباء
جامعة الملك سعود - الرياض

ذكر الحيوان في القرآن الكريم:

قبل أن يهتم العلم الحديث بعالم الحيوان من مختلف الأنعام والدواب والحشرات ويهيئ له المعاهد المتخصصة والدراسات المتعمقة والأبحاث المستقلة لدراسته ومتابعته ومراقبته للوقوف على بعض أسرار حياته وأنماط معيشته نجد أن القرآن الكريم يسبقه بنحو أربعة عشر قرنًا من الزمان، إذ أكد التنزيل اهتمامه بالحيوان واعتبره عالمًا بذاته وأمة مثل الأمم الأخرى حيث يقول عز من قائل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام 38. وقد أكد التنزيل اهتمامه بأصناف الحيوان من الأنعام والطيور والحشرات بأن أطلق أسماء بعض تلك الأصناف على سوره الشريفة مثل: البقرة والأنعام والنحل والنمل والعنكبوت والعاديات والفيل. وقد ورد ذكر الدابة والدواب عدة مرات في آيات التنزيل كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور 45. كما بين الحكمة من خلق الدواب ألا وهي السجود له والتسبيح بحمده في قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (١٨)﴾ الحج 18. كما ذكر الجمل في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الأعراف 40. كما ورد ذكر الخيل في قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ﴾ آل عمران 14، وبلفظ الجياد في قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ ص 31. كما جاء ذكر الفيل في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الفيل1. وجاء ذكر الضأن والمعز أيضًا في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الأنعام 143. كذلك ورد ذكر الإبل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الغاشية 17. كذلك ورد لفظ النعجة في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ص 23. أما لفظ الأنعام فهو يطلق على تلك الحيوانات الأليفة والمفيدة للإنسان كالبقر والأغنام والإبل وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله جل وعلا في سورة النحل: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾ الأنعام

5-8. وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ النحل 80.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ المائدة 1. ولقد ورد ذكر الكثير من أصناف الحيوان في القرآن الكريم كالحمار والعجل والكلب والخنزير والأسد والذئب لتبيان منافعها أو مضارها للإنسان. وكذلك الطيور كالغراب والهدهد. كذلك ورد ذكر أصناف لحشرات مثل الذباب والبعوضة والعنكبوت والنمل والنحل والجراد والحية والثعبان وذلك لحكمة أرادها الخالق سبحانه إما للتشبيه أو المقارنة أو التعجيز أو لتبيان أضرارها والتحذير منها وتفادي الوقوع فيها أو لعرض قوة الخالق وقدرته (ولله المثل الأعلى) وإظهار ضعف المخلوق وهوانه. وكذلك لبيان السخط وفرض العقوبة كما في قوله جلت قدرته: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ "الأعراف 133. وفي عالم البحار ذكر القرآن الكريم الأسماك على اختلاف أنواعها وألوانها بلفظ اللحم الطري وذلك في معرض إفراد تعدد النعم على الإنسان سواء في البر أو البحر كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فاطر 12. ولا شك أن السمك أحد النعم التي جاد الخالق بها على عباده غذاءً ودواءً يمده بالبروتين والزيت والمواد اللازمة لجسمه وصحته نظرًا لقيمته الغذائية العالية. ويطلق على بعضها اسم "حوت العنبر" حيث يستخرج منه الدهن والطيب المعروف بالعنبر. كما ورد ذكر الحوت وهو أقوى المخلوقات البحرية وأكبرها حجمًا في الكتاب الحكيم في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ الصافات 142. وكذلك في سورة القلم: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ القلم 48. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾. ولقد ورد ذكر الحوت في الحديث الشريف أن ابن عمر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أحلت لنا ميتتان ودمان. أما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال" رواه الإمام أحمد في مسنده. ويعد الحوت في عالم البحار أحد الظواهر الفريدة والآيات المدهشة. والتي تدل على عظمة الخالق عز وجل في تصويره وتكوينه وإبداعه. والحوت حري بالدراسة البحتة بغية الوقوف على معرفة مكوناته وخصائصه وما أودع الله تبارك وتعالى فيه من أسرار وخفايا. وهو أيضًا مما سخره رب العزة والجلال لخدمة الإنسان ونفعه (هل من خالق غير الله سبحانه وتعالى عما يصفون).

الحيوان في أمثال وأشعار العرب:

يُعد الحيوان المعلم الأول الذي تتلمذ عليه الإنسان منذ بدء الخليقة وذلك عندما بعث الله سبحانه وتعالى غرابا لهابيل ليعلمه كيف يدفن شقيقه قابيل بعد أن قتله وحار في كيفية التخلص من جثته حيث قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ المائدة 31.

إن اهتمام العرب بالحيوان وخصائصه وطباعه قد أثرى التراث العربي بمعين لا ينضب ومنهل لا يفيض. فقد اغترف منه الحكماء في حكمهم والوعاظ في وعظهم والشعراء في شعرهم والكتاب في نثرهم. ولقد عرفوا الكثير من عادات وميول الحيوانات وطباعها وصفاتها مما جعل من ذلك كنزًا غنيًا ورافدًا ثرًا للحكم والأمثال والتشبيه والقصص والأساطير والتندر. ولم يقتصر دخول الحيوان على ثقافة العرب العلمية وعلى الأمثال والقصص بل تعداها إلى ضروب أخرى كالأسماء والكنايات والألقاب فسموا بأسماء الحيوان فمن الحيوان: أسد وليث وشبل ونمر وذيب وثعلب وجمل وحصان. ومن الطيور: حمام وغراب وعصفور وصقر وباز وشاهين.

وفي القسم التالي سنورد بعضًا من الحيوان الذي ورد في ذكره شيء من أمثال وحكم وأشعار العرب كما يلي:

الذئب:

من الحيوانات المعروفة عند العرب كأحد الضواري العادية والسباع الكاسرة. وهو عدو لدود للرعاة فكم من مرة فجعهم في أسمن كباشهم وأغنامهم. يعيش في البراري والسهول والبيئات الجبلية ووديانها وفي الغابات الطبيعية. ومن عادته أن يخرج إلى الافتراس في جماعات عندما يجن الليل وبخاصة في ضوء القمر حيث يكره الليالي الحالكة ويعشق الليالي المقمرة. ولقد عرف العرب عن الذئب نهمه وشراهته وحبه للأكل فقالوا في هذا المعنى: "أجوع من ذئب". وكذلك: "رماه الله بداء الذئب" يريدون بذلك الجوع. والعرب تزعم أن الذئب شديد الاحتراس وأنه عند النوم يراوح بين عينيه فتكون إحداهما مطبقة نائمة وتكون الأخرى مفتوحة حارسة. ولهذا يقول أحد الشعراء في شدة حذر الذئب ويقظته:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي

بأخرى الأعادي فهو يقظان هاجع

كما أن الذئب يضرب به المثل في الخبث والغدر وسوء الطبع لأنه قد لا يتوانى عن الفتك بذئب آخر ولو من قطيعه والنيل منه إذا رآه جريحًا أو في حالة ضعف. ولهذا قال أحد الشعراء يذم أحد أصدقائه لأنه أعان عليه في أمر نزل به:

وكنت كذئب السوء لما رأى دما

بصاحبه يومًا أحال على الدم

وفي معرض صفة الغدر ورجوع المتطبع إلى طبعه. يقول أحدهم بعد أن قام بتربية جرو ذئب بدلا من كلب للحراسة فعدا على شاة له وافترسها:

أكلت شويهتي وفجعت قلبي

وأنت لشاتنا ولد ربيب

غذيت بدرها وربيت فينا

فمن أنباك أن أباك ذيب

إن اهتمام العرب بالحيوان وخصائصه وطباعه قد أثرى التراث العربي بمعين لا ينضب ومنهل لا يفيض، فقد اغترف منه الحكماء في حكمهم والوعاظ في وعظهم والشعراء في شعرهم والكتاب في نثرهم، ولقد عرفوا الكثير من عادات وميول الحيوانات وطباعها وصفاتها مما جعل من ذلك كنزًا غنيًا ورافدًا ثرًا للحكم والأمثال والتشبيه والقصص والأساطير والتندر

إذا كان الطباع طباع سوء

فليس بنافع فيها الأديب

الكلب:

أثبت القرآن الكريم كثيرًا من الحقائق العلمية قبل أن يتمكن العلم من اكتشافها بأربعة عشر قرنًا ونيفًا من الزمان، ومن تلك الحقائق أن جسم الكلب خال من الغدد العرقية التي تساعده على إفراز العرق وتلطيف حرارة الجسم، لذا فإن الكلب يستعيض عن تلك الغدد الموجودة في سائر الحيوان باللهاث لخفض درجة حرارته، لذا يعرض أكبر مساحة من الفم واللسان للهواء وذلك دأبه سواء أكان مستريحًا أو مجهدًا، ولذلك شبه الخالق جل وعلى كل من أتته آياته فعمي عنها ولم يستفد منها بسبب غيه وزيغه مثل الكلب حال تنفسه، وإليك البيان القرآني في ذلك:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف - 175 - 176.

والكلب من المخلوقات التي لازمت الإنسان لوفائه وألفته ووده وسرعة ترويضه وتعليمه وتلقينه وتدريبه لأغراض يستفيد منها الإنسان مثل المرافقة والصيد والحماية والشم واقتفاء الأثر ودفع اللصوص وحراسة الماشية، ويعد صيده حلالاً إذا كان معلمًا ومدربًا على الصيد كما في قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ المائدة 4. ومما جاء عن الكلب في الأمثال العربية: جوع كلبك يتبعك، آلف من كلب، وفي وصف الكلب بالود يقول علي بن الجهم الشاعر البدوي يمدح أحد الخلفاء (وقد عرف هذا البيت بسوء الاستهلال في معرض المديح):

أنت كالكلب في حفاظك للود

وكالتيس في قراع الخطوب

النعامة:

إذا نظرنا إلى جسم النعامة وجدناه خليطًا بين جسم الطير وجسم البعير فقد أخذت من الطير الريش والجناحين والمنقار ومن البعير العنق والمنسم، ولذا قيل في الأمثال: مثل النعامة لا طير ولا جمل. ولقد شبه أحد الشعراء بعض الناس الذي لا فائدة منه ولا طائل من ورائه بأنه مثل النعامة في عنادها وتصرفاتها المتقلبة إذ لا تمتثل لأي أمر ولا تستجيب لأي رغبة، فإذا أمرت أن تحمل أثقالاً لأنها كالبعير ادعت بأنها من فئة الطيور، وإذا ما أمرت أن تطير لأن لها جناحين ادعت بأنها من عائلة البعير. ولهذا يقول ذلك الشاعر في هذا المعنى:

ومثل نعامة تدعى بعيرا

تعاصينا إذا ما قلنا طيري

فإن قلنا احملي قالت فإني

من الطير المربة في الوكور

وتوصف النعامة أيضًا بالغباء حيث تدفن رأسها في الرمل ظنًا منها أن الصياد لا يراها، كذلك توصف بالجبن كما في قول الشاعر:

أسد علي وفي الحروب نعامة

فتخاء تخشى من صفير الصافر

كذلك تعرف بالحمق والغباء وذلك ربما خرجت لطلب الطعم فمرت ببيض نعامة أخرى فحضنته وتركت بيضها، ولذلك يقو الشاعر في هذا المعنى:

كتاركة بيضها في العراء

وملبسة بيض أخرى جناحا

ومن المعروف بأن رجلي النعامة تنهضان معًا وتقعان معًا فإذا عابت إحداهما جثمت ولم تعد تقوى على النهوض، ولهذا يقول أحد الشعراء يصف نفسه وصديقًا له:

وإني وإياه كرجلي نعامة

على ما بنا من ذي غنى وفقير

ويقصد بأنه وصاحبه سواء وأن لا غنى لأحدهما عن الآخر في السراء والضراء.

الجمل:

خلق الله الجمل وجعله من المخلوقات العظيمة والعجيبة، وكان ذا منزلة رفيعة عند العرب، وهو خير معين للتنقل والحمل كما أنه مصدر للغذاء وأنثاه (الناقة مصدر للحليب. وقد جاء ذكر الجمل في عدة مواضع وبأسماء مختلفة في القرآن الكريم (مثل البعير والإبل والناقة)، ومعظم الآيات الواردة في القرآن الكريم تذكر أن الجمل من آيات الله الدالة على عظمته ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ الأعراف 40. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الغاشية 17. وقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ الشمس 13. وقوله تعالى: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ يوسف 65.

السلوك الإنساني والسلوك الحيواني:

اتفقت آراء كثير من العلماء حول الظواهر السلوكية لدى الإنسان والحيوان على أن سلوك الإنسان نوعان: سلوك فطري غريزي وآخر طبعي مكتسب، أما سلوك الحيوان فكله فطري غريزي، وقد يتشابه أحيانًا سلوك الإنسان وسلوك الحيوان، فنحن مثلاً نرى في عالم الحيوان غرائز مشابهة لغرائز الإنسان، ويتبدى ذلك مثلاً جليًا في مشاعر الأبوة أو حنان الأمومة في رعاية الصغار وإطعامها وتعليمها وتدريبها والعناية بها والدفاع عنها، كما نرى التعاون عند الضواري عندما تهم بالصيد وافتراس طرائدها، فالمعروف أن الضواري كالأسود والضباع والذئاب والنمور والفهود لديها الأنياب الحادة والمخالب الفتاكة ولكنها في ذات الوقت تتسم بصغر الحجم مقارنة بطرائدها التي قد تكون أكبر منها حجمًا وأسرع عدوا وقد تكون تلك الطرائد في شكل مجموعات كبيرة وقطعان ضخمة يصعب تفريقها والصيد منها، لذا تقوم بالعمل بروح الفريق لتفريق تلك المجموعات واستفراد واحد منها ومن ثم الانقضاض عليه معًا من كل جانب لإخضاعه والسيطرة عليه. وفي مجتمع الحشرات (النحل والنمل مثلاً) في بناء مساكنها وممارسة نشاطاتها، كما ندرك غريزة حب البقاء لدى الحيوان في ما وهبه الله من وسائل وقدرات ذاتية للعيش في بيئاته والحصول على طعامه والدفاع عن نفسه والحفاظ على جنسه، وبهذا تكون نواميس الحياة التي يسير عليها كل من الإنسان والحيوان واحدة، وهذه الظاهرة ينبغي أن يعبر عنها بالآتي: "وحدة الخلق هي المضاهاة والتوافق بين الإنسان والحيوان في الخصائص النفسية والسلوكية وحب البقاء والحفاظ على الجنس، تبارك الله أحسن الخالقين.

المراجع

1) القرآن الكريم.
2) عبدالله، محمد محمود، "عالم الحيوان بين العلم والقرآن، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، 1996.
3) عبدالحميد، زهران محمد، "تهذيب حيوان الجاحظ"، دار الجيل، 1992.
4) العاني، فلاح خليل، "موسوعة: الحيوان عند العرب"، مطبعة البهجة، إربد، الأردن، 1998.
5) هارون، عبدالسلام محمد، "تهذيب الحيوان للجاحظ"، سلسلة الأدب والنقد، الجزءان: الأول، والثاني، مكتبة نهضة مصر، 1957.
6) النصيح، حسن محمد، "رؤى ثقافية في أدب الحيوان"، دار الغالي للنشر والتوزيع، الرياض، 1991 .
7) الدينوري، ابن قتيبة، "عيون الأخبار - طبائع الحيوان"، وزارة الثقافة والإرشاد، جمهورية مصر العربية، 1960.
8) النيسابوري، أحمد محمد، "مجمع الأمثال للميداني"، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1959.
9) غزالي، كمال شرقاوي، "القدرات الخفية في عالم الحيوان"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996.
10) العزي، عزيز العلي، "الحيوان في تراثنا"، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1987.
11) الدميري، كمال الدين محمد، "حياة الحيوان الكبرى"، الجزءان الأول والثاني، دار الألباب للطباعة والنشر، دمشق، 1980.

التنوّع الثقافي ومنظومة حقوق الإنسان



د.خالد الشرقاوي السموني

مدير مركز الرباط للدراسات السياسية والاستراتيجية
أستاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط

إن الحق في الثقافة يعني حق كل ثقافة لأمة أو لشعب أو لجماعة في الوجود والتطور والتقدم في إطار ديناميتها الداخلية، وبعوامل التأثر الخارجية، مع حفاظها على خصوصيتها واستقلالها.

والسؤال المطروح هو: هل أن التنوّع الثقافي قيمة مضافة إلى إثراء وتطوير ثقافة حقوق الإنسان في إطار من الانسجام أم أنه مصدر أزمات يؤثر في تماسك الدول والمجتمعات، خصوصًا من خلال التعامل الإقصائي أو أشكال التمييز التي قد تحصل ضد فئات اجتماعية بسبب لغتها أو تقاليدها أو خصوصيتها؟.

إن الحديث عن التنوّع الثقافي، يستدعي التطرّق إلى دور الثقافة وارتباطها بقضايا الحقوق والحريات، انطلاقًا من كون منظومة حقوق الإنسان الثقافية ترتكز على عدد من القواعد الأساسية، كالمساواة في الحقوق، والحق في التمتع بالثقافة الخاصة، واستخدام لغة خاصة، واعتبار جميع الثقافات جزءًا من التراث الإنساني المشترك للبشرية، بما فيها من تنوّع واختلاف، وضمان حق كل شعب في تطوير ثقافته، وتعزيز روح التسامح والصداقة بين الشعوب والجماعات على اختلاف ثقافاتها، وحق كل فرد في المشاركة الحرة في حياة المجتمع، والتمتع بالفنون والآداب، والمساهمة في التقدم العلمي، والحق في حرية البحث العلمي، والحق في حماية الانتاجات الفكرية والعلمية.

وبالرجوع إلى المنظومة الدولية لحقوق الإنسان الثقافية، التي ترتكز أساسًا على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 دسمبر 1948، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام 1966، نلاحظ أنها أقرّت التنوع الثقافي والحقوق والتعددية الثقافية، مستندة إلى المبادئ التالية: المساواة بين الثقافات، ورفض التمييز بين الأمم والشعوب، وعدم الاعتراف بفكرة التفوق أو الهيمنة الثقافية، وما تستند إليه من مفاهيم عنصرية.

ويمكن القول بأن التنوع الثقافي هو تعدد الرؤى والأشكال والأنماط التعبيرية في المجتمعات، وهذا يعد ذاته إغناء للمعرفة وتنوع روافدها في إطار الوحدة، إذ أن لكل مجتمع أنماطه الثقافية، وتراثه الحضاري الخصوصي.

كما لا يمكن تصور تنوع ثقافي على معنى الصدام والكراهية والصراع، ذلك أن التنوع الثقافي هو إغناء للثقافات، وتعزيز لقدراتها، وإكسابها أبعادًا إنسانية، لأن الثقافة في معانيها المختلفة تعني تهذيب السلوك الاجتماعي وتربية الإنسان وتغذيته بالقيم الروحية والوجدانية، فلا ينبغي أن تتصدى ثقافة لثقافة أخرى، أو أن تجعل من الاختلاف الثقافي ميدانًا للصراع والصدام بين أفراد المجتمع من جهة وبين المجتمعات من جهة أخرى.

ولذلك، فإن جعل الاختلاف بين الثقافات، كوسيلة لهيمنة ثقافة على أخرى، أو الإقرار بثقافة سامية وأخرى متدنية، وثقافة كونية وأخرى محلية، هو من صنع السياسات الاستعمارية التي تحاول إقامة الحواجز بين الشعوب والحيلولة بين التقارب بينها.

ليست نظرية التنوع الثقافي إلا نظرية في الإنسان بصرف النظر عن الحدود الجغرافية، وعن العرق والدين واللون، كما قال ذلك العالم الاجتماعي كلود ليفي ستروس: "أن الهمجي ليس إلا "من قال بالهمجية"، ذلك أن الإنسان يعرف كيف يتعرّف على الإنسان شبيهه وصنوه، بصرف النظر عن فوارقنا المشروعة واختلاف عاداتنا وتباين أزيائنا".

وعلى ذلك، لا ينبغي للهوية الثقافية أن تتقوقع داخل خصوصية ضيّقة تحول دون انطلاقها إلى فضاء الكونية الواسع والرحب، فهي بعيدة عن أن تكون شيئًا جامدًا، وإنما هي ديناميكية متطورة، تتناغم مع منظومة حقوق الإنسان في بعدها الكوني، كالاعتراف بالآخر وتنمية روح التسامح، ونشر ثقافة السلام والتعاون بين البشر.

إن فرض حق الاختلاف الثقافي والفكري يعد شرطًا ضروريًا باعتباره حقًا لا تنازل عنه من حقوق الأفراد والشعوب والحضارات في التعبير عن وجودها بحريّة، كما أن الإشكال المتعلق بالتنوع الثقافي والاختلاف الفكري إنما هو في أساسه إشكال الحريات وإشكال حق الشعوب في تقرير مصيرها الثقافي، حتى تكون ثقافة شعب ما مصدر ثراء لغيرها من الثقافات في إطار التعاون والتفاهم.

ونخلص في الأخير إلى أن التنوع الثقافي الخلّاق يمكن أن يشكل قيمة مضافة إلى إثراء وتطوير الثقافة وتماسك الجماعات والمجتمعات وتقاربها، لذلك فإن هذا التنوع، رغم خصوصية بعض الثقافات المحلية أحيانًا، يتناغم مع منظومة حقوق الإنسان ويساهم في تطويرها.



الأبعاد الاجتماعية والنفسية للمعاملة الحسنة



د. عبدالرحمن بن سليمان النملة

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعاملة الحسنة أو حسن المعاملة، مفهوم يتضمن العديد من المهارات الاجتماعية والسلوكيات الإيجابية التي تدعم وجود العلاقات الاجتماعية الناجحة بين الأفراد في أي تجمع بشري. وبناءً على ذلك يمكن اعتبار المعاملة الحسنة آلية أو وسيلة لزيادة الترابط والتفاعل بين الأعضاء في أي جماعة سواء كانت الأسرة أو الأصدقاء أو زملاء العمل أو غير ذلك. وإذا كان الإنسان يظهر في علاقاته مع الآخرين صور الود والاحترام والتعاون وغير ذلك من المهارات الشخصية والاجتماعية فإن ذلك يشير إلى تمتعه بذكاء اجتماعي، وبأنه متوافق مع الآخرين حيث التوافق مع الآخرين يعني تحقيق مستوى مرتفع من الصحة النفسية السليمة. وفي بيئة العمل تعد إقامة علاقات إنسانية واجتماعية ناجحة مع الزملاء من رؤساء ومرؤوسين محكًا لمدى تمتع الموظف بالرضا الوظيفي. كذلك فإن للمعطيات الثقافية السائدة في أي مجتمع دور في دعم سلوك المعاملة الحسنة أو تحجيمه، فهناك ثقافات قد تؤكد على أهمية العلاقات الحسنة من أجل المنفعة الآنية، بينما ثقافات أخرى قد تربط المعاملة الحسنة بين الأفراد بغايات أسمى. وسيتم مناقشة هذه القضايا من خلال السياق الآتي في محاولة لإبراز مفهوم المعاملة الحسنة ضمن سياقه النفسي والاجتماعي.

بالنسبة للمعاملة الحسنة والعلاقات الاجتماعية، فإن العلاقة الاجتماعية تظهر في كافة أشكال النشاط الإنساني سواء في نشاط العمل أو النشاط الترويحي أو النشاط الأسري ... إلخ، ومع أن الإنسان مزود بآليات عضوية تمكنه من العيش بمفرده إلا أنه يجد في نفسه دافعًا للاجتماع والتواجد مع الآخرين بل إن ذلك ينعكس ايجابيًا على نموه بكافة جوانبه، مما يؤكد أهمية العلاقات الاجتماعية مع الآخرين. والعلاقات الاجتماعية قد تكون وقتية أو مستمرة أو دائمة، فالعلاقة الاجتماعية الوقتية تبدأ وتنتهي مع الحدث الذي يحقق هذه العلاقة. أما العلاقات الاجتماعية المستمرة فهي تتصف بكونها طويلة الأمد يغذيها أنواع من المشاعر مثل الثقة والإطمئنان والراحة، مثال ذلك قد تكون

هنالك علاقة اجتماعية مستمرة بين البائع والمشتري إذا تحقق للمشتري ما يرجوه من راحة وثقة من ناحية البائع. وبالنسبة للعلاقات الاجتماعية الدائمة فإنها تعتمد على عناصر لها صفة الثبات والاستقرار مثل روابط الدم أو الروابط القومية أو الوطنية، فروابط الأبوة والبنوة مثلاً تعد من أسباب العلاقات الاجتماعية الدائمة.

كذلك قد تكون العلاقات الاجتماعية إيجابية أو سلبية، ومن أمثلة العلاقات الاجتماعية الإيجابية، الصداقة والأخوة في الدين وغير ذلك من العلاقات القائمة على الود والتفهم والاحترام المتبادل والتعاون. ومن أمثلة العلاقات الاجتماعية السلبية تلك العلاقات القائمة على الاختلاف مثل التنافس غير الشريف والصراع والتي يغذيها الحسد والكره والعنصر النفسي مهم في تماسك وديمومة العلاقات الاجتماعية حيث يذهب بعض الباحثين إلى أن الوجود البيئي أو المكاني، أي وجود مجموعة من الأفراد في مكان ما، لا يعني مطلقًا وجود علاقات اجتماعية أو قيام مجتمع إذا لم تكن هنالك صلات نفسية تعتمد على قيم روحية وأخلاقية ولذلك يعد الجانب النفسي بما يحويه من مظاهر عاطفية -وجدانية كالمودة والثقة والرفق ولين الجانب، ومظاهر عقلية كإدراك القيم المشتركة من أهم الآليات التي تحافظ على دعم وإنجاح العلاقات الاجتماعية وبالتالي تماسك الجماعة والمعاملة الحسنة مفهوم يتضمن الكثير من المواقف الإيجابية لذلك يعتبر معززًا للعلاقات الاجتماعية وعاملاً مساعدًا لاستقرارها وديمومتها.

وضمن هذا الطرح، هل يمكن القول أن المعاملة الحسنة تقود إلى الصحة النفسية؟

الواقع أن المعاملة الحسنة تعد ذات تأثير في قدرة الفرد على صياغة علاقات اجتماعية ناجحة، لذا فإن لها بالضرورة علاقة بالصحة النفسية وتكيف وتوافق الفرد مع من هم حوله. ذلك أن قدرة الفرد على إقامة علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين وتمكنه من المحافظة عليها يعد محكًا لتمتع الفرد بصحة نفسية جيدة. من جانب آخر، فإن الصحة النفسية مفهوم متعدد المعاني حيث يصعب في الواقع إيجاد تعريف شامل يغطي كافة جوانب واهتمامات الصحة النفسية، مثلاً عندما ينظر إلى الصحة النفسية على أنها البرء أو الخلو من المرض النفسي أو المرض العقلي بمعنى أن الشخص الذي تتسلط عليه مخاوف وأوهام أي يشكو من أعراض المرض النفسي المعروف "المخاوف المرضية" أو الشخص الذي يملؤه شعور بالعظمة الكاذبة أو الاضطهاد الكاذب أي يشكو من أعراض المرض العقلي المعروف "البارانويا" يعتبران غير سليمين من وجهة نظر الصحة النفسية حسب هذا التعريف. ماذا لو وجدنا شخصًا لا يشكو من أعراض المرض العقلي أو النفسي، ولكنه مع ذلك غير ناجح في حياته، وعلاقاته سواء الاجتماعية أو المهنية تتسم بالاضطراب وسوء التكيف، فهل نقول بأنه يتمتع بصحة نفسية جيدة؟

وعلى ذلك فمفهوم الصحة النفسية يفترض أن يكون أكثر شمولاً، ويرتبط بقدرة الفرد على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه بمعنى أن يرضى الفرد عن نفسه، وأن يتقبل ذاته كما يتقبل الآخرين، فلا يبدو منه ما يدل على عدم التوافق الاجتماعي، كما لا يسلك سلوكًا اجتماعيًا شاذًا، بل يسلك سلوكًا معقولاً يدل على اتزانه العاطفي والعقلي، في ظل مختلف المجالات وتحت تأثير جميع الظروف.

وبناءًا على ذلك يمكن القول أن الصحة النفسية تشير إلى:

- كيفية الشعور تجاه النفس.
- كيفية الشعور تجاه الآخرين.
- كيفية مواجهة مطالب الحياة.

وأن الأفراد ذوي الصحة النفسية الجيدة يتصفون بالآتي:

- أنهم يشعرون تجاه أنفسهم بارتياح ورضا وسرور.
- لا تهدمهم عواطفهم - (مخاوفهم وغضبهم ومحبتهم وقلقهم).
- لا يتوقفون كثيرًا أمام الفشل.
- متسامحون مع أنفسهم ومع الآخرين.
- لا يقللون من أهمية ما يمتلكون من قدرات، كما أنهم لا يبالغون في أهميتها.
- يتقبلون أخطاءهم وتقصيرهم.
- يحترمون أنفسهم.
- يشعرون بأنهم قادرون على مجابهة معظم ما يعترض طريقهم في الحياة.
- ينالون الرضا من مباهج يومية بسيطة.

مواقف ذوي الصحة النفسية الجيدة وعلاقاتهم بالآخرين:

- يتخذون موقفًا صحيحاً تجاه الآخرين.
- يوطدون مع الآخرين علاقات شخصية حسنة ومرضية وثابتة.
- ينتظرون أن يثقوا بالآخرين ويحبونهم ويتأكدون أن الآخرين يحبونهم بدورهم ويثقون بهم.
- يحترمون الفروق التي يجدونها بين الآخرين.
- لا يضايقون الآخرين ولا يسمحون للآخرين بأن يضايقوهم.
- يشعرون بأنهم جزء من المجتمع.
- يشعرون بالمسؤولية تجاه جيرانهم وإخوانهم في البشرية

مواقف ذوي الصحة النفسية الجيدة في مجالات ومواقف الحياة المختلفة:

- يتمكنون من مجابهة مطالب الحياة.

> "والعلاقات الاجتماعية قد تكون وقتية أو مستمرة أو دائمة، فالعلاقة الاجتماعية الوقتية تبدأ وتنتهي مع الحدث الذي يحقق هذه العلاقة. أما العلاقات الاجتماعية المستمرة فهي تتصف بكونها طويلة الأمد يغذيها أنواع من المشاعر مثل الثقة والإطمئنان والراحة"

> "الواقع أن المعاملة الحسنة تعد ذات تأثير في قدرة الفرد على صياغة علاقات اجتماعية ناجحة، لذا فإن لها بالضرورة علاقة بالصحة النفسية وتكيف وتوافق الفرد مع من هم حوله. ذلك أن قدرة الفرد على إقامة علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين وتمكنه من المحافظة عليها يعد محكًا لتمتع الفرد بصحة نفسية جيدة."

• يحلون مشاكلهم بأنفسهم كلما ظهرت.

• يتحملون مسؤولياتهم.

• يؤثرون على بيئتهم إذا قدروا ويكيفون أنفسهم لها إذا رأوا ذلك ضروريًّا.

• يضعون الخطط للمستقبل ولا يخافونه.

• يرحبون بالأفكار والاختيارات الجديدة.

• يستخدمون قواهم ومواهبهم الطبيعية.

• يضعون لأنفسهم أهدافًا حقيقية عملية.

• لديهم القدرة على التفكير بأمورهم واتخاذ القرارات اللازمة بأنفسهم.

• يعملون باجتهاد في كل عمل يقع بين أيديهم ويجدون السعادة والرضا في القيام بذلك العمل.

كل ما سبق من خصائص لذوي الصحة النفسية الجيدة يدل على تكيف سليم سواء مع النفس أو مع الآخرين أو مع مواقف الحياة المختلفة. وعكس ذلك سوء التكيف والذي يتم التعبير عنه بفعل شاذ قد يأخذ شكل أمراض نفسية أو أمراض جسمية ذات منشأ نفسي (Psychosomatic) أو أمراض عقلية (ذهانية) أو اضطرابات سلوكية. كذلك يتضح مما سبق أن العلاقة مع الآخرين والقائمة على المحبة والثقة واحترام الاختلافات والشعور بالانتماء وتقدير المسؤولية تجاه الآخرين، لها دور في تحديد مدى اتصاف الفرد بالصحة النفسية. والواقع أن هذه المهارات في العلاقات مع الآخرين تشير إلى أن الفرد يعامل الآخرين بالحسنى وتشير كذلك إلى تمتعه بذكاء اجتماعي. وعليه يمكن القول أن المعاملة بالحسنى تعد صورة من صور الذكاء الاجتماعي. ذلك أن ربط سلوك المعاملة الحسنة بالذكاء الاجتماعي قائم على اعتبارات يبدو أن من أهمها أن المعاملة الحسنة تعد خاصية ذات بعد اجتماعي وأنها تقوم على التعامل بفاعلية مع الآخرين، وكذا فإن الذكاء الاجتماعي يتضمن تمتع الفرد بمهارات شخصية واجتماعية تمكنه من القيام بعلاقات اجتماعية ناجحة.

فالذكاء الاجتماعي Interpersonal Intelligence والذي قد يسمى بذكاء التعامل مع الآخرين يتكون من القدرة على العمل التعاوني والقدرة على الاتصال الشفوي وغير الشفوي مع الآخرين، ويتضمن استعمال فهم الشخص لأهداف الآخرين ودوافعهم ورغباتهم لكي يتفاعل معهم بطريقة مرضية. أيضًا يمكن اعتبار من يراعي مشاعر الآخرين بأنه ذكي اجتماعيًّا. أيضًا يشير مصطلح الذكاء الاجتماعي إلى فهم الناس بكل ما يعنيه هذا الفهم من تفرعات، أي فهم أفكارهم واتجاهاتهم ومشاعرهم وطبعهم ودوافعهم والتصرف السليم في المواقف الاجتماعية بناءً على هذا الفهم. يتضح من ذلك، أن الذكاء الاجتماعي قائم على فهم الآخرين وأنه يمثل القدرة التي نحتاجها جميعًا، وإن كان الفرد يعمل في سلك التعليم أو الطب أو المبيعات أو السياسة فإن حاجته للذكاء الاجتماعي ستكون أكبر. وبالجملة فإن أي شخص يتعامل مع الآخرين فيجب أن يكون حاذقًا في مسألة العلاقة بين الأفراد.

إذاً عندما يكون لدى الشخص تعاطفًا مع الآخرين واهتمامًا بهم ومراعاة لمشاعرهم وفهما لأفكارهم وحالاتهم المزاجية ومتعة في التواجد مع الناس وغير ذلك من الصفات التي تصب في هذا القالب، فإنه يمتلك قسطًا من الذكاء الاجتماعي. والواقع أن كثيرًا من هذه السمات والخصائص تعبر عن سلوك التعامل بالحسنى مع الآخرين، الأمر الذي يجعلنا نعتبر المعاملة بالحسنى صورة من صور الذكاء الاجتماعي.

وفي هذا السياق، لا يمكن اغفال الدور الذي تلعبه العوامل الثقافية في تشكيل سلوك الإنسان جوهريًّا، وبالنسبة للعلاقات مع الآخر فإن هنالك ثقافات قد تعزز سلوك أفرادها نحو تأسيس علاقات اجتماعية ناجحة وبناءة مع الآخرين ومعاملتهم بأسلوب طيب. وهنالك ثقافات أخرى قد تنظر إلى العلاقة مع الآخر على أنها علاقة صراع وتنافس، وعليه قد يميل الأفراد في المجتمع الذي تسيطر عليه هذه الثقافة إلى الإعراض عن التعاون مع الآخرين والبعد عن العمل التطوعي ،،، إلخ. وبالنسبة للمعطيات الثقافية في المجتمعات الإسلامية، فإذا نظرنا إلى المعاملة الحسنة كآلية لنجاح العلاقات الاجتماعية فإن هذا المفهوم أي المعاملة الحسنة في الإسلام يعد إطارًا تنتظم فيه الكثير من الأخلاقيات. والأخلاق في الإسلام لها مكانة عظيمة حيث أشارت كثير من التعاليم الخلقية إلى التحلي بصفات مثل الصدق والأمانة والوفاء والإخلاص والأدب في الحديث وسعة الصدر للخلاف والمجادلة بالتي هي أحسن، إلى غير ذلك من الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها المسلم على المستوى الشخصي أو في علاقاته مع الآخرين. وكذلك على المستوى العام فالأخلاق تعد حسب وجهة النظر الشرعية صمام أمان لبقاء الأمم والشعوب. إن جملة المنظومة الأخلاقية في الإسلام تسهم وبشكل كبير في تآلف الأفراد داخل المجتمع المسلم وفي بقاء واستمرارية هذا المجتمع، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات، 13).

إذًا فالتعارف وليس التنافر هو أساس العلاقات بين البشر، وكل رابطة توطد هذا التعارف وتزيل عنه العوائق فهي رابطة يجب تدعيمها والانتفاع بخصائصها، كما ذهب إلى ذلك الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه خلق المسلم. كذلك من المهم الإشارة إلى أن الإسلام عندما يدعو إلى أي خلق فإنه يربطه بالجانب التعبدي، ولذلك فغاية المسلم من التحلي بخلق ما كالمعاملة الحسنة مثلاً متصل بغايات أسمى من أي منفعة وقتية، وهذا فارق جوهري بين الطرح الإسلامي وغيره من الأفكار في هذا المجال.

أهم المصادر:

- إبراهيم، سليمان عبدالواحد يوسف (2012م). الذكاء الإنساني بين الأحادية والتعددية رؤية تحليلية لأنواع العقول الإنسانية. دار الجامعة الجديدة.
- الجيوسي، محمد بلال (2002م). أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني. مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
- الغزالي، محمد (1408هـ، 1987م). خلق المسلم. الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة.
- Cavell, T. A. (1990). Social adjustment, Social performance, and social skills: Atria Component model of social competence. Journal of Clinical Child Psychology, Vol. 2 , 111- 122 .
- Gardener, H. (1993). Multiple intelligence the theory in practice, Basic Book. A division of Harber Collins Publishers, inc.
- McFall, R. (1982). A review and reformulation and concept of social skills. Behavioral Assessment, Vol. 8, 3- 10 .

وحيدةٌ أنا ..!

سما يوسف

جدة

إلاَ من بقَايا عطرٍ ..

وصَدَى صَوْتٍ ..

وضِحكة تختالُ بينَ نظْرَةٍ ودمعَة ..

وكلماتٍ سطَرتُها على صَفحاتِ القَلبِ ..

وعباراتٍ كان يداعِبُني بها ..

وبحُةِ صَوتٍ لم تُنْسَ ولنْ ..

وما بينَ سياطِ الأنينِ وسحَائبِ الحَنينْ

كنتُ في طريقِ الغيابِ أغرسُ باقةَ أملٍ ..

وهداْةَ يقينِ

بأنّ من غابوا إلاَ من القَلبِ

راجعونَ .. لا مَحَالةَ راجِعُونْ ..

سأنتظرُ .. وسأنتظرُ

بفارغِ الصَبرِ وعارمِ الشوقِ ..

سأنتظرُ اليومَ الذي تأتي فيه :

وكلّي شَوقٌ ولهفةٌ ..

لأسافرَ في عَيْنيْكَ السَاحرتَينْ ..

وأحُلمُ أنْ تأتي زائرًا في الحُلمِ

وأتساءلُ بكلْ الحبْ :

متى أراكَ حقيقةً لأرتوي

من ينابيعِ حُبِكَ ؟



النموذج المعرفي مدخلاً لفهم الفكر الغربي



أ.د. بدر الدين مصطفى

أستاذ مشارك بقسم الفلسفة - كلية الآداب
جامعة القاهرة

المتأمل لتاريخ الفكر العربي الحديث، على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين، سيجد أن محاولات التواصل مع الفكر الغربي (فهمًا، قراءةً، تحليلاً، ونقدًا) لم تنقطع. وقد استندت تلك المحاولات، في معظمها، إلى مواقف أيديولوجية مسبقة تحدد طريقة هذا التواصل وترسم معالمه. ولهذا ظلت تلك المحاولات أسيرة ما تستند إليه، ولم تتجاوز ذلك إلى رؤية أكثر شمولية تسعى لفهم تجربة الوعي الغربي على امتدادها التاريخي، من خلال القوانين الناظمة لها؛ وأعني هنا القوانين التي تستند إلى النموذج المعرفي Paradigm السائد في مرحلة تاريخية ما.

أن أي محاولة للكتابة عن الغرب، خاصة إذا كانت تسعى لأن تكون فاعلة ومؤسسة وتلتزم بالقواعد العلمية، لابد أن تقوم بداية بدراسة "حالة" للمحاولات السابقة عليها وتقييمها، كيما تتدارك مشكلاتها وتدرك أوجه قصورها. خاصة مع الوضع في الاعتبار أن الفكر العربي الحديث لا زال يغلب عليه الطابع الأيديولوجي في التعامل مع الموضوعات المدروسة، بالإضافة إلى سيادة اللغة الخطابية الإنشائية التي تبعد به عن صفة العلمية.

وقد ركزت معظم الكتابات، التي خصصت موضوعاتها لدراسة الفكر الغربي بنتاجاته المختلفة، على قضايا أو ظواهر جزئية ظهرت في الغرب أو حاولت تتبع تاريخ فكرة أو مفهوم أو قراءة مفكر أو فيلسوف. وتراوحت المقاربات ما بين القراءة والتأويل، الوصف والتحليل، العرض والتأريخ، من دون رؤية كلية تربط تلك النتاجات بالقوانين التي أنتجتها. رغم أن محاولة تحديد تلك القوانين سيحول في النهاية دون الانزلاق في فخ الانتقائية، وسيحجم إلى حد كبير الدوافع الأيديولوجية، كما أنه سيخرج الباحث من دائرة الخطابة والإنشاء وسيفرض إطارًا علميًّا صارمًا إلى حد كبير.

لقد تكون الوعي الغربي عبر التاريخ في عدة مراحل، المرحلة اليونانية التي امتدت على مدار خمسة قرون والتي شكلت بمرور الوقت مصدرًا رئيسيًّا من مصادر الوعي الغربي. ثم عصر آباء الكنيسة من القرن الأول حتى القرن السادس حيث تنشأ العقائد على النمط الأفلاطوني الإشراقي اليوناني وتحسم الكنيسة في القرن الرابع الخلاف حولها وتقنن العهد الجديد. ثم من القرن السابع حتى القرن السابع عشر عصر الفلسفة المدرسية المبكرة أو المتأخرة حيث يتم عرض العقائد المسيحية ابتداءً من الفلسفة الأرسطية. وفي أواخر هذه المرحلة يتم نقل التراث الإسلامي العربي العقلاني العلمي من العربية إلى اللاتينية وتصبح أحد مكونات النهضة الأوروبية الحديثة. وتبدأ المرحلة الحديثة للوعي الأوروبي ابتداءً من القرن الرابع عشر (عصر أحياء الآداب القديمة)، ثم القرن الخامس عشر (الإصلاح الديني)، ثم القرن السادس عشر (عصر

النهضة)، ثم العقلانية في السابع عشر، ثم التنوير في الثامن عشر، ثم الوضعية العلمية والمادية في التاسع عشر، ثم القرن العشرين بمدارسه المختلفة وصولاً إلى منتصف القرن وظهور ما اصطلح على تسميته بما بعد الحداثة. لقد كان لكل مرحلة من هذه المراحل الرئيسية معالم فكرية محددة، وكانت هذه المعالم تجليًا لنموذج معرفي يحكمها ويحدد طبيعتها.

ماذا يعني النموذج المعرفي إذن؟ وكيف يساعد في فهم التحولات الفكرية التي حدثت في العصور المختلفة؟

في مقدمة الكلمات والأشياء Les Mots et les Choses 1966 كتب ميشال فوكو 1926 – 1984 Michel Foucault رابطًا بين النموذج المعرفي السائد في عصر ما وبين تجليات هذا النموذج ومظاهره داخل ثقافة هذا العصر "إن القوانين التي ينتظم وفقًا لها مجتمع ما، هي ذاتها التي تنظم لغته ومجالات إدراكه، مبادلاته، تقنياته، قيمه، ومراتب ممارساته...لقد أظهرت ثقافتنا أن ثمة نظامًا، وأن التبادلات مدينة بقوانينها والكائنات الحية بانضباطها، والكلمات بتسلسلها وقيمها التمثيلية لصيغ هذا النظام. وقد ارتبطت تلك الصيغ بالمكان والزمان وشكلت القاعدة الرئيسية للمعارف كما هي منتشرة في النحو وفقه اللغة، في التاريخ الطبيعي وعلم الأحياء، وفي دراسة الثروات والاقتصاد السياسي..." ما يقصده فوكو هنا أن ثمة نموذج معرفي يتحكم في البناء الثقافي لكل مجتمع وأي عصر. وأنه إذا ما تم تجريد المجتمع من مظاهره الثقافية وتجلياتها يمكن اكتشاف النظام المعرفي الكامن وراءها. يؤكد فوكو أنه لفهم أي ظاهرة ثقافية داخل المجتمعات، وأيضًا في أي عصر من العصور الرئيسية التي مرت بها البشرية، لابد من اكتشاف النموذج المعرفي أو بتعبيره هو "الصيغة التي يكون عليها النظام".

بناء على ذلك يمكننا القول أن النموذج المعرفي هو ذلك الإطار أو النسق الفكري الذي يحاول أن يصل إلى الصيغ الكلية والنهائية للوجود الإنساني. وتدور النماذج المعرفية حول ثلاثة عناصر أساسية: الإله، الطبيعة، والإنسان. وكل مرحلة رئيسية من مراحل الفكر البشري يحكمها نموذج معرفي يحدد علاقات تلك العناصر بعضها ببعض وينظمها. ومعرفة النموذج السائد في كل مرحلة تجعل الإجابة عن الأسئلة الآتية أمرًا ممكنًا: ما هي علاقة الإنسان بالطبيعة؟ هل الإنسان جزء لا يتجزأ من الطبيعة أم له استقلال نسبي عنها؟ هل الإنسان وجود طبيعي محض أم أنه يتميز بأبعاد أخرى لا تخضع لعالم الطبيعة؟ هل الإنسان سابق للطبيعة، متجاوز لها، أم أنها سابقة عليه، متجاوزة له؟ هل يدرك الإنسان الطبيعة بشكل سلبي متلق، أم بشكل إيجابي إبداعي خلاق؟

محاولات الإجابة عن هذه الأسئلة سيجعل تفسير العديد من الظواهر الثقافية الأخرى أمرًا ممكنًا. لكن هل يعني هذا أن النموذج المعرفي يقدم تفسيرًا لكافة الظواهر السائدة في عصر ما؟ لا يمكن بالتأكيد الزعم بهذا، فهو يقدم إطارًا تفسيريًا عامًا يشمل معظم الظواهر لكنه لا يحيط بها



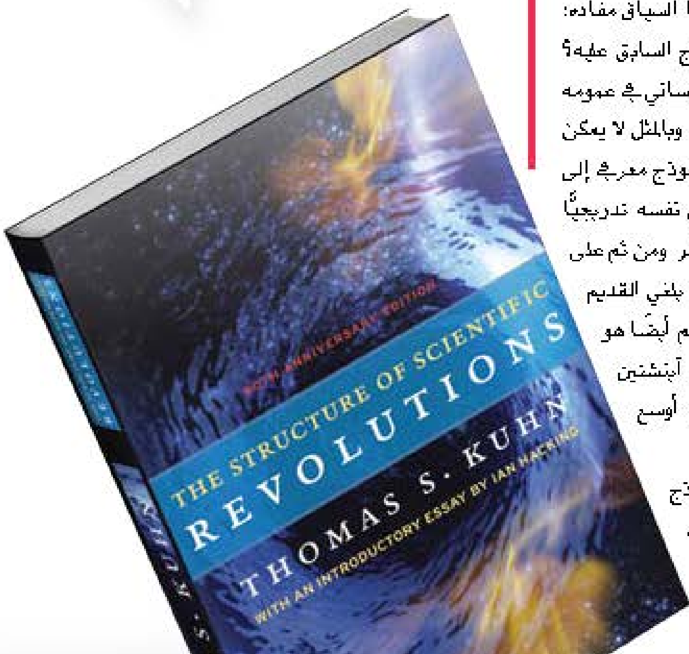
ميشال فوكو

بالكامل، فدائمًا ما يوجد استثناء. والواقع أن النموذج التفسيري الشامل لا وجود له حتى في العلوم الطبيعية: فكل نموذج تفسيري يُفترض كونه شاملاً لكافة الظواهر، لكن يكون ذلك على سبيل الافتراض ويظل التعميم في النهاية مسألة لا يمكن التحقق منها تجريبيًا، ولهذا أطلق عليها الفيلسوف الإنجليزي كارل بوبر 1902 – 1994 Karl Popper القفزة الاستقرائية Inductive Jumping.

سؤال آخر أيضًا ربما يكون مهمًا في هذا السياق مفاده: هل النموذج المعرفي الأحدث يلغي النموذج السابق عليه؟ الحقيقة أنه لا يمكن النظر إلى التاريخ الإنساني في عمومه على أنه يقوم على فكرة الإحلال والتبديل. وبالمثل لا يمكن أن نحدد تاريخًا معينًا يمثل الانتقال من نموذج معرفي إلى نموذج آخر. فالنموذج المعرفي يكشف عن نفسه تدريجيًا حتى يصبح بمرور الوقت مهيمنًا على التفكير ومن ثم على الثقافة السائدة، لكن لا يمكن الزعم بأنه يلغي القديم تمامًا أو ينسفه إن صح التعبير. وهذا الفهم أيضًا هو السائد في العلم الحديث: إذ لم تلغ فيزياء أينشتين فيزياء نيوتن بل أعطت مساحة تفسيرية أوسع منها.

لو حاولنا أن نطبق ما ذكرناه عن النموذج المعرفي وعلاقته بالأسئلة السالفة، سنجد، على سبيل المثال إذا أخذنا مرحلة العصور الوسطى نموذجًا، أن هناك توائمًا حدث بين نظرية بطليموس في الفلك التي اعتمدها أرسطو وبين الموقف الذي تبنته السلطة الدينية آنذاك والذي كانت دوافعه دينية في المقام الأول حيث وجدت الكنيسة أن تصور بطليموس لمركزية الأرض يتسق والتصور الديني الذي يكرم الإنسان عن المخلوقات الأخرى. الإنسان أكرم المخلوقات والكون خُلق من أجله. من الطبيعي إذن أن تكون الأرض التي يحيا عليها هذا الإنسان هي مركز هذا الكون وغايته. وقد استدلت السلطة الدينية في العصور الوسطى من هذه الرؤية على مركزية أخرى هي مركزية الكنيسة. فإذا كانت الأرض هي

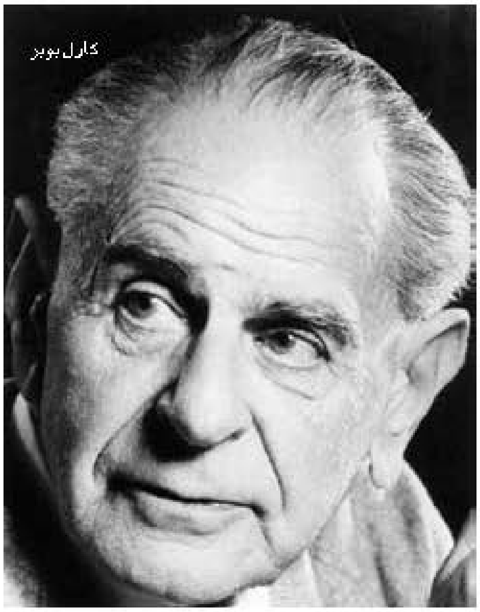
> لقد تكون الوعي الغربي عبر التاريخ في عدة مراحل، المرحلة اليونانية التي امتدت على مدار خمسة قرون والتي شكلت بمرور الوقت مصدرًا رئيسيًا من مصادر الوعي الغربي، ثم عصر آباء الكنيسة من القرن الأول حتى القرن السادس حيث تنشأ العقائد على النمط الأفلاطوني الإشراقي اليوناني وتحسم الكنيسة في القرن الرابع الخلاف حولها وتقنن العهد الجديد. ثم من القرن السابع حتى القرن السابع عشر عصر الفلسفة المدرسية المبكرة أو المتأخرة.



كتاب توماس كون بنية الثورات العلمية
Structure of Scientific Revolutions

مركز الكون، فالكنيسة هي مركز الأرض. من هنا نستطيع أن نفهم مركزية الدين في العصور الوسطى، فقد أسست السلطة الدينية لنموذج معرفي قوامه فكرة المركزية سواء في العلم أو في الحياة، وقد حدد هذا النموذج طبيعة الثقافة السائدة ورسم معالم النتاج الفكري آنذاك. هذا النموذج على سبيل المثال ترتب عليه ضياع فكرة الفردية والذاتية، وهي فكرة أساسية في التطور والتقدم، فالكل يعمل من أجل الكنيسة وفي خدمة الإله ولا مجال للحديث عن "الأنا". وهذا النموذج يستطيع أن يفسر لنا موقف إنسان العصر الوسيط من الطبيعة والعالم الخارجي. فلما كان العالم الخارجي نتاج الخطيئة، فقد أصبحت الطبيعة، وما تحتويه من مناظر، نتاج لنفس الخطيئة. لقد كان إنسان العصر الوسيط، ونتيجة لسيطرة النموذج المعرفي الديني، شاخصًا ببصره تجاه السماء لا الأرض.

إن هذا الفهم سيجعلنا ندرك السبب وراء بعض الظواهر الجزئية التي يمكن أن يصادفها المتتبع لتاريخ الفكر الغربي. لماذا، على سبيل المثال، غاب المنظر الطبيعي في الألفية الأولى للمسيحية، مع الوضع في الاعتبار أن عالم الإقطاع والنبالة كان ريفيًا بالكامل؟ لماذا لم تظهر الطبيعة في أعمال الفنانين إلا في عصر النهضة؟ أسئلة من هذا القبيل لا يمكن الإجابة عنها إلا بالكشف عن النموذج المعرفي المسيطر على فكر العصر الوسيط وثقافته. فقد كان للمسيحية في العصور الوسطى نظرة إلى الأرض تتصف بالتسامي ولا تدرك الأرض إلا من خلال ما تكشفه من رموز. وقد اعتبرت الحواس منحطة ولو سُئل إنسان العصر الوسيط، هل الطبيعة ممتعة أم لا؟ لكانت إجابته أنها غير ممتعة. والنتيجة غياب تام للمنظر الطبيعي في الرسم والشعر. لقد كان الفن في العصور الوسطى جزءًا لا يتجزأ من كل يحتويه. فكان تعبيرًا عن الروح الدينية التي كانت تهيمن على هذا العصر. وتظهر تجليات هذه الروح في كل نواحي الحياة، في السياسة والعلم والفلسفة... إلخ. لذا فإن الفن آنذاك كان فنًا دينيًا. ولم يكن العمل الفني عملاً بالمعنى المفهوم، بل كان حرفة أكثر منه أي شيء آخر. ولم يكن أسلوب الإنتاج فرديًا، فلم يكن الفنان ينظر إلى نفسه بوصفها ذاتًا مستقلة مبدعة، بل جزءًا من فريق يهدف لإتمام سقف كنيسة ما أو لوحة جدارية أو ترنيمه كنسية. وكما كان أسلوب الإنتاج يغلب عليه الطابع الجماعي، كان أسلوب التلقي أيضًا يتم بصورة جماعية، فمشاهدوا هذا الفن أو مستمعوه كانوا مجموعة من رواد الكنيسة الذين يستهدفونها لأداء صلواتهم. أما الأدب والمسرح فلم يختلفا كثيرًا عن باقي الفنون، فكانت المسرحيات ذات الصبغة الوعظية Morality Plays وتلك التي تقوم على فكرتي "اللغز" و"السر" Mystery plays - والتي تستمد جوهرها من حكايات من الكتاب المقدس- هي المنتشرة آنذاك. أما الشعر فقد كان يستمد موضوعاته كذلك من نفس التراث ويظهر ذلك في ملحمة حكايات كانتربري Canterbury Tales للشاعر الإنجليزي جيفري شوسر 1343 - 1400 Geoffrey Chaucer وبعض الأشعار الأخرى الأقل أهمية



لشعراء آخرين.

بعد النموذج المعرفي الذي ساد في العصر الوسيط، حدثت النقلة الثانية في الوعي الغربي مع بداية إرساء نموذج معرفي جديد استند في المقام الأول إلى الشرعية العلمية التي أرساها كوبرنيك ثم جاليلو، ومن بعدهما نيوتن. اكتشاف الطبيعة ومحاولة البحث عن قوانينها من أجل الإحاطة بها. لهذا لم يحدث التحول إلى تصوير الطبيعة إلا مع بداية عصر النهضة، حيث تضاءل الخوف من الطبيعة تضاؤلاً سمح بالمراقبة والتصوير للنباتات والطيور. ويفسر دوبريه هذا الأمر إلى التحول الذي حدث في عصر النهضة من الاهتمام بالسماء إلى الاهتمام بالأرض، انتصار للمحسوس على المجرد يقول دوبري "لقد كان المنظر الطبيعي تحويلاً، لكن نحو الأسفل، للنص نحو الأرض، وللروحاني إلى كيانات صلبة، وللنور الإلهي إلى نور أرضي".

"عقلنة الطبيعة" Rationalization of Nature إن شئنا وضع توصيف لطبيعة هذا النموذج. والحال أن عملية العقلنة ستمتد إلى كافة مظاهر الحياة، لذا ستجد أن المنحى الغالب على كافة العلوم والمعارف آنذاك هو المنحى الذي يسعى للكشف عن القوانين التي تحكم طبائع الأشياء وظواهر الحياة، قوانين الفكر مع ديكارت، قواعد المنهج التجريبي مع بيكون، قوانين الاقتصاد مع آدم سميث، قوانين التطور مع دافنشي، قوانين الحق الطبيعي مع الثورة الفرنسية. وبالإضافة إلى ذلك ستبدأ النزعة الوظيفية للطبيعة في السيادة بداية من القرن السابع عشر، وقد كان هذا متزامنًا مع إرساء ديكارت نموذجًا معرفيًا قوامه سيادة الإنسان على الطبيعة. لقد وضع ديكارت الذات في مقابل عالم الأشياء، وبذلك عزل الإنسان عن الطبيعة عزلاً تامًا وسار كل منهما في طريق مواز للآخر دون أن يلتقيا. وعلى الرغم من أنه حفظ للطبيعة استقلالها، إلا أنه جردها من طابعها السحري وقوتها الذاتية، وقدم نظرية للمعرفة قوامها العقل وغايتها أن نجعل أنفسنا سادة قاهرين للطبيعة. هكذا صاغ ديكارت في مستهل العصر الحديث نموذجًا معرفيًا عقليًا تزامن مع نشأة العلم الحديث وتأسيس مناهج دقيقة للسيطرة العلمية على الطبيعة بفضل علماء المنهج التجريبي أمثال جاليليو وكبلر ونيوتن وغيرهم. وقد كان هذا التطور إيذانًا باختفاء المفاهيم الكيفية للطبيعة التي سادت البحث الفلسفي من قبل لتحل محلها لغة الكم المستمدة من الرياضيات.

وعلى الرغم من أن عصر التنوير يمثل ذروة الانقلاب على أفكار العصر المسيحي الوسيط، إلا أن الفكرة التي سادت العصر الوسيط والتي مؤداها أن "الإنسان محور الكون" أو ما عرف باسم "المركزية الإنسانية"، قد ظلت كامنة في العقل الغربي إبان عصر التنوير، وحاضرة بصورة مضمرة في الإنساق الفلسفية لفلاسفة هذا العصر. فالإنسان له وضع خاص بين المخلوقات الأخرى في الطبيعة، وعليه فإن له الحق في السيطرة والاستحواذ وتسخير كل ما يرى فيه منفعته أو يجلب له مصلحة ما. هذه المكانة التي منحها الإنسان لنفسه، وعضدتها التصورات الدينية، استمدت مشروعيتها من ثلاثة عوامل: العقل، السيادة، والغائية. فقد استطاع الإنسان بفضل العقل أن يسيطر على الطبيعة ليصبح محور الكون وغايته.

هذه المظاهر هي بصورة من الصور وليدة فلسفات الذات والنموذج المعرفي الذي أرساه ديكارت- الذي رسخ لمقولة الذات في مقابل الأشياء أو ما عرف باسم الثنائية الديكارتية، بحيث انتهى هذا النموذج العقلي بعد سلسلة طويلة من التطورات إلى عقلانية أداتية- وفقًا لأدورنو، وإلى نوع من التقنية المدمرة- على حد وصف هيدجر.

لا يمكن الزعم، بطبيعة الحال، أن النموذج المعرفي الديكارتي مسؤولاً مسؤولية تامة عن جور الإنسان على الطبيعة، أو القول أن الفكر الديكارتي هو السبب الرئيسي للمشكلات البيئية الراهنة، ففي هذا نوع من التجني على ديكارت أو تسطيحًا للمسألة. لكن بالتأكيد هناك نوع من الارتباط بين سيادة النموذج المعرفي الديكارتي بكل مكوناته الفكرية والعلمية، ومظاهر وتجليات هذا النموذج الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية والعلمية. وقد سبق لتوماس كون T. Kuhn 1922 -1996 في كتابه بنية الثورات العلمية Structure of Scientific Revolutions التأكيد على هذا المعنى. وسواء كان هذا النموذج سابق على هذه التجليات أو متزامنًا معًا، فإنه يعكس بدقة الإطار الفكري الذي يحكمها ويوجهها، وهذا بالضبط ما نقصده عندما نقول أن النموذج المعرفي الديكارتي كان انعكاسًا أو تكريسًا لفكرة قهر الطبيعة بالعلم. وقد عضد من سيادة هذا النموذج المعرفي الاكتشافات العلمية المثيرة التي رسخت من شعور الإنسان بالسيطرة على الطبيعة والقدرة على قهرها.



هل كان المترجمون العرب أكثر من مجرد محافظ على الفلسفة اليونانية؟

الترجمة هي الحمام الزاجل الذي نقل علوم قوم إلى أقوام أخرى، والعصا السحرية التي استطاعت أن تحول الحروف اللاتينية إلى يونانية، واليونانية إلى عربية وغيرها. إذ إن تطور العلوم حصل بهذه الطريقة، بتداولها ونقلها إلى لغات مختلفة والإضافة لها وتوسيعها منذ زمن بعيد.

في العصور الأوروبية القديمة كتب أغلب الفلاسفة باللغة اليونانية بكثافة، حتى بعد الغزو الروماني للبحر الأبيض المتوسط وزوال الوثنية كانت الفلسفة مرتبطة بقوة مع الثقافة الإغريقية، وكان مفكرو العالم الروماني البارزون من أمثال "شيشرون، وسنكا" غارقين في الأدب اليوناني.

كما كتب الإمبراطور "ماركوس أوريليوس" تأملاته باللغة اليونانية، و"شيشرون" ومن بعده الفيلسوف "بوثيوس" حاولوا بدء تقليد فلسفي باللغة اللاتينية، ولكن في أوائل العصور الوسطى توفر الفكر اليوناني باللغة اللاتينية بشكل جزئي وغير مباشر، بحسب "Aeon".

وعلى العكس، فإن الأمور كانت أفضل في مناطق أخرى، فعلى سبيل المثال في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية تمكن البيزنطيون الذين يقرؤون اللغة اليونانية من قراءة أعمال أفلاطون وأرسطو بنصوصها الأصلية، واستطاع فلاسفة العالم الإسلامي التمتع والوصول إلى التراث الفكري اليوناني.

في القرن العاشر في بغداد تمتع القراء العرب بدرجة الوصول نفسها لأعمال أرسطو التي يتمتع بها قراء اللغة الإنجليزية اليوم، ويعود هذا إلى فضل حركة الترجمة الممولة في عصر الخلافة العباسية والتي بدأت منذ النصف الثاني من القرن الثامن، وحازت حركة الترجمة رعاية رفيعة المستوى من الخليفة وأسرته، كما سعت تلك الحركة إلى استيراد الفلسفة اليونانية والعلم إلى الثقافة الإسلامية، وساعد على هذا مقدرة الخلافة على تمويل حركة الترجمة من الناحيتين المالية والثقافية.

ومنذ أواخر العصور القديمة إلى ظهور الإسلام، تمثلت اللغة اليونانية بوصفها لغة نشاط فكري بين المسيحيين، خاصة في سوريا، لذلك عندما قررت الطبقة الأرستقراطية المسلمة ترجمة العلوم والفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية كانت هذه الترجمة للمسيحيين منهم.

في بعض الأوقات ترجمت الأعمال اليونانية إلى اللغة السريانية أولاً ثم إلى اللغة العربية، وكان هذا العمل تحديًا كبيرًا، فاللغة اليونانية ليست لغة سامية لذا كان المترجمون ينتقلون من مجموعة لغوية إلى مجموعة أخرى.

ولم يكن هناك أي تأسيس لمصطلحات الفلسفة في اللغة العربية، وهذا يثير الحاجة إلى طرح سؤال:

ما الذي دفع الطبقة السياسة العباسية لدعم مشروع الترجمة الضخم والصعب هذا؟

جزء من الإجابة هو الاستفادة من الزخم العلمي الهائل، فكانت نصوص الهندسة والطب ذات تطبيق عملي واضح. ولكن هذا لا يفسر تمامًا لماذا دفعت الدولة العباسية بسخاء للمترجمين لنقل أعمال أرسطو إلى اللغة العربية.

تقترح بحوث علماء اليونان المترجمة من اليونانية إلى العربية أن الدافع خلف تلك الترجمة هو سياسي بدرجة أولى، فأراد الخليفة العباسي أن يوسع ثقافته لتصبح منافسة للثقافة الفارسية وللبيزنطيين المجاورين. ورغب العباسيون بأن يظهروا أنه بإمكانهم حمل الثقافة اليونانية بطريقة أفضل من البيزنطيين المتحدثين باللغة اليونانية. كما رأى المفكرون المسلمون أن النصوص اليونانية تدافع عن دينهم وتفهمه بشكل أفضل.

كان أول العلماء الذين رأوا تلك الاحتمالية هو "أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي" المعروف كأول فيلسوف يكتب باللغة العربية، وأشرف الكندي على نشاط علماء المسيح الذين يمكنهم الترجمة من اليونانية إلى العربية.

وكانت النتيجة متباينة نوعًا ما، فنسخة أرسطو في الميتافيزيقيا أو ما بعد الطبيعة تكون غير مفهومة في بعض الأحيان، في حين تبدو ترجمة كتابات أفلاطون تأخذ غالبًا شكل الترجمة الحرة مع الإضافات الخارجية، وترجمة الفلسفة من لغة أجنبية تحتاج إلى فهم المترجم العميق لما يقرؤه، بجانب صعوبة الاختيارات لنقل النص الأصلي إلى اللغة الهدف، والقارئ عادة ما يكون تحت رحمة المترجم وقراراته.

وعلى سبيل المثال، يستخدم أرسطو الكلمة اليونانية "eidos" لتعني "شكل" في عبارة مثل "المواد مكونة من الشكل والمادة"، ولتعني "فصائل" في عبارة مثل "الإنسان من الفصائل التي تقع تحت جنس الحيوان"، ولكن في اللغة العربية كما هو الحال في اللغة الإنجليزية فإن الكلمتين مختلفتان، ونتيجة هذه الحقيقة تعين على المترجمين العرب أن يقرروا معنى الكلمة في كل مرة استخدمها أرسطو، وفي بعض الأحيان كان من الصعب تحديد المعنى المقصود.

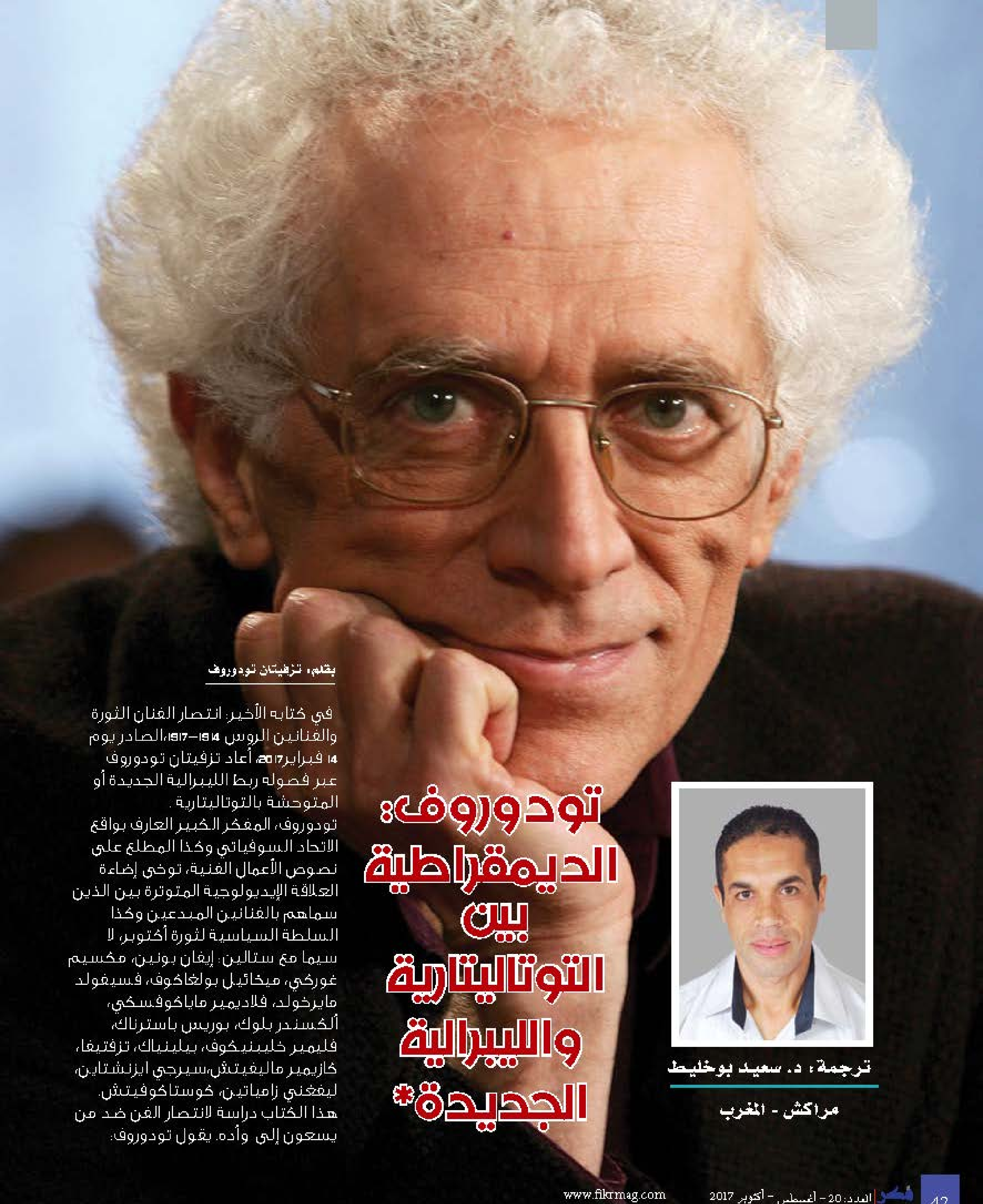
أما بالنسبة للترجمة العربية لأفلاطون فكان الحال أبعد من اختيار الكلمات، فتوجب على المترجمين التدخل في النص لإبراز أهمية تدريس أفلاطون وتطويع أفكاره.

وهنا يبرز السؤال المهم: ما دور "الكندي" في كل هذا؟

في الحقيقة نحن غير متأكدين تمامًا، فمن الواضح أنه لم يترجم أي شيء بنفسه وربما لم يعرف الكثير من اللغة اليونانية، ولكنه ورد أنه صحح ترجمة أفلاطون العربية التي من الممكن أنه أضاف عليها من أفكاره الفلسفية على النص الأصلي، واعتبر "الكندي" ومعاونوه أن الترجمة الحقيقية هي التي تعكس الحقيقة وليس فقط النص الأصلي، ولكن الكندي نفسه لم يكن راضيًا عن هذا، فقد كتب سلسلة من الأعمال المستقلة على شكل رسائل إلى أسياده وكان الخليفة أحدهم، وأوضحت تلك الرسائل أهمية وقوة الأفكار اليونانية وكيف يمكنها أن تتناول مخاوف الإسلام في القرن التاسع.

كان "الكندي" مثل رجل العلاقات العامة للأفكار اليونانية الذي لم يكن يتبع فلاسفة اليونان القدماء بشكل أعمى، بل على العكس تمامًا تبنت أعماله الأفكار اليونانية، وعندما حاول "الكندي" التعرف على المبدأ الأول لأرسطو وأفلاطون وربطه مع الله في القرآن الكريم كانت الطريقة مستقاة بالفعل من الترجمات التي تعاملت مع موضوع الخالق، وعلم حينها "الكندي" أن ترجمة الأعمال الفلسفية يمكن أن تكون خطوة أولى لدراسة الفلسفة.

المصدر: Aeon



تودوروف: الديمقراطية بين التوتاليتارية والليبرالية الجديدة*

بقلم: تزفيتان تودوروف

ترجمة: د. سعيد بوخليط

مراكش - المغرب

في كتابه الأخير: انتصار الفنان الثورة والفنانين الروس 1914–1917، الصادر يوم 14 فبراير 2017، أعاد تزفيتان تودوروف عبر فصوله ربط الليبرالية الجديدة أو المتوحشة بالتوتاليتارية .

تودوروف، المفكر الكبير العارف بواقع الاتحاد السوفياتي وكذا المطلع على نصوص الأعمال الفنية، توخى إضاءة العلاقة الإيديولوجية المتوترة بين الذين سماهم بالفنانين المبدعين وكذا السلطة السياسية لثورة أكتوبر، لا سيما مع ستالين: إيفان بونين، مكسيم غوركي، ميخائيل بولغاكوف، فسيفولد مايرخولد، فلاديمير ماياكوفسكي، ألكسندر بلوك، بوريس باسترناك، فليمير خليبنيكوف، بيلينياك، تزفتيفا، كازيمير ماليفيتش،سيرجي ايزنشتاين، ليفغني زامياتين، كوستاكوفيتش.
هذا الكتاب دراسة لانتصار الفن ضد من يسعون إلى وأده. يقول تودوروف:



كان انهيار جدار برلين بداية لانهيار الأنظمة الشيوعية

«نتج عن الثورة الروسية ظهور أول دولة توتاليتارية في التاريخ. بعد أن أنكرها بعدة جزء من الرأي العام الأوروبي، شكل أطراد السياق موضوع توافق عام جدًا. بالتالي، لا يقتضي الأمر اليوم شجاعة خاصة من أجل استحضار النتائج المشؤومة لثورة أكتوبر. أيضًا ملاحظة ذلك يمثل منبعًا لنوع من الكبرياء، سيقولون: حسنًا ديمقراطياتنا ناقصة، لكنها على أية حال تحظى بالتفضيل قياسًا لما يجري عند الأنظمة الشمولية وكذا الثيوقراطيين أو الديكتاتوريات العسكرية التي تزدهر في مكان آخر. أليست هذه الصفحة من التاريخ، قد طُويت تمامًا بالنسبة لنا؟ ألم تمت الشمولية ودفنها؟، ولن تتكرر عمومًا قط تلك التجربة الجهنمية داخل أقطارنا! سنكون أكثر فطنة من أجدادنا، ولن نسمح أبدًا بإقامة نظام سيئ كهذا. نحن سعداء بالعيش تحت كنف الديمقراطية، وفخورون بذلك، ونرثي لحال الذين أخلفوا هذا الموعد، وكذا تأخرهم بخصوص السعي نحو الأفضل.

إذن لماذا العودة ثانية إلى تلك اللحظة الماضية، هل لا زالت تستحق اهتمام أفراد الديمقراطيات الليبرالية في الغرب؟

لقد اتجهت نحو استحضار ذلك، ليس فقط لأني أجد مصير شخصياتي مؤثرًا أو لكونه يجسد وقائع درامية، ثم ليس فقط جراء اهتمام بتاريخ يعود إلى كوني أحد المواطنين القدامى لبلد حكمه نظام توتاليتاري، وكذا ماض بعض أقربائي، الذين يكبرونني سنًا، بل أيضًا نتيجة اعتقادي أن هذا الماضي القديم زهاء قرن تقريبًا والذي حدث في بلد اختفى (الاتحاد السوفياتي) ينطوي على شيء يفيدنا نحن مواطني المنظومة الغربية المنتمين للقرن الواحد العشرين.

والحال، أن التأكيد على إمكانية القراءة هاته، يعني الإقرار في ذات الوقت بنوع من الاستمرارية أو التشابه بين نمطين للدولة مختلفين جدًا، أقصد الأنظمة الشيوعية ماضيًا ثم الديمقراطيات الليبرالية حاضرًا.

سجن بئيس:

هذه الخلاصة – لا تتأتى بالنسبة إلي من تلقاء ذاتها– تقتضي بعض التفسيرات. ليس فقط لا تتم من تلقاء ذاتها، لكن لو قرأت هذا أو سمعته قبل خمسين سنة تقريبًا، أي قليلاً بعد وصولي إلى فرنسا قادمًا من بلغاريا، لشعرت بالغضب. أولاً ستصدم حساسية فرد انتمى سابقًا إلى بلد توتاليتاري. لقد علمونا هناك في المدرسة، وعبر وسائل الإعلام، أن كل شيء سيئ "هنا" في الغرب، وعلى النقيض بالطبع مختلف ما يوجد لدينا جيدًا، غير أن نتيجة هذه البروباغندا بالنسبة إلي وكذا العديد من الأشخاص، قادت نحو كشف عدم صواب ما يروج له تمامًا: هناك (أي الغرب)، الرخاء والحرية في ذات الوقت، بينما كنا نعيش بين جدارن سجن، حقًا واسعًا لكنه كئيبًا.

تطلعنا بقوة قصد الانتقال إلى الضفة الأخرى المقابلة للستار الحديدي جعلنا نحكم بالذوق السيئ جدًا على كل ملاحظة قد توحي لنا بوجود استمرارية ما بين القطبين. كل واحد منا يعلم أكثر المصير التراجيدي لباقي شعوب البلدان التوتاليتارية، القريبة أو البعيدة، نسيان معاناتهم، ثم مماثلتهم بتجربة أفراد الغرب غير المهتمين، مثلما تخيلنا الوضع، شكل موقف استخفاف غير مقبول نحوهم وكذا مصيرهم، إنه خيانة.

بالتأكيد، بمجرد وصولنا إلى بلدان تلك الديمقراطيات الليبرالية، سندرك حقًا أن التناقض لم يكن بذات التباعد،

> "لقد علمونا هناك في المدرسة، وعبر وسائل الإعلام، أن كل شيء سيئ "هنا" في الغرب، وعلى النقيض بالطبع مختلف ما يوجد لدينا جيدًا، غير أن نتيجة هذه البروباغندا بالنسبة إلي وكذا العديد من الأشخاص، قادت نحو كشف عدم صواب ما يروج له تمامًا: هناك (أي الغرب)، الرخاء والحرية في ذات الوقت بينما كنا نعيش بين جدارن سجن، حقًا واسعًا لكنه كئيبًا."

وليس كل الوضع ممتازًا في بلدان الاستقبال، لكن بدا لي دائمًا التعارض بين النظامين السياسيين واضحًا جدًا، وتلتقي دائمًا ميولاتي السياسية عند نفس المنطلق. خلال أولى سنوات استقراري في فرنسا، لم تكن لعملي المهني أي نقطة مشتركة مع الأسئلة التي أقاربها هنا (واكتفيت بالاشتغال على الهندسة الداخلية للأعمال الأدبية).

مع ذلك، وانطلاقًا من سنوات 1980، استشرف عملي "أسئلة المجتمع ثم تمرست على نماذج التحليل السياسي



أفغانستان كانت ابتداية لحرب أمريكا

والأخلاقي. تحليلات بدت لي مؤيدة لحدوسي السالفة، بحيث تبينت دائمًا تعارضًا مباشرًا بين التوتاليتارية والديمقراطية، سواء في بنية المجتمعات المعنية بالأمر وكذا أحكام القيمة التي تضمرها عنها.

مجتمعان متعارضان:

سنوات 1990، كرست مجموعة من الدراسات حول الأنظمة الشمولية، مستندًا على نفس التقطيع المفهومي: لقد أظهرت هذين الصيغتين للمجتمع كنقيضين متعارضين، حتى ولو أدخلت ضمن ذلك بعض أشكال الفروق المتعلقة بالإغراء الذي يمكن أن تثيره الأنظمة الشمولية أو بعض نقائص الديمقراطيات. في عملي التأملي: ذاكرة الشر، السعي إلى الخير (منشورات لافون، 2000) المخصص لتاريخ أوروبا خلال القرن العشرين، أوضحت بأن النزاع بين التوتاليتارية والديمقراطية، مثّل الحدث الأكثر أهمية خلال تاريخ هذا القرن، ثم وصفت من جهة ثانية الشمولية السوفياتية أو النازية، باعتبارهما شيئًا جديدًا راديكاليا، انبثق خلال تلك اللحظة.

لقد اطلعت على بعض الآراء المختلفة عن تصوراتي، لكنها لم تستأثر باهتمامي رغم أنها صادرة عن أفراد كابدوا شخصيًا قساوة النظام الشيوعي.

رغم ذلك، اهتديت مع كتابي ذاك الصادر سنة 2000، إلى صياغة نقد كلي للنظام الديمقراطي الذي نعيش في

> "نهاية الحرب الباردة، يرمز إليها بسقوط جدار برلين، بمعنى ثان انهيار الأنظمة الشيوعية، داخل أوروبا الشرقية أولاً، ثم في روسيا نفسها."

ظله، معتمدًا على وقائع معاصرة. كان باعثها المطلق تحولاً أسميته منذ زمن بعيد من اعترافاتي بـ: نهاية الحرب الباردة، يرمز إليها بسقوط جدار برلين، بمعنى ثان انهيار الأنظمة الشيوعية، داخل أوروبا الشرقية أولاً، ثم في روسيا نفسها. صحيح أن هذه الواقعة، تبدو من الوهلة الأولى، مؤكدة للتعارض غير القابل للاختزال بين هذين النمطين من الأنظمة، ما دام قد تخلى أحدهما عن مختلف طموحاته، بينما الثاني ظل متمسكًا بكل عنصر من مشروعه. واقعة، فسرها كثير من الملاحظين باعتبارها انتصارًا للخير على الشر.

مع ذلك أحدثت نتائج هذا الانقلاب -على الأقل فيما يخصني- مفعولاً معاكسًا. تلاها تفاعلان لم أحدسهما تمامًا. من جهة، المجموعة البشرية للبلدان الشيوعية السابقة التي يلزمنا فعلاً أن نلاحظ جيدًا، كونها لم تعش الانتقال من النظام السابق عن الأشكال الأكثر ديمقراطية للحكم وكذا اقتصاد السوق كخطوة كبيرة نحو السعادة، مثلما (وكذا العديد من الملاحظين المتعاطفين) يتم التطلع إليها: ظاهريًا، انطوت تلك التحولات على نتائج أخرى، اعتبرت غير مقنعة. ومن جهة ثانية، تلك المتعلقة بالبلدان الغربية الكبيرة، في طليعتها الولايات المتحدة الأمريكية، التي استفادت من هذه النهاية لتوازن الرعب وكذا التنافس بين المعسكرين "الاشتراكي" ثم "الرأسمالي"، كي تنهج سياسة هجومية جديدة. تمثل هدفها المعلن في الارتقاء بالقيم الديمقراطية الكبرى وحقوق الإنسان، لكن نتيجتها الوحيدة الجلية اتجهت صوب تعضيد سيطرة تلك البلدان على باقي العالم. لذلك فهي تقترب، بشكل خطير من الممارسات الشمولية الشنيعة.

أفعال من هذا القبيل- تدخلات بالقوة في الشؤون الداخلية لبلدان أخرى- ظهرت أولى إرهاصاتها خلال الحقبة السابقة عن فترة الحرب الباردة، لكنها بدت مقتصرة على منطقة مجاورة (أمريكا اللاتينية بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية) فضلاً عن ذلك، شكلت

جانبًا من سياسة إقامة حواجز أمام الخصم الشيوعي، كانت نفسها أسلوبًا عدوانيًا وإن بكيفية مقبولة. لقد أوحى انهيار جدار برلين عدم حاجة تلك السياسة إلى مبررات من هذا القبيل. حرب الحلف الأطلسي على يوغوسلافيا، المتزامنة مع فترة كتابة هذا العمل، أظهرت إلي حقيقة جديدة: كانت المنظومة الديمقراطية قادرة على نهج مسارات ثانية قريبة من صنيع البلدان الشمولية.

لم تجعلني هذه المقارنة أكثر تساهلاً نحو بعض الممارسات الشمولية، لكن حذرًا جدًا حول بعض تطورات الديمقراطية. هذه الأخيرة حسب مبدئها ليست بنظرية للخلاص، فلا تقدم وعدًا عن جنة أرضية، ولا تشرئب غاية الوصول بأفرادها إلى الكمال. لكنها أيضًا ربما تأثرت بالجور، والشطط، لا سيما لحظات انتصارها. كل شيء يتم كما لو أن الطوباوية، باعتبارها حتى الآن امتيازًا لليسار، قد نعتقد بموتها بعد سقوط الأنظمة الشيوعية، انتقلت يمينًا إلى المذاهب المسماة (خطأ) بالمحافظين الجدد، المتبناة أساسًا في الولايات المتحدة الأمريكية فترة حكم بوش، وتركت أثرًا حول السياسة سيتبع هنا أو هناك.

توازن أكثر للرعب:

أهداف كتلك برزت الحرب على العراق سنة 2003، بحيث لا زالت نتائجها ماثلة سواء في الشرق الأوسط بل وباقي العالم. على هذا النحو، صرح الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش شهر سبتمبر 2002: «إن مسؤوليتنا أمام التاريخ واضحة: الجواب على هذه الهجمات (11 سبتمبر 2001) وتخليص العالم من الشر». ثم أيام بعد ذلك، وفي إطار كراسة رسمية للبيت الأبيض، سنقرأ معها 'المهمة الرسمية' المنوطة بحكومة الولايات المتحدة الأمريكية و'تأكيد انتصار الحرية على أعدائها'.

منذ أن انتفى توازن الرعب، توالت الحروب التي خاضها الغرب خلف الولايات المتحدة الأمريكية، بغير انقطاع تقريبًا، من يوغوسلافيا إلى أوكرانيا، ومن أفغانستان إلى سوريا، ومن الصومال إلى ساحل العاج.

لقد انقادت فرنسا والمملكة المتحدة، الإمبراطوريتان الاستعماريتان القديمتان، وراء الحركة في فرنسا، تبنى أطروحات المحافظين الجدد اليسار مثل اليمين تمامًا. هكذا، يمكننا أن نلاحظ شكلاً للمسيحية السياسية سواء مع الأنظمة الشيوعية وكذا الديمقراطيات الليبرالية الحالية.

ممارسة بعيدة على أن تكون الوحيدة الذي توحي باستمرارية بين الأنظمة الشمولية خلال القرن العشرين مع التاريخ الأوروبي الذي سبقها وتلاها. استمرارية لا تتجلى في علاقات وحيدة بين بلدان، اعتدنا على رؤيتها منفلتة من كل ضبط (تقوم على 'حالة طبيعية')، لكن كذلك في إطار تلك القائمة داخل البلد الواحد بين أفراد وحكوماتها. لم تسقط علينا هذه الأنظمة الشيوعية من كوكب مارس، بل ارتبطت بسمات عديدة مع الأفكار التي أثارت العقول خلال القرون السابقة، والعديد من خصائصها لا زالت مستمرة منذ اختفائها، بين طيات العالم الذي نعيش فيه.

لا زالت الطوباوية ماثلة:

نواصل اليوم التماس النظرية المسيحية وكذا الأنوار ثم ماركس ونيتشه والعلم والإيمان. نحلم دائمًا بتحسين الجنس البشري رغم اعتمادنا بشكل أقل على قوة التربية وتأثير الوسط، مقارنة بالتلاعب في شفرة الوراثة. يتطلع دائمًا الماسكون بزمام السلطة إلى سيطرة تامة على شعوبهم، حتى ولو اعتمدوا بشكل أقل على شرطة حاضرة كليًا وقنوات المخبر، قياسًا إلى التكنولوجيا التي تلتقط 'المعطيات الكبرى' لمختلف تبادلاتنا الإليكترونية.

تحتاج اليوم الديمقراطيات الليبرالية مثل سابقاتها إلى صورة عدو ليس إنسانيًا تمامًا، يلزمها محاربته وإذا أمكن إبادته (لا حرية لأعداء الحرية!) لكن بدل الأرستقراطيين البورجوازيين، سنجد الإرهابيين الإسلاميين. من نواحي عدة، تتشابه الليبرالية المتوحشة المعاصرة مع الشمولية الشيوعية، أكثر من الليبرالية الكلاسيكية للقرنين 17 و18. استبداد الأشخاص كالدولة، قد تكون له نتائج جسيمة.

البروميثوسية، الطوباوية، والسعي إلى الخير بمثابة طرق للتفكير والتأثير حاضرة في عالمنا منذ عصر النهضة والأنوار، ضمنها المجتمعات الشمولية للقرن العشرين وكذا ديمقراطيات الليبراليات المتوحشة المنتمية للقرن الواحد والعشرين.

يدفعنا العالم المعاصر، بنفس مستوى المجتمعات الشمولية، فيما يتعلق بكل ميادين الشغل، العدالة، الصحة، التربية، نحو ما سماه: 'الآن سوبيو' ب"الحكم بالأعداد" اتجاه وصف منذ عهد قريب بالتصور المثالي من طرف إنجلز، أي استبدال 'إدارة الأشياء بحكم الأفراد'. يتواصل، حاليًا كما الشأن منذ عهد قريب، مسار التنميط، التقنين وكذا جعل الأفراد يمتثلون لنفس النموذج السلوكي. كل هذا يؤدي إلى ضبط الفرد بواسطة المجتمع وفي نفس الآن إزالة الصفة الإنسانية عن البشر.

إن الوقوف على هذه المعطيات لضعف الديمقراطية لا يعني أننا نتنازل عن مبدئها المثالي بل على العكس، مجرد إشارات أولى ينبغي لها أن تحثنا على مزيد من الديمقراطية".



جانب من القصف الأمريكي على بغداد في 2003



الصوت أحد أسلحة الحروب

نسمع بكثير من أنواع الأسلحة المستخدمة في الحروب، ولكن لم يخطر لنا أن الأصوات تستخدم أيضًا كسلاح معنوي للتعذيب، إنه صوت الخوف.

استخدمت الأصوات عبر التاريخ كوسيلة للسيطرة والسلطة، الخبير الموسيقي "لورانس انجلش"، مؤسس موقع "Room40"، استكشف هذه الظاهرة لمختلف أنواع الأسلحة، وهنا حسبما ورد في " FACT" فإنه يوضح تأثير هذه الأصوات على البشر.

1 - طائرات "FA-18 Super Hornets":

حلقت الطائرة الحربية في سماء مدينة "بريزبن" الأسترالية، وذلك خلال الاستعدادات لعرض الألعاب النارية السنوية، فأثارت أصوات محركاتها الخشنة الرعب في قلوب سكان المدينة دون أن يتمكنوا من رؤية الطائرة.

ويذكر "لوراس" الذي يقطن بالمدينة أن ابنه البالغ من العمر عامين بدأ بالبكاء بسبب الضوضاء العالية.

ونشأت الكثير من الأساطير العالمية حول الأصوات التي ليس لها مصدر واضح، كأسطورة "Yanari" اليابانية التي تعزو أصوات اهتزاز المنزل ليلاً إلى وجود أرواح تئن تحته.

2 - أبواق أريحا:

يذكر التاريخ أن الاستخدام الأول للأصوات كسلاح في الحروب كان في معركة أريحا، والتي دارت بين طوائف بني إسرائيل والكنعانيين.

حيث تمكن الإسرائيليون من تحطيم وسحق أسوار أريحا باستخدام أبواقهم، دون أي مساعدة ميكانيكية أو هندسية، مما أثر بشكل كبير في إضعاف البشر نفسيًا، وحرمانهم من النوم، وإصابتهم بالذعر، حتى أطلقوا عليها اسم "موجة الصدمة".

3 - صافرة الموت:

ظهر أحد أكثر الأسلحة الصوتية المخيفة أخيرًا باسم صافرة الموت، صممت قبائل مكسيكية في العصر ما قبل الكولومبي هذا السلاح على شكل جمجمة، ويتم استخدامها من قبل الجيش بشكل جماعي بالنفخ فيها فتصدر صوتًا سمي "صرخة الألف جثة".

4 - أسلحة الحرب العالمية الثانية:

طورت ألمانيا أحد أكثر الأسلحة شهرة في استخدام الصوت كسلاح مخيف خلال الحرب العالمية الثانية، أحدها قاذفة القنابل "ستوكا 87" والتي أطلق عليها لقب "بوق أريحا".

وظهرت القنبلة الطائرة "V1" إثر نجاح "ستوكا 87"، وعلى الرغم من ضعف قدرتها التفجيرية إلا أنها أثبتت قوتها من خلال صوتها العالي، والذي صنف كسلاح إرهاب نفسي وتهديد صوتي قوي.

5 - القنابل الصوتية:

استخدمت الحكومة الأمريكية القنابل الصوتية ضد "نيكاراغوا"، كجزء من حملة لزعزعة الاستقرار لعقدين من الزمان.

بدأ العمل على هذا النوع من القنابل بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك لتطوير طائرات أسرع من الصوت.

واكتشف أن الطائرات تظهر دويًا قويًا حين تتجاوز الطائرة سرعة الصوت، وهو 1236 كلم في الساعة في الهواء الجاف عند 20 درجة مئوية، وسميت الظاهرة باسم "دوي اختراق حاجز الصوت".

6 - شريط الشبح رقم 10:

طبقت القوات الأمريكية عملية "الأرواح المتجولة"، ضد "فيت كونج" وهي الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام، خلال حرب فيتنام.

حيث عمل مهندسون أمريكيون على تسجيل أصوات مخيفة، تتظاهر بقتل "الفيت كونج" لتنشر الخوف والاضطراب بين صفوف العدو.

7 - الطائرات بدون طيار:

تزايد الاستخدام العسكري للطائرات بدون طيار، مما أدى إلى ظهور أشكال جديدة من الإرهاب الصوتي.

حيث أكدت جامعة ستانفورد في دراسة أن من يعيشون تحت مجال هذه الطائرات يشعرون بمستويات عالية من القلق والخوف والانزعاج.

8 - أجهزة صوتية بعيدة المدى "LRAD":

بدأ استخدام هذه الأجهزة في بداية عام 2000، وتعد وسيلة اتصال لمسافات طويلة في القوات البحرية، وتصل إلى ثلاثة كيلومترات.

جاء استخدامها في المقام الأول للتواصل أثناء الحصار وحالات الكوارث، ولكن حين استخدم للتفرقة في احتجاجات قمة "G20" "بيتسبرج" في سبتمبر 2009، أدى ذلك لإصابة أحد المطالبين بتلف مستديم في سمعه، وحصوله على تعويضات قدرها 72 ألف دولار.

9 - الموسيقى:

طبقت الشرطة العسكرية في اليونان بين عامي 1967 و1974 ما أسمته "وحدة التحقيق الخاصة"، والتي تستخدم الموسيقى بطريقتين مختلفتين.

إحداهما بتشغيل الموسيقى بصوت عالٍ جدًا، لفترات طويلة من الزمن أمام المحتجزين.

والأخرى إجبارهم على غناء الأغنية نفسها مرارًا وتكرارًا.

استخدمت أيرلندا الشمالية في أوائل 1970 الأسلوب نفسه، بمسمى "غرفة الموسيقى"، وبتشغيل الضوضاء البيضاء بصوت عالٍ جدًا.

ويوجد خارج الغرفة جهاز يدعى "Curdler"، يستخدم لتعذيب السجناء عن طريق إصدار أصوات عالية التردد بالنسبة للبشر.

تأثير هذه الأصوات على الإنسان

هناك جانبان مهمان عند النظر في التأثير الفسيولوجي للصوت:

استمرارية الصوت وحجمه، ويلعب هذان الجانبان دورًا مهمًا وكبيرًا في أثر الصوت على الإنسان، فمعظم الأصوات المسموعة تكون بين 20 هرتز و20 ألف هرتز.

أما الأصوات الداخلية لأجسامنا فغالبًا ما تكون ذات تردد منخفض، لا يمكن لأذن الإنسان سماعها، ولكنها تسبب قلقًا فسيولوجيا في اللا وعي.

وهكذا استخدمت الأصوات كسلاح حيوي يؤثر في جسم ونفسية وفسيولوجية الإنسان، وعلى الرغم من أن استخدام الصوت كسلاح لا يزال في بداياته، إلا أنه يلعب دورًا تهديديًا في الحروب بسبب قوته في هزم الخصم دون أن يترك أي علامات جسدية.



صورة رمزية لاستخدام الأول لأبواق أريحا كسلاح في الحروب في معركة أريحا بين طوائف بني إسرائيل والكنعانيين



LRAD جهاز صوتي بعيد المدى استخدم أول مرة لتفرقة احتجاجات قمة "G20" "بيتسبرج" في سبتمبر 2009





طائرة ستوكا 87 الألمانية استخدمت في الحرب العالمية الثانية

المصدر: FACT



الصورة المشرقة للحضارة الإسلامية في الدراسات الغربية



سعيد عبيدي

أستاذ باحث في مجال حوار الحضارات ومقارنة الأديان- المغرب

لقد أدى مجيء الإسلام إلى انبثاق كبير لروح العلم؛ إذ نشأت علوم كاملة في اسمها ومفهومها من مصطلحات وجهود عربية وإسلامية، فقد برز الإسلام في وقت مبكر من القرن السابع الميلادي في شبه الجزيرة العربية وأنتج حضارة متطورة للغاية كان مصيرها أن تؤثر عميقًا في تطور الثقافة الأوربية كلها من بعد، فحين كانت العصور المظلمة بما فيها من وحشية تجتاح القارة الأوربية كان الإسلام يزدهر، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث الصحابة على تحصيل العلم واحترام الحكمة فقد جرى تطوير الكثير من العلوم ودراستها على نحو جاد من قبل علماء المسلمين، والذين سيؤثرون لاحقًا بدراساتهم وأبحاثهم في تطور العالم الغربي، ويفتحون بما توصلوا إليه أعين الغربيين الذين درسوا الإسلام دراسة عميقة، وليس مستغربًا أن ينصف العشرات من هؤلاء الغربيين الإسلام وحضارته بعد أن تعرفوا على عظمته ومكانته بين الأديان السماوية الأخرى، فقد قالوا كلمة حق سطرها التاريخ على ألسنتهم وفي كتبهم وتراثهم، وهو ما سنتعرف عليه من خلال هذه الدراسة التي استقيت فيها أقوال وشهادات بعض هؤلاء المفكرين المنصفين الذين تجردوا من الهوى والتعصب، ونظروا إلى حضارة الإسلام بعين الإعجاب والانبهار.

• **غوستاف لوبون (1841-1931)**



لقد اعتبر هذا الطبيب والمفكر الفرنسي أن الحضارة الإسلامية هي التي مهدت للحضارة الغربية لكي تتطور وتتقدم؛ يقول: "إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوربية الوحشية في عالم الإنسانية، فلقد كان العرب أساتذتنا، وإن جامعات الغرب لم تعرف موردًا علميًّا سوى مؤلفات العرب، فهم الذين مدنوا أوروبا مادةً وعقلاً وأخلاقًا، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه، إن أوروبا مَدينة للعرب بحضارتها، والحق أن أتباع محمد كانوا يدلوننا بأفضلية حضارتهم السابقة، وإننا لم نتحرر من عقدتنا إلا بالأمس، وإن العرب هم أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين، فهم الذين علموا الشعوب النصرانية، وإن شئت فقل: حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان، ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيرًا من أخلاق أمم الأرض قاطبة"[1].

• **توماس أرلوند (1864-1920)**



لم يفت هذا المفكر الإنجليزي أن يذكر أهله من الغرب أن الحضارة الإسلامية انتشرت بفعل الحرية الدينية والتسامح، ولم تنتشر كما هو متداول بالقوة وحد السيف؛ يقول في كتابه "الدعوة إلى الإسلام": "إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى، لقد ظل الكفار على وجه الإجمال ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلاً في أوروبا حتى عصور حديثة جدًّا، وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم طبقًا لتعاليم القرآن، وإن مجرد وجود كثير من الفرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلت قرونًا في ظل الحكم الإسلامي لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نعم به هؤلاء المسيحيون"[2].

ويقول أيضًا في تمجيد حضارة الإسلام وقيامها على العدل والتسامح وعدم التعصب: "وقد نجد عوامل أخرى ساعدت على تناقص الشعب المسيحي في الحقيقة، ولكننا لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن اضطهاد منظم قُصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها (فرديناند، وإيزابيلا) دين الإسلام من إسبانيا، أو التي جعل بها (لويس الرابع عشر) المذهب البروتستانتي مذهبًا يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مُبعدين عن انجلترا مدة ثلاث مائة وخمسين سنة، وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالا تامًا عن سائر العالم المسيحي الذي لم يكن فيه أحد يقف في جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين، ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من التسامح نحوهم"[3].

• **دافيد سانتيلانا (1845-1931)**

وهو مستشرق إيطالي متخصص في الفقه الإسلامي والقانون الروماني بالإضافة إلى تاريخ الفلسفة، أشاد في كتاباته بتميز الحضارة الإسلامية في جميع المستويات ولا سيما في الجانب القانوني والتشريعي؛ يقول: "إن الرابطة التعاونية الموجودة بين الخليفة والشعب تبقى متينة وثيقة العرى ما دام الخليفة صالحًا للقيام بواجبه في حماية المجتمع الإسلامي، فإذا لم يعد أهلاً لمنح شعبه ما يريد منه، بطل سلطانه وفسخ العقد شرعًا بين المتعاقدين، ويتم هذا الفسخ والإلغاء عند العجز الجسماني أو عند فقدانه الحرية، كوقوع الخليفة أسيرًا في يد المشركين والكفار، إن اختيار رئيس المجتمع الإسلامي لا يمكن تركه للظروف والصدف أو لأعمال العنف والطغيان، بل يجري انتقاؤه بعد التفكير الملي والتأمل الحكيم الناضج، وتقوم بانتقائه تلك الصفوة المنتخبة من أهل الرأي، الذين هم وحدهم يقدرون أن المرشح للخلافة صالح لملء هذا المنصب أم لا؟. إن الناخبين هم أولئك الذين عرفوا بعلمهم ومنزلتهم وتجاربهم في أمور الدين والدنيا، وبأخلاقهم المتينة، هؤلاء وحدهم يصلحون لأن يكونوا المحكمين في هذا الشأن وإليهم"[4].

• **مونتغمري وات (1909-2006)**



وهو مستشرق بريطاني عمل أستاذًا للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي بجامعة أدنبرة، تخصص في دراسة علم الكلام الإسلامي، له مجموعة كبيرة من المؤلفات والدراسات لم يخف فيها إعجابه بالحضارة الإسلامية، ولا سيما ما تعلق بعالمية الإسلام وحضارته؛ يقول: "إن رسالة الإسلام التي وجهت في البداية لأهل مكة والمدينة كانت تحمل في طياتها بذور العالمية أو أنها كانت منذ البداية أو منذ مضمونها الأول ذات أبعاد عالمية، ولقد كان إحكام النظرة العالمية للإسلام كونه دينًا عالمي النزعة مما جعله يستوعب تراث المسيحية الباقي بين شعوب الشرق الأوسط التي كانت مسيحية، ومن هنا فقد أصبح المفكرون المسلمون هم حملة الثقافة العقلية لكل المنطقة...، إنه في الحاضر والمستقبل المرئي من الضروري أن نعرف أن الأديان الكبرى لدى كل منها ما يتمم الآخر؛ فكل دين من هذه الأديان صحيح في نطاق منطقة ثقافية خاصة، والأديان يكمل بعضها بعضًا، وعلى المدى البعيد من المتوقع أنه سيكون هناك دين واحد للعالم كله، مع وجود اختلافات داخل نطاق هذا الدين الواحد، والإسلام بالتأكيد مناضل قوي، ومنافس عظيم الشأن، سيعمل على مد الدين الواحد دين المستقبل بهيكله الأساسي"[5].

• **برنارد لويس (1916 - ...)**



وهو مستشرق معاصر، بريطاني الأصل، ومؤرخ مختص في الدراسات الشرقية الإفريقية بلندن، ورغم أنه يهودي يعاصر ما تقوم به الصهيونية العالمية ويباركه إلا أنه لم يخف إعجابه بالحضارة الإسلامية؛ يقول في أحد مؤلفاته: "لقد كان الإسلام تأسيسًا لدين جديد، وإمبراطورية جديدة، وحضارة جديدة، لقد قامت حضارة أصيلة مستوحاة من العقيدة الإسلامية، ومتمتعة بحماية الدولة الإسلامية، ومدعمة بثراء اللغة العربية، حضارة تنمو وتتسع وتعيش طويلاً، وقد صنعها الرجال والنساء من مختلف الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كل شيء فيها بالعروبة والمبادئ والقيم الإسلامية"[6].



• إدوارد بروي (1887-1972)

هو صاحب كتاب "تاريخ الحضارات العام: القرون الوسطى"، وهو جزء من أكبر وأفضل الموسوعات التاريخية الشاملة، والتي تسرد تاريخ الأمم ابتداء من حضارة الشرق واليونان القديمة وانتهاء بعهدنا المعاصر، ذكر فيه مما ذكر أن الحضارة الإسلامية استطاعت أن تصل إلى مستوى العالمية في الوقت الذي كانت فيه الحضارات الأخرى تقوم على أنقاض بعضها البعض، يقول: "بين أوربا الغربية الآخذة بالقهقرى، وبين العالم الأسيوي الذي بدأ يستجمع نشاطه ويسترجع عافيته ظهر الإسلام كالشهاب الساطع، فغير بفتوحاته السريعة القاصمة، وباتساع رقعة الإمبراطورية الجديدة التي أنشأناها نحن أمام شعب كان بالأمس الغابر مجهول الاسم، مغمور الذكر، فإذا به يتحد ويتضامن في بوتقة الإسلام، هذا الدين الجديد الذي انطلق من الجزيرة العربية اكتسحت جيوشه ببضع سنوات الدولة الساسانية وهدت أركانها، ورفرفت بنوده فوق الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية في آسيا وإفريقيا ولم يلبث جيوشه أن استولت بعد قليل على معظم إسبانيا وصقلية، وأن تقتطع لأمد من الزمن بقصر أو بطول بعض المقاطعات الواقعة في غربي أوربا وجنوبها ودقت جيوشه بعنف شديد أبواب الهند والصين والحبشة والسودان الغربي وهددت فرنسا والقسطنطينية، وقد تهاوت الدول أمام الدفع العربي الإسلامي كالأكر، وتدحرجت التيجان على رؤوس الملوك كحبات سبحة انفرط عقدها التظيم وذابت الأديان التي سيطرت على الشعوب والأقوام كما يذوب الشمع أمام النار بعد أن أطل على الدنيا دين جديد"[5].

وبخصوص سماحة المسلمين وعدم تعصبهم اتجاه المسيحيين الذين كانوا يكيلون للمسلمين التهم بإسبانيا ويعرضونهم لشتى أنواع العذاب يقول: "ما لابد من التنويه به عاليًا أن هؤلاء السلاطين العثمانيين لم يظهروا أي تحرج أو تعصب اتجاه المسيحيين، في وقت وزمان كان فيه ديوان التفتيش يبطش بالناس بطشًا وينزل بهم الهلع، وفي عهد كان اليهود والمسلمون يطردون دونما رحمة أو شفقة من إسبانيا، وبالرغم من إسكان عدد كبير من الجاليات الإسلامية في البلقان، واعتناق بعض الجماعات البلقانية الإسلام فلم يأت العثمانيون شيئًا مهمًا ليمنعوا السواد الأكبر من سكان البلاد البلقانية من الاحتفاظ بنصرانيتهم"[9].

• زيغريد هونكه (1913 - 1999)

وهي مستشرقة ألمانية صرفت جل وقتها للدفاع عن قضايا العرب والوقوف إلى جانبهم، في كتابها الشهير "شمس العرب تسطع على الغرب" تحدثت بإسهاب عن الحضارة الإسلامية محاولة إبراز جوانب قوتها ومدى تأثيرها على الحضارات الأخرى، تقول: "إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من لا شيء لهي جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني، وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة الفريدة من نوعها، لدرجة تجعلها أعظم من أن تُقارَن بغيرها، وتدعونا أن نقف متأملين: كيف حدث هذا ؟! إنه الإسلام الذي جعل من القبائل المتفككة شعبًا عظيمًا، آخت بينه العقيدة، وبهذا الروح القوي الفتي شق العرب طريقهم بعزيمة قوية تحت قيادة حكيمة وضع أساسها الرسول بنفسه، أو ليس في هذا الإيمان تفسير لذلك البعث الجديد ؟! والواقع أن روجر بيكون أو جاليليو أو دافنشي ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي، إنما السباقون في هذا المضمار كانوا من العرب الذين لجؤوا – بعكس زملائهم المسيحيين – في بحثهم إلى العقل والملاحظة والتحقيق والبحث المستقيم، لقد قدّم المسلمون أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم، وإن كل مستشفى وكل مركز علمي في أيامنا هذه إنما هي في حقيقة الأمر نُصب تذكارية للعبقرية العربية، وقد بقي الطب الغربي قرونًا عديدة نسخة ممسوخة عن الطب العربي، وعلى الرغم من إحراق كتب ابن سينا في مدينة بازل بحركة مسيحية عدائية، فإن كتب التراث العربي لم تختف من رفوف المكتبات وجيوب الأطباء، بل ظلت محفوظة يسرق منها السارقون ما شاء لهم أن يسرقوا"[10].

وعن مدى تأثير الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الغربية تقول: "إن النور الذي سطع في سماء الغرب المظلمة آنذاك كان بلا ريب حدثًا عظيم الشأن قويًا، فبواسطة العرب تعرفت أوروبا على أهم آثار القدامى، وبفضل ترجماتهم للمخطوطات اليونانية وتعليقاتهم عليها، وبفضل آثارهم الفكرية الخاصة أدخلت إلى العالم الغربي روح التفكير العلمي والبحث اللذين ما كانا بحاجة إلا إلى اليقظة والغذاء.



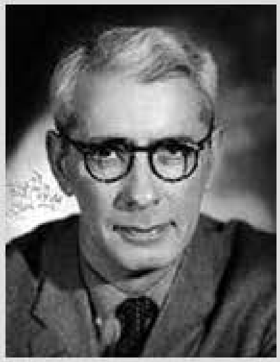
إن أرقام العرب وآلاتهم التي بلغوا بها حدًا من الكمال، وحسابهم وجبرهم، وعلمهم في المثلثات الدائرية، وبصرياتهم الدقيقة، كل ذلك أفضال عربية على الغرب ارتقت بأوروبا إلى مكانة مكنتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصة أن تتزعم العالم في ميادين العلوم الطبيعية منذ ذلك التاريخ حتى أيامنا هذه"[11].

• لي فوان فين

مستشرق صيني معاصر، وكيل وزارة الخارجية الصينية، وعضو مجمع الخالدين للغة العربية بالقاهرة، وصاحب الدراسات العاشقة لتراث وحضارة العرب والمسلمين. يقول منبهرًا بالحضارة الإسلامية: "إن الحضارة الإسلامية من أقوى حضارات الأرض، وأنها قادرة على اجتياز أي عقبات تواجهها؛ لأنها حضارة إنسانية الطابع، عالمية الأداء، رفيعة القدر علميًا وفكريًا وثقافيًا. وبعدما تعمّقتُ في الأدب العربي القديم والحديث ازداد اقتناعي بأن الشرق يمتلك سحر الحضارة والأدب والثقافة، وأنه صاحبُ الكلمة المفكّرة والعقلية المنظمة. إذن فالحضارة الإسلامية تحمل عوامل البقاء؛ لأنها عصيّة على الهدم، لتوافر أركان التجدد والحيوية في نبضها المتدفق، وهي من أقوى حضارات الأرض قاطبة؛ لأنها تستوعب كل ما هو مفيد من الآخر وتصهره في نفسها ليصبح من أبنائها، بخلاف الحضارة الغربية المعاصرة. كما أن الحضارة العربية الإسلامية تتسم بأنها عالمية الأداء والرسالة، إنسانية الطابع، جوهرها نقي ومتسامح"[7].

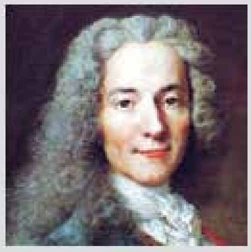
• روبرت بريفولت (1876 - 1948)

وهو مؤرخ وطبيب بريطاني لم يخف إعجابه بالحضارة الإسلامية وقوتها ومدى تأثيرها في باقي الحضارات الأخرى، يقول: "ما من ناحية من نواحي الازدهار الأوربي إلا يمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشوف مدهشة ونظريات مبتكرة، بل إنه مدين بوجوده ذاته، ولم يكن "بيكون" إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوروبا المسيحية، وهو لم يَمَلّ قط من التصريح بأن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق، ولقد انبعثت الحضارة الإسلامية انبعاثًا طبيعيًا من القرآن، وتميزت من الحضارات البشرية المختلفة بطابع العدل والأخلاق والتوحيد، كما اتسمت بالسماحة والإنسانية والأخوّة العالمية"[12].



• فولتير (1694 - 1778)

يقول هذا الأديب ممجدًا للإسلام والمسلمين ودحضًا للقول بأن حضارتنا وديننا انتشر بالسيف: "ليس صحيحًا أن الإسلام استولى قهرًا وبالسيف على أكثر من نصف الكرة الأرضية هذه شائعات تحاول أن تقلل من قيمة الإسلام ورسوله، لكن أكبر سلاح استعمله المسلمون لبث الدعوة هو اتصافهم بالأخلاق العالية، والدليل على أن الإسلام لم ينتشر بسيف أن كثيرين اعتنقوا الإسلام وهم بعيدون عن بلاده وغزواته وفتوحاته فكيف إذن وصلهم السيف الذي يدعيه مؤرخونا وخطباؤنا، نريد أن نمحي هذه الأخطاء التي ترتكز عليها الكارهون للإسلام وللتاريخ، فالذين يكذبون على التاريخ لا يستحقون أدنى احترام"[13].



هكذا إذن يتبين لنا على مدار هذه الصفحات أن الكثير من العلماء والدارسين ممن أعجبوا بالإسلام والحضارة الإسلامية سطروا أقوالاً بماء من ذهب، سيظل التاريخ يشهد لهم بها، فهم لم يعمهم التعصب والحقد الديني عن استشراف الحقائق والجهر بها، وما علينا نحن اليوم إلا إيصال ونشر هذه الشهادات، إيمانًا منا بأن الإسلام ما جاء إلا رحمة للناس أجمعين.

المراجع:

1 – غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2000، ص: 26.

2 – أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971، ص: 62.

3 – نفسه، ص: 147–148.

4 – سانتيلا، القانون والمجتمع، ترجمة: جرجس فتح الله، الطبعة الثانية، بيروت، 1972، نقلا عن الحسيني الحسيني معدى، علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، دار الكتاب العربي، حلب، الطبعة الأولى، 2007، ص: 165.

5 – مونتغمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2001، ص: 125–127 بتصرف.

6 – برنارد لويس، السياسة والحرب، نقلاً عن شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، ترجمة: محمد زهير السمهوري، تحقيق: شاكر مصطفى، سلسلة عالم المعرفة، العدد 8، أغسطس 1978، الكويت، ص: 174.

7 – http://islamstory.com/ar/%D8%B4%D9%8

8 – إدوارد بروي، كلود كاهين، جورج دوبي، ميشال مولات، جانيت أبوايه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة: فريد داغر ويوسف أسعد داغر، منشورات عويدات، بيروت ج3، ص: 109

9 – نفسه، ص: 589–590.

10 – زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية على أوربا، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، 1993، ص، 150.

11 – نفسه، ص: 163.

12 – انظر: الحسيني الحسيني معدى، علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، دار الكتاب العربي، حلب، الطبعة الأولى، 2007، ص: 149–150.

13 – فولتير، رسالة في التسامح، ترجمة: هنرييت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع بشراكة مع رابطة العقلانيين العرب، دمشق، الطبعة الأولى، 2009، ص: 101، بتصرف



المقالة الثلاثون في الجراحة أعظم ما أبدعه الطب العربي



د. محمد الأبرص

طبيب وكاتب سوري

كان الطبُّ أكثر العلوم الطبيعيّة تطوّرًا وازدهارًا في العصر الذهبي للحضارة العربيّة الإسلاميّة وقد برزت أسماء كثيرة حملت لواء هذا التطوّر مازلنا حتى بعد أكثر من ألف عام نعرفهم حق المعرفة ونذكرهم بكلّ فخر واعتزاز، ورغم أنّ الطب العربيّ بدأ أول ما بدأ معتمدًا على الكتب التي أمر المأمون وغيره بترجمتها ولكنّ الأطباء المسلمين أضافوا على طبّ العالم القديم الكثير فجمعوا المُتفرّق وأكملوا الناقص وصحّحوا الخاطئ.

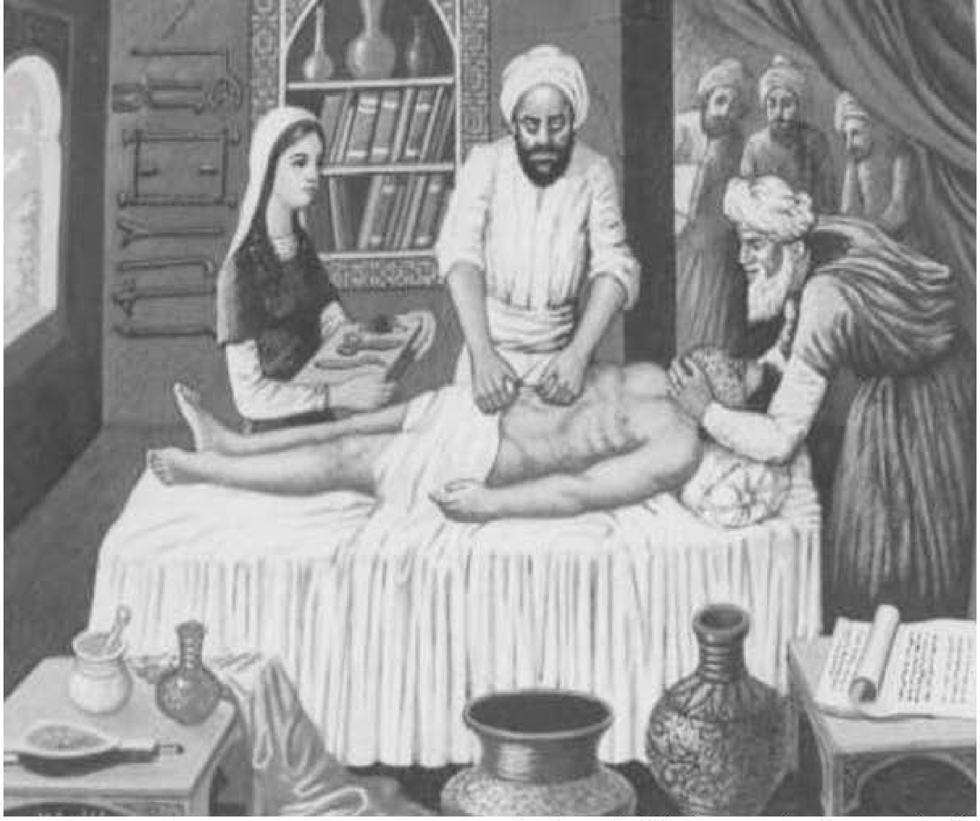
وقد يكون من الإنصاف أن نقول كما قال الفيلسوف والمؤرخ الكبير ويل ديورانت (1885 - 1981) William Durant في موسوعة قصة الحضارة : «إنّ أبا بكر الرازي هو أعظم أطباء العصور الوسطى وابن سينا أعظم من كتب في الطب في تلك العصور»[1].

فكتاب القانون لابن سينا تفوّق فور ظهوره على كتب أبقراط وجالينوس واستوعب تقريبًا كل ما كان معروفًا في الطب حتى ذلك الوقت وظلّ المرجع الأوّل في هذا العلم الجليل في أغلب العالم لمئات السنين ووصفه الطبيب والمؤرخ الأمريكي الشهير ويليام أوسلر (1849 - 1919) William Osler: «بأنّه أشهر كتاب طبيّ في التاريخ البشري كله ... وأنّه ظلّ الكتاب المُقدَّس في الطب medical bible لمدة أطول بكثير من أي كتاب آخر»[2] وأمّا أبو بكر الرازي فيكاد يُجمع أساتذة تاريخ العلم على أنّه أعظم طبيب مسلم على الإطلاق فممارساته السريرية وإبداعاته في تشخيص الأمراض المستعصية وكتبه ورسائله شكّلت علامة فارقة في طب العصور الوسطى.

وإذا ما تركنا ابن سينا والرازي والمشرق الإسلامي ويمّمنا صوب الأندلس يبرز عَلَمٌ آخر من أعلام الطب وهو أبو القاسم الزهراوي والذي وصفه أحد مؤرخي الغرب المعاصرين بأنّه حامل لواء الجرّاحين المسلمين[3] ووصل الحدّ ببعضهم لاعتباره أحد آباء الجراحة والمؤسّس الحقيقي لها[4] وعلى كل حال فالجراحة كانت أضعف فروع الطب الإسلامي وأقلّها تطورًا بسبب الاعتراضات الدينيّة والأخلاقيّة على تشريح جسم الإنسان حيًّا وميتًا مقابل تطور ملحوظ في الطب العلاجي بالعقاقير والأدوية النباتيّة والمركبة[5] وهكذا كانت مهمّة الزهراوي الذي تفرّغ للجراحة ونَذرَ لها حياته أصعب بكثير من مهمّة ابن سينا والرازي لأنّهما وجدا في طب العالم القديم أساسًا متينًا للبناء عليه والانطلاق منه بينما كان على الزهراوي أن يُوجِد علمًا جديدًا ويُنشئه ممّا يشبه العدم.

وبعد خمسين عامًا من الممارسة الطبيّة الجراحيّة أبصرَ النورَ كتابُه "التصريف لمن عجز عن التأليف" ورغم أنّه لا يقارن من حيث الأهميّة والتأثير بالقانون والحاوي ولكنّ الجزء الأخير منه والمعروف "بالمقالة الثلاثون في الجراحة" أو "عمل اليد" هو الذي خلّد اسم الزهراوي على مرّ العصور وجعل منه نموذجًا خاصًا وحالةً فريدة في تاريخ الطب الإسلامي ويمكن اعتبار هذا الجزء الذي خصصه الزهراوي بالكامل للجراحة فاتحة عصر جديد من عصور الطب والأرضية الصلبة التي شمخ فوقها بنيان الجراحة الحديثة[6].

ففي ثنايا المقالة الثلاثون في الجراحة نجد الزهراوي يصف بدقّة وإتقان الكثير من الأدوات الجراحية التي اخترعها بنفسه ومازال بعضها مستخدمًا حتى عصرنا الحاضر والعديد من العمليات الجراحية التي يؤكد الأدب الطبي أنّها لم تكن معروفة قبله[7] بالإضافة لإجراءات ومواضيع وأفكار كان أوّل من تطرق لها، ومنها مثالاً لا حصرًا:



الزهراوي يجري عمل جراحي شخصيات الطب العربي في لوحات د. سلمان قطاية

الحديث عن طرقٍ فعّالة لتعقيم الأدوات الجراحية بالخل والكبريت وكيفيّة إجراء الضمادات بصورة عقيمة، توصياته بعدم خياطة الشرايين المقطوعة وسدّ الأنف في حالات الرعاف الشديد وتحضير الجروح الملتهبة قبل خياطتها، ابتكار فكرة المفجّر drain والقسطرة البولية وخزع الرغامى tracheostomy والحقنة الشرجيّة وسحب حصيات المثانة، وصفَ بالتفصيل طرق إيقاف النزف أثناء الجراحة والعلامات السريريّة للكسور وطرق إجراء القُطب الجراحيّة ومنها القطب التجميليّة intradermal، وبعد ذلك تحدث بكل أريحيّة ورحابة صدر عن الأخطاء والاختلاطات الجراحيّة التي وقع فيها خلال مشواره الطويل[8].

لاحقًا تُرجم هذا السِفرُ الجليل إلى اللاتينيّة على يد جيرارد الكريموني (1114 - 1187) Gerardus Cremonensis وتوالت طباعته وترجماته إلى لغات العالم المختلفة وأُعجب به الشرق والغرب وتأثّر به كبار جراحي أوروبا في عصر النهضة وهم الذين قامت الجراحة المعاصرة على أكتافهم، يقول ويل ديورانت: «تحتوي موسوعة الزهراوي المسماة بالتصريف عدة أجزاء في الجراحة أصبحت بعد أن تُرجمت إلى اللاتينيّة المرجع الأعلى في الجراحة قرونًا عديدة»[9].

يقول ويل ديورانت: «تحتوي موسوعة الزهراوي المسماة بالتصريف عدة أجزاء في الجراحة أصبحت بعد أن تُرجمت إلى اللاتينيّة المرجع الأعلى في الجراحة قرونًا عديدة»

لاريب أنّ المتأمّل لتاريخ العلم ومسيرته من عصرٍ لعصر ومن حضارة لأخرى سيجد أنّ كلّ الأمم والشعوب ساهمت - وإنْ بمقادير متفاوتة - في هذه المسيرة المُتواصلة حتى يومنا هذا، والطبُّ الإسلامي هو مثالٌ واضحٌ على ذلك فقد كان مُتأثّرًا وفائمًا على الطب اليوناني ومُؤثّرًا ومنشئًا للطب الأوروبي ولكن الحال مختلفٌ تمامًا مع رائعة الزهراوي "المقالة الثلاثون في الجراحة" والتي كانت كتابًا أصيلاً وجديدًا وإنتاجًا فكريًّا مبتكرًا وغير مُعتمِد على ما قبله، ومن الطبيعي بسبب كل ذلك أن نضع هذا الكتاب في صدارة الإبداعات الطبية العربية التي تفتّق عنها الفكر العربي الإسلامي في أوج ازدهاره.

المراجع

1 - قصة الحضارة ويل ديورانت. ترجمة زكي نجيب محمود ومحمود محمد بدران. دار الجيل بيروت لبنان . 1988. ج13 ص196

2-Osler library of the history of medicine : The Evolution Of Modern Medicine. William Osler. Kessinger Publishing 2004. P71

3 - قصة الحضارة ويل ديورانت. ترجمة زكي نجيب محمود ومحمود محمد بدران. دار الجيل بيروت لبنان . 1988. ج13 ص309

4 - Handbook to Life in the Medieval World . Cosman . Infobase Publishing 2008. P528530-

5 - قصة الحضارة ويل ديورانت. ترجمة زكي نجيب محمود ومحمود محمد بدران. دار الجيل بيروت لبنان . 1988. ج13 ص189

6 - Arabian Medicine and Its Influence on the Middle Ages . Campbell. London 2001. p88

7- Life-enhancing plastics : plastics and other materials in medical applications. Holmes-Walker. London 2004. p176

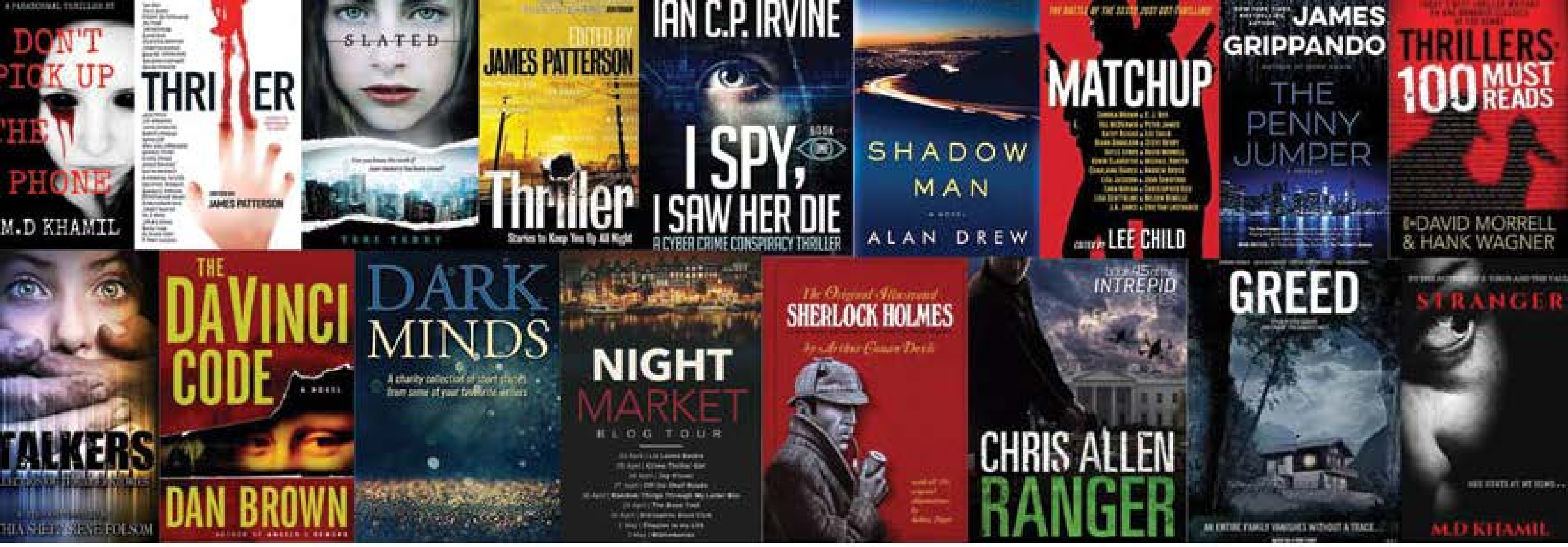
8 - المقالة الثلاثون في الجراحة. الزهراوي. تحقيق الدكتور محمد زكور . منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة دمشق. 2006. ص14

9 - قصة الحضارة ويل ديورانت. ترجمة زكي نجيب محمود ومحمود محمد بدران. دار الجيل بيروت لبنان. 1988. ج13 ص309



أصبحت قصص التشويق أكثر من مجرّد شغف، إذ تحوّلت إلى نزعة جنونية بامتياز! لا تتردّد دور النشر اليوم في إصدار أعمال مماثلة وترتفع مبيعات الروايات البوليسية بنسبة لافتة. لكن ما سبب هذا الإدمان المستجدّ لهذا النوع من القصص؟

قصص التشويق... علاج من نوع آخر



زادت إصدارات قصص التشويق الغربية بنسبة 9% بين عامي 2014 و2015

يعتاد الأولاد منذ صغرهم على قصص التشويق التي يطالعونها في المدرسة لأنها تقدّم لهم مادة جاذبة، وتشوّق القراء وتجعلهم يتعلقون بأبطال القصة ويترقبون الأحداث، من ثم يطرحون الفرضيات في عقلهم عن التطورات المرتقبة، حتى أنهم قد لا يرتاحون قبل إنهاء الكتاب بالكامل!

يبرع بعض الكتّاب في جذب القراء بهذه الطريقة. ومن الملاحظ أن الشابات تحديدًا ينجذبن إلى قصص التشويق ويجدن فيها متعة خاصة.

نجاح لافت

زادت إصدارات قصص التشويق الغربية بنسبة 9% بين عامي 2014 و2015. توزعت الروايات على مختلف دور النشر وتسعى الشركات الجديدة والشهيرة إلى مواكبة هذه الموجة. تصدر كل دار نشر عشرات الروايات المماثلة سنويًا ويدخل ثلث الروايات التي تُباع في فرنسا مثلاً في خانة قصص التشويق. ولا ننسى عدد مستخدمي الإنترنت الذين يقومون بخيارات مشابهة.

بدأ علماء النفس يهتمون بهذا الموضوع، لذا جمعوا تجارب عدد من محبي قصص التشويق للكشف عن جانب عميق من خصائصهم النفسية، من بينها الفراغ النفسي والشعور بالاضطهاد... على صعيد آخر، تكثر المعارض والمهرجانات الأدبية في السنة الواحدة، ويقف الناس في صفوف طويلة بانتظار أن يوقّع لهم الكتّاب على نسخهم. كذلك يؤكد نجاح المسلسلات التي تحمل طابعًا غامضًا ومشوّقًا توسّع هذه النزعة.

قلق ومتعة

ما سبب ميلنا إلى حب التشويق؟ مثل الأولاد، نحبّ جميعًا أن نغوص في عالم مزيّف، لتحسين طريقة تحكّمنا بالمخاوف التي تجتاحنا في وجه هذا العالم، أو تترسّخ فينا بسبب فكرة الموت والوحدة. عند قراءة حوادث مخيفة، ستفرّغ مخاوفنا من خلالها لأننا نعرف أننا لسنا معنيّين بها.

تتعلق ميزة أخرى بقدرة قصص التشويق على جذب انتباه القراء. عندما نغوص في حوادث غامضة، سنخرج من ذاتنا ونتخيّل نفسنا في حافلة أو قطار أو نتجوّل في جزر بعيدة أو أحياء معاصرة...

يمكن اختبار هذه التجارب كلها مقابل كلفة ضئيلة. وتعطي الكتب في هذه الحالة أثرًا شبيهًا بالتنويم المغناطيسي. يتحدّث البعض عن ظاهرة «الإدمان»، لكن لا يوافق جميع الأطباء المتخصصين بمشاكل الإدمان على هذا الرأي. يهدف الإدمان بطبيعته إلى تطوير مشاعر المتعة والراحة، ويظهر بعد فشل متكرر في السيطرة على الذات والإصرار على السلوك السلبي رغم معرفة تداعياته!

لكن مع قصص التشويق، يستطيع القارئ دومًا السيطرة على نفسه ويختبر مشاعر المتعة وينمّي حسّ الفضول لديه. ما من آثار سلبية في هذه الحالة، إذ يذهب القارئ إلى عمله بشكل طبيعي حتى لو لم ينتهِ من قراءة الكتاب المشوّق.

على صعيد آخر، قد نشعر بأننا نتجاوز المحظورات عن طريق القراءة لأن الأهوال التي يرتكبها المجرمون في القصة تبهرنا: تقوم تلك الشخصيات بسلوكيات لا نجرؤ على فعلها وتتماشى مع انفعالاتنا السادية الكامنة. بهذه الطريقة، يمكن أن نستمتع بما نقرأه بكل أمان من دون تكرار الحوادث في حياتنا.

أثر عقدة أوديب

وراء هذه النزعات كلها نجد عقدة أوديب الشهيرة في عالم الطب النفسي! لم يكن أوديب بطل أول قصة تشويق في العالم فحسب (أوديب الملك Oedipus the King)، بل تشكّل هذه الشخصية الأساس البنيوي لمؤلفات الأدب البوليسي كافة أيضًا. في حالات كثيرة، نبحث عن القاتل في القصة كي نكتشف في النهاية أنه الراوي! تتكرّر هذه الحبكة في روايات بوليسية كثيرة.

في السياق الذي تتراجع فيه مكانة الأب الرمزية، يرصد التحليل النفسي شعورًا لا واعيًا بالذنب يرتبط بالهوة القائمة بين أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء، فضلاً عن شعور السلطة المطلقة الذي يؤجج حالة القلق، لا سيما في الغرب. كلما تطوّر شعور الذنب في اللاوعي، تنجح قراءة قصص التشويق في تقديم راحة متزايدة. أسلوب القراءة في هذه المؤلفات مشوّق: تتطور الشرور ثم تتجه إلى الحل قبل أن تتلاشى نهائيًا. تعطي هذه المقاربة أثرًا شبيهًا بالنشوة.

تعد الكاتبة الفرنسية إنغريد ديجور التي اشتهرت برواياتها البوليسية أن زيادة مبيعات هذه الكتب عام 2015 تحمل جانبًا «مُطَهِّرًا»، بحسب رأيها. تنامت حاجة الكتّاب والقرّاء معًا إلى تطهير عواطفهم عبر الروايات مع زيادة مظاهر القلق ومواجهة الموت مباشرةً في تلك السنة خلال اعتداءات شهري يناير ونوفمبر. توضح ديجور: «كانت الكتابة في حالتي أشبه بمُطهِّر للجروح. كنت أحتاج إلى مخدّر عاطفي».

يلجأ أشخاص كثيرون إلى القراءة لتجاوز صدمة الاعتداءات وإيجاد مصدر إلهاء، ولو أنهم لا ينجحون بالكامل في الابتعاد عن الهموم التي تشغل بالهم، لكن تساهم الكتب على الأقل في تصفية الذهن وإعادة النظر في الحوادث الحاصلة.

رأي

الصحافية أودري بولفار: قصص التشويق تكشف سواد الروح البشرية «كنت لا أزال طالبة حين بدأتُ أغوص في عالم قصص التشويق. لم أحصر قراءاتي بهذه الفئة من الروايات، لكن لطالما احتلّت هذه الكتب مكانة مميزة في نظري.

يبقى كتاب Necropolis (المقبرة) للروائي هيربرت ليبرمان المفضّل لديّ. قرأته منذ أكثر من 25 عامًا، ولا يمكن أن أتحدث عنه اليوم من دون أن أتأثر. منذ ذلك الحين، بدأتُ أستمتع بأعمال إلرو ولوكاريه وليفينستون كافة... في هذه الكتب، لا أتأثر بالحوادث المشوّقة بل بالشخصيات لأن الكتّاب يطرحون حياتها النفسية بسلاسة ودقة.

تسمح هذه التجربة باكتشاف سواد الروح البشرية وإخفاقاتها وتقلباتها وتحديد المسافة التي تركها الكاتب مع أبطاله، تحديدًا ما يتعلق منها بشخصيات المجرمين والفاسدين.

من خلال العلاقة مع الشخصيات، يمكن أن نختبر مشاعر التقارب والنفور... في النهاية لا مفر من أن أتساءل: كيف كنت لأتصرف لو أنني مكانه؟ لكني لا أجد الإجابة مطلقًا».



الجواهري شاعر العرب الأكبر

الشاعر محمد مهدي الجوهري المعروف بـ"شاعر العرب" الأكبر أحد أعمدة الشعر العربي في القرن العشرين، وآخر شعراء الكلاسيكية السحرية في الشعر العربي.. أسطورة تشكلت عبر قرن من الزمن، وطالما اختلف مع رؤساء دول وملوك وأمراء.

ولـد الشاعـر العراقـي محمد مهدي الجواهـري في 26 يوليـو 1899 وتوفي في دمشـق في 27 يوليو 1997 ودفن فيها، وتعـود قصـة التسميـة والنسـب بالجواهـري إلى عائلـة نجفية عريقـة، نزلت في النجف منذ القرن الحادي عشر الهجـري، وكان أفرادهـا يلقبون بـ"النجفـي"، واكتسبت لقبهـا الحـالي "الجواهـري" نسبـة إلى كتـاب ألفه أحد أجـداد الأسرة وأسمـاه "جواهر الـكلام في شرح شرائع الإسـلام" ويضـم 44 مجلـدًا، لقـب بعدهـا بـ"صاحـب الجواهـر"، ولقبـت أسرته بـ"آل الجواهـري" ومنه جاء لقب الجواهري.

البدايات مع الشعر والصحافة:

كتب الجواهـري أول قصيدة متكاملة في عام 1920 ضد الاحتلال الإنكليـزي، بعنوان "ثورة العشريـن" نُشرَت في جريـدة العـراق آنذاك. ثـم راح ينشـر قصائده في مجلة "العرفـان" الصيداوية، وفي مجلـة "الهلال" المصرية، و"لسان العرب" البغدادية.

يقول الجواهري: عن البدايات، حيث نظم الشعر في سن مبكـرة وأظهر ميلاً منذ الطفولة إلى الأدب فأخذ يقرأ في كتاب البيان والتبيين ومقدمة ابن خلدون ودواوين الشعر، واشـترك في ثـورة العشريـن عـام 1920 ضـد السلطـات البريطانيـة، وصدر له ديوان "بين الشعور والعاطفة" عام 1928م. وكانـت مجموعته الشعريـة الأولى قد أعدت منذ عـام 1924م لتُنشر تحت عنـوان "خواطر الشعر في الحب والوطـن والمديح". ثم اشتغل مـدة قصيرة في بلاط الملك فيصـل الأول عندما تُوج ملكًا علـى العراق بعد ذلك ترك الاشتغال في البلاط الملكي وراح يعمل في الصحافة بعد أن غادر النجـف إلى بغداد، فأصـدر مجموعة من الصحف منهـا جريدة (الفرات) وجريـدة (الانقلاب) ثم جريدة (الـرأي العام) وانتخب عدة مـرات رئيسًا لاتحاد الأدباء العراقيين.

وأصدر الجواهري جريدته (الفرات) ثم ألغت الحكومة امتيازهـا وحاول أن يعيـد إصدارها ولكن بـدون جدوى، فبقي بدون عمل إلى أن عُيّن معلمًا في أواخر سنة 1931 في مدرسة المأمونية، ثم نقل إلى ديوان الوزارة رئيسًا لديوان التحريـر، ومن ثم نقل إلى ثانوية البصـرة، لينقل بعدها لإحدى مدارس الحلة.

في أواخـر عـام 1936 أصـدر جريـدة (الانقـلاب) إثر الانقـلاب العسكري الذي قاده بكر صدقـي لكنه سرعان ما بـدأ برفض التوجهـات السياسية للانقـلاب، فحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر وبإيقاف الجريدة عن الصدور شهرًا بعد سقوط حكومة الانقلاب غير اسم الجريدة إلى (الرأي العام)، ولم يتح لها مواصلة الصدور.

ولأنه كان مـن المؤيدين المتحمسين لثـورة 14 تموز 1958 وقيـام الجمهورية العراقية لقـب بـ"شاعـر الجمهورية" وكان في السنتين الأوليين من عمر الجمهورية من المقربين لرئيـس الـوزراء عبـد الكريم قاسـم، ولكـن انقلبت هذه العلاقة فيمـا بعد إلى تصادم وقطيعـة، واجه الجواهري خلالهـا مضايقات مختلفة، فغادر العـراق عام 1961 إلى لبنان، ومن هناك استقر في براغ.

وأقـام في بـراغ بتشيكوسلوفاكيـا سبع سنـوات من عام 1961 الى أواخـر العام 1968، ثم عـاد إلى منفاه في أواخر السبعينيات واستقر في أوائل الثمانينيات في دمشق.

شاعر العرب الأكبر:

خلـع عليـه النقـاد والأدباء العديـد من الألقـاب منها: "ديـوان العـرب الكبيـر" و"متنبـي القـرن العشرين" و"شيخ المنفيـين" و"شاعر الشعراء (وغيرها من النعوت والألقاب).

لقـب "شاعـر العـرب الأكبـر" استحقـه بجـدارة في وقـت مبكر في حياتـه الشعرية، وارتضاه لـه العرب أينما كان وأينمـا كان شعـره، رغـم أن الساحـة العربيـة كانت مليئـة بالشعراء الكبـار في عصره. فقـد حصل على هذا اللقب عن جـدارة تامة وإجماع مطلـق ويؤكد السيد فالح الحجيـة الكيـلاني الشاعـر العراقي في كتابـه الموجز في الشعـر العربـي - شعـراء معاصـرون «إن الجواهري لهو متنبـي العصـر الحديـث لتشابه أسلوبـه بأسلوبـه وقوة قصيـده ومتانـة شعره» وقيـل «لم يأتِ بعـد المتنبي شاعر كالجواهري» لهذا طبع شعـر الجواهري في ذهن الناشئة مـن كل جيل مفاهيـم وقيمًا شعرية إنسانيـة لا تزول. أما التجديـد في شعره فجاء مكللاً بـكل قيود الفن الرفيع من وزن وقافية ولغة وأسلوب وموسيقى وجمال وأداء.

وقـد امتاز الجواهري بأنه كان من فرسان اللغة العربية لسانًـا وفصاحةً، وفي مقدمـة المناضلين في الأمة العربية، والمعبّرين عـن آمالها وآلامها حيث عايش الغربة والمنفى إجبارًا واختياريًـا لا يـكل ولا يلين في التحدي وممارسة



الجواهري في ختام امسية شعرية في براغ



الجواهري ونقيب الصحافيين السوريين في دمشق

عقائده الوطنية والقومية والإنسانية على مدار عمره المديد، فلم يتخلَّ عن عراقته الأصيلة ومحبته العميقة لوطنه العراق ولأمته العربية التي وصفه الكثيرون "بهرم" العروبة تيمُّنًا بأهرام مصر، فاستحق هذا التوصيف لما له من قامة شامخة راسخة في الشعر العربي وأدبياته الرفيعة.

شعره:

تأثر الجواهري في مطلع حياته ومسيرته الطويلة بأحداث ومواقف وطنية بارزة في بلده وشعبه، فقد كان لمقتل أخيه جعفر في معركة الجسر برصاص الشرطة، تأثير كبير في نفسه وشعره ومقالاته، فكان في مقدمة صفوف الثائرين، ومن قصائده التي يخاطب فيها الاستعمار والحُكّام المستبدين ومشيدًا بالشهداء ما جاء في إحداها قائلًا:

يوم الشهيد تحية وسلامُ
بكَ والنضال تؤرّخُ الأعوامُ
بكَ والضحايا الغرّ يزهو شامخًا
علم الحساب وتفخُر الأرقامُ
بكَ والذي ضمّ الثرى من طيبهم
تتعطّرُ الأرضون والأيامُ
بكَ يبعث "الجيل" المحتّم بعثه
وبكَ القيامة للطغاة تُقامُ

ونلمح في قصائد الجواهري في أغلب الأحيان روائع وطنية وقومية واجتماعية وإنسانية حيث إنه يصعب التحدث عن الجواهري الشاعر بمعزل عن الجواهري السياسي والجواهري التراثي. فهو شاعر المعركة المزدوجة ضد الاستعمار وضد الاستبداد والاستغلال الطبقي والإقطاعي والرأسمالي وذلك بفعل تماهيه مع آلام شعبه وآمال الكادحين وطنيًا وإنسانيًا. فانطلاقًا من مواقفه ومبادئه هذه، فقد دعا الجواهري الأدباء والشعراء إلى ضرورة التزامهم ودفاعهم عن الحق والحقيقة والعدالة، وحتمية التلاحم الفكري بين المبدعين على اختلاف أطيافهم، فهم في نظره كهنة الحقيقة والجمال في معبد الحياة، وهيكل الحرية. وفي هذه المعاني يقول:

يا زمرة الشعراء شف نفوسهم
قرطان: فرط جوى، وفرط عذاب
ذابوا ليسقوا الناس من مهجاتهم
خير الشراب، مشعشع الأكواب
وتحرّقت منهم لتعلي شعلة
لبلادهم، كتل من الأعصاب

ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أنّ الجواهري قد خصّ دمشق بشعره الراقي الجميل رفيع المستوى حيث بلغ ذروة تألقه في قصيدة "دمشق يا جبهة المجد" وفيها يقول:

شممت تربكِ لا زُلفى ولا ملقا
وسرت قصدك لا خبًّا ولا مذقا



عبدالمقصود خوجة يكرم الشاعر محمد مهدي الجواهري في جدة عام 1415 هـ. ويظهر في الصورة (أقصى اليسار) الشاعر يحيى السماوي (اثنينية عبدالمقصود خوجة)



الشاعر محمد مهدي الجواهري يلقي قصيدة في أثناء تكريمه وبجانبه عبد المقصود خوجة (اثنينية عبد المقصود خوجة)

ومن الجدير بالذكر أنّ الجواهري قد غادر العراق في صيف عام 1961، بعد أن سُدّت أمامه السبل، وضيّقوا الخناق حوله، فانتهز دعوته لحضور حفلة تكريم الشاعر اللبناني الأخطل الصغير (بشارة الخوري) بإمارة الشعر، في بيروت، لمغادرة العراق. وها هنا نستمع إلى الجواهري وهو يشكو بشارة (الأخطل الصغير) ما لاقاه من الحكومة العراقية:

أبشارة ويايما شكوى أهزك ياحبيبي...
هل صك سمعك إنني، من رافديّ بلا نصيبِ
في كربة وأن الفتى المراح، فراح الكروبِ
وزعت جسمي في الجسوم، ومهجتي بين القلوب

وفيما يتعلق بقصائد الجواهري ذات النوع الفريد الخاص المميّز، ما شملته هذه القصائد من مواضيع التحدّي والكبرياء والاعتداد بالنفس، ورفض الزيف والخداع. فمثلًا قصيدة "أزح عن صدرك الزبدا" التي ألقاها بعد حصوله على جائزة "اللوتس" تعكس هذه الأفكار، ويصفها الجواهري بأنها من أعزّ قصائده وأحبها إلى نفسه. وقد جاء في مطلع هذه القصيدة:

أزِح عن صدرك الزبدا
ودعهُ يبث ما وجدا
وخل حطام موجدة
تناثر فوقهُ قصدا
أزِح عن صدرك الزبدا
وقل تعِد العصور صدى

أأنتَ تخاف من أحـد
أأنتَ مُـصـانـعٌ أحـدا
أتخشَ الناسَ أشجعهم
يخافكَ مغضبًا حردا
ولا يعلوكَ خيرهُـم
ولستَ بخيرهـم أبدا
تركت وراءكَ الـدنيا
وزخرفهـا ومـا وعـدا
ومـا منّـتكَ مثقلـةً
بمـا يرضيكَ أن تلدا
ورُحتَ وأنتَ ذو سعة
تجيعُ الأهـلَ والـولـدا

لقـد كان الجواهري محافظًا على لغته وبناء قصيدته، ومع أنه أحد فحـول الشعـر العربي الكلاسيكي الموزون المقفّى، فقـد كان دعـاة "الحداثـة" يقـدّرون مكانتـه ويعترفون له بمواهبه الشعرية وفرادته الأدبية والفكرية.

ومـع أن الجواهـري كان عربيًّا صميميًّا أصيـلًا، إلّا أنّه أحـبَّ الأكراد الذيـن بادلوه هـذا الحب ومـلأت دواوينه مكتبات الأكراد حيث كان شعـره عنوان التواصل والأخوة العربية – الكردية، وفي الوقت نفسه كان الجواهري شاعر العرب الأكبر في عقله وهواه ومشاعره، تستقبله وتفاخر به بلاد العالم العربي وهو العراقي المتميز بشخصه وانتمائه العروبي الأصيل.

ويُـبـرّر محمد مهدي الجواهري كتابتـه قصيدة للرئيس العراقـي (في حينـه) أحمـد حسـن البكر وابنـه محمد، وكذلـك قصيـدة لصـدام حسين، بأنـه قـد كتـب تلك القصائد بدافـع "الوحدة الوطنية" والشـام الشمل، "بل إنَّ ظـروف المرحلـة والواقع السياسـي، كان يفرض بعض التوجهـات"، بالإضافة إلى تسويغه لهـذا الأمر بأنَّ البكر وصدّام قد كرّماه في حينها، وعومل بشكل خاص.

وممّـا يشـار إليه أنّ عـددًا كبيرًا من الشعـراء والأدباء والمفكريـن قـد كتبـوا وأشـادوا بشخـص الجواهـري وشاعريتـه الفـذّة، ومنهم الشاعر اللبنـاني الكبير سعيد عقل الذي قال عنه:

"إنّـه العظيـم الـذي انـزاح عـن العصـر". كما قال فيـه الشاعـر محمـود درويش بـأنّ "الجواهـري ابـن القـرن العشريـن في إصغائـه للزمن وحضوره الدائم في حركـة الواقع.. فهو خليـط من المتنبـي والبحتري وكامل التـراث العربي على شـرط تاريخي واحـد... فهو شاعر عابـر للأزمنـة والظـروف...". أمـا الشاعر بـدر شاكر السيّاب فقـد لخّص كل مـا يمكن أن يوصف به الجواهري كشاعـر عملاق، قائـلًا عنه إنّه "لا متنبي بعـد المتنبي إلّا الجواهري".

فاز الجواهري بجائزة سلطان بن علي العويس الثقافية، في دورتها الثانية (1990–1991).



الشيخ سلطان العويس يكرم الشاعر الجواهري في أثناء فوزه بجائزة العويس الثقافية دورتها الثانية


الجواهري خلال أمسية شعرية في دبي أقيمت له بعد فوزه بجائزة العويس الثقافية

مؤلفاته :

مـن آثـار الجواهـري: (حلبـة الأدب) و(بـين العاطفة والشعـور)، و(ديـوان الجواهري)، و(ديـوان الجواهري مجلـدان)، (بريد الغربة)، (الجواهـري في العيون من أشعاره) و(بريـد العودة)، و(أيهـا الأرق)، و(خلجات)، و(ذكرياتـي) 3 أجزاء، و(الجمهرة) مختارات من الشعر العربي.

وفاتـه :

تـوفي الجواهـري في إحدى مشافي العاصمـة السورية دمشـق صبيحـة يـوم 27 تموز/يوليو سنـة 1997 عن عمر يناهـز الثامنـة والتسعين، ونظم له تشييع رسمي وشعبي مهيـب، ودفـن في مقـبرة الغربـاء في السيـدة زينـب في ضواحي دمشق، تغطيه خارطة العراق المنحوتة على حجر الجرانيت، وكلمات: "يرقد هنا بعيدًا عن دجلة الخير".



آمنت سيمون دو بوفوار Simon de beauvoir بأن الوجود سابق على الماهية، «وأن المرأة لا تولد امرأة، وإنما هي تصبح كذلك». ما تعنيه دو بوفوار بذلك هو أنه لا توجد طريقة يجب على المرأة أن تكون عليها، ولا توجد صورة محددة مسبقة للأنوثة، ولا شكلاً مثاليّا على المرأة أن تتطابق معه، فما توجد عليه المرأة اليوم هو شيء مصطنع اجتماعيّا، وفي غالب الأحيان تم اصطناعه من قبل الذكور. فالدراسة التي قامت بها للنوع الاجتماعي، سببت لها مجموعة من المشكلات، فحرمت الكنيسة كتبها، ونعتها الشيوعيون بالانهزامية. تأثرت بالفلسفة الوجودية، فلا يستقيم الحديث عن الحركة النسوية ، دون ذكر اسم سيمون دو بوفوار، إنها المرأة التي بدلت كلما في وسعها من أجل تقديم إجابات شافية عن سؤال: كيف بنى العقل البشري فكرة النوع؟ فمن تكون إذن هذه الوجودية سيمون دي بوفوار؟

سيمون دو بوفوار: المتمردة التي عاشت مثلما كانت تفكر



محمد الأزعر

أستاذ الفلسفة وباحث في علوم التربية- المغرب



صورة تجمع سيمون دو بو فوار مع جان بول سارتر

إنها شخصية أثارت الكثير من الجدل حول حياتها وكتبها وآرائها وعلاقتها الإنسانية، وخاصة علاقتها بالفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر. إنها امرأة أصيلة لا تشبه إلا نفسها، عاشت مثلما كانت تفكر. حفرت دي بوفوار في مجموع للموروثات الثقافية التي شكلت مفهوم "الأنثى" في العقل الأوروبي الكلاسيكي، وتناولت النقد الخلاق لأطروحات الكتاب المقدس حول المرأة، مستندة إلى فحوى النص التوراتي الذي يرجح كفة الاعتراف بالتفوق الذكوري كأساس قديم وراسخ[1]. يعد كتابها الشهير "الجنس الآخر" "le deuxième sexe" الصادر سنة 1949، بمثابة الدستور المؤسس للحركة النسوية في العالم، هذا الكتاب عبارة عن تحليل مفصل حول اضطهاد المرأة، بهذا الكتاب فتحت أبواب الحرية أمام النساء. عالجت فيه وشخصت الأوضاع التاريخية والاجتماعية والنفسية، والخضوع الثقافي للمرأة ولجمل هاته الطابوهات الصماء. ففي هذا الكتاب ذهبت دو بوفوار إلى أن المرأة كانت على الدوام تابعة للرجل، إن لم تكن جاريته، ولم يتقاسم الجنسان العالم أبدًا بالتساوي، رغم أن وضع المرأة قيد التطور. فهي معوقة بشكل كبير. ففي كل البلدان تقريبًا لا يماثل وضعها القانوني وضع الرجل وغالبًا ما يجردها من الامتيازات بشكل كبير. وحتى عندما يتم الاعتراف بحقوقها بشكل مبهم، تمنع العادات والتقاليد

> "يعد كتابها الشهير "الجنس الآخر" الصادر سنة 1949، بمثابة الدستور المؤسس للحركة النسوية في العالم، هذا الكتاب عبارة عن تحليل مفصل حول اضطهاد المرأة، بهذا الكتاب فتحت أبواب الحرية أمام النساء"

المتأصلة هذه الحقوق. لقد أظهر الذكور في كل مكان وزمان الرضى الذي يشعرون به لإحساسهم بأنهم ملوك الخليقة، ويقول اليهود في صلاتهم الصباحية «الحمد للرب إلهنا وإله كل العوالم لأنه لم يخلقني امرأة» وكان أفلاطون يشكر الآلهة على النعم التي فاضت بها عليه، وأولها أنها خلقته حرًا وليس عبدًا وثانيهما رجلاً وليس امرأة[2].

في القرن الثامن عشر تناول المسألة بموضوعية رجال ديمقراطيون للغاية، فاتهمك ديدرو Didrot مع آخرين في اثبات أن المرأة كائن بشري كالرجل. بعد ذلك يقبل دافع عنها ستيوارت ميل Stuart mill بحماس. لكن هؤلاء الفلاسفة غير المتحازين كانوا قلائل. لكن في القرن التاسع عشر أصبح صراع القضية النسوية من جديد صراع أنصار، حيث كان اسهام المرأة في العمل المنتج إحدى نتائج الثورة الصناعية، وغدا خصومهن أكثر عدوانية.

لكن البرجوازية تمسكت بالأخلاق القديمة التي ترى في تماسك الأسرة ضامنًا للملكية الفردية فطالبت بضرورة عودة المرأة إلى المنزل وخاصة أن تحريرها أصبح تهديدًا حقيقيًا، وحاول الرجال ضمن الطبقة العمالية ذاتها لجم هذا التحرر لأن النساء يبدون لهم منافسات. ولكي يثبت معارضو الحركة النسوية دونية المرأة، استخدموا كما في الماضي ليس فقط الدين والفلسفة واللاهوت ولكن العلم أيضًا، البيولوجيا وعلم النفس- التجريبي[3].

فالمرأة لم تكن تشعر بزهو الإنجاب، كانت تشعر أنها لعبة سلبية لقوى مجهولة، والولادة المؤلمة هي حادث غير مجد ومتعب، حتى فيما بعد أعطيت للطفل أهمية أكبر، ولكن على كل حال، الولادة والإرضاع ليس نشاطا، إنهما وظيفتان طبيعيتان، ولهذا لا تجد المرأة فيهما باعثًا لتأكيد وجودها[4]. فالبرجوازية المحافظة ترى في تحرير المرأة خطرًا يهدد مصالحها، كما يخشى بعض الذكور المناهضة



الأنثوية لدرجة صرح أحد الطلاب في مجلة لبولاتان L'hbdo-latin «بأن كل طالبة تحتل مركز طبيب أو محام تسرق منا مكانًا»[5]. فهناك من كان ينعت المرأة بمخلوق ثانوي لأنها خلقت بعد آدم. لكن السؤال المطروح ما هي الظروف التي تحد من حرية المرأة، وهل بالإمكان تجاوزها؟ فالماركسية وخاصة إنجلز Engels رسم تاريخ المرأة في كتابه "أصل العائلة" يتعلق هذا التاريخ أساسًا بتاريخ التقنيات. ففي العصر الحجري، عندما كانت الأرض مشاعًا لكل أفراد القبيلة، كانت القوى النسائية متساوية مع الذكور أي هناك مساواة بين هاتين الطبقتين. لكن باكتشاف النحاس، والقصدير، والبرونز، والحديد، وظهور المحراث، انقسمت رقعة الزراعة، واشتدت الحاجة الى عمل مكثف لإزالة الغابات، واستثمار الحقول. عندئذ لجأ الرجل إلى خدمات رجال آخرين جعلهم عبيدًا. وظهرت الملكية الفردية، فأصبح الرجل سيد العبد والأرض، مالكًا أيضًا للمرأة. كانت تلك «الهزيمة الكبرى للجنس المؤنث» من هنا أصبحت المرأة تابعة للرجل، حيث حل حق الأب محل حق الأم، وأصبح انتقال الأملاك من الأب إلى الابن وليس من المرأة إلى عشيرتها[6].

فقدر المرأة إذن ارتبط عبر العصور بالملكية الفردية، بما أن قدوم هذه الملكية أنزلها من عرشها. ويمتزج تاريخها في قسم كبير منه بتاريخ الإرث، فلن يقبل الرجل اقتسام أمواله ولا أولاده مع المرأة. فالنظام الأبوي القوي، انتزع من المرأة كل حقوقها حول امتلاك الأموال، والأولاد إنها مقتلعة جذريًا من المجموعة التي ولدت فيها وملحقة بمجموعة زوجها، لقد اشتراها كما يشتري رأسًا من البهائم أو عبدًا، فتصبح المرأة جزءًا من ممتلكات الرجل. فدونية المرأة حسب فولتر Voltaire وديدرو Diderot صنعها المجتمع. حيث كتب ديدرو «أرثي لحالكن أيتها النساء» وهو يعتقد أن قسوة القوانين المدنية في كل العادات اجتمعت مع قسوة الطبيعة ضد النساء. لقد تم معاملتهم كأشخاص حمقى ويظهر هلفتيوس Helvétius أن سوء تعليم المرأة هو سبب دونيتها، ويشاطره الرأي دالامبير D'alembert، وأراد كوندورسيه Condorcet أن تدخل النساء الحياة السياسية. واعتبرهن متساويات للرجل ودافع ضد الهجوم الكلاسكي: «إن النساء لا يمتلكن شعورًا بالعدالة، وأنهن يتبعن مشاعرهن أكثر مما يتبعن ضميرهن ... ولكن هذه ليست طبيعتهن بل تربيتهن، الوجود الاجتماعي هو الذي يسبب هذا الاختلاف»[7].

قد نتوقع أن الثورة غيرت مصير المرأة، لكن شيئًا من ذلك لم يحدث. احترمت هذه الثورة البرجوازية المؤسسات والقيم البرجوازية، وكانت مصنوعة حصريًا للرجال. فحتى الأندية النسائية اندمجت بالأندية الرجالية التي ابتلعتها، لأن البرجوازية كانت تدرك التهديدات التي تفرضها الثورة الصناعية التي تترسخ بقوة تثير القلق. فجوزيف دميستر Joseph de maistre وهو مفكر رجعي أسس قيمة النظام على أساس الإرادة الإلهية. يقول بولاند Bonald «الرجل للمرأة كما المرأة للطفل، وهكذا فالزوج يحكم، والمرأة تدير، والأطفال يطيعون والطلاق ممنوع، والمرأة قعيدة البيت». فبطريقة ساخرة، عبر بلزاك Balzac، فكتب في «فيزيولوجية الزواج» مصير المرأة ومجدها الوحيد هو جعل قلوب الرجال تخفق، المرأة ملكية نكتسبها بعقد، وهي منقولة لأن التملك يحتاج إلى صك، فالمرأة بمعنى الكلمة ملحقة للرجل. ويجعل هنا نفسه ناطقًا باسم البرجوازية التي ازداد عداؤها للحركة النسوية كرد فعل عن تساهل القرن الثامن عشر الذي أعاد الاعتبار للمرأة خصوصًا من قبيل مجموعة من المفكرين والفلاسفة كديدو، ومونتسكيو، دالامبير، كوندورسيه ..... [8].

فالبرجوازية تنصح بإبقاء المرأة ضمن التبعية الكاملة للزوج، يجب منعها من التعلم والتثقيف، ومنعها أيضًا من كل ما يسمح لها بتطوير فرديتها. لكن مقاومة البرجوازية للمرأة لا تستطيع إيقاف عجلة التاريخ، فقد قوض مجيء الآلة، أي أن الانطلاق المباغت للصناعة يتطلب يد عاملة أكثر من تلك التي يؤمنها الذكور، فمشاركة النساء ضرورية، تلك كانت الثورة الكبرى التي غيرت في القرن التاسع عشر مصير المرأة وفتحت لها أبواب عصر جديد. حيث أدرك ماركس وإنجلز مداها ووعد النساء بتحرير يفرضه تحرير الطبقة العمالية. فإنجلز يظهر أن مصير المرأة مرتبط بشكل وثيق بتاريخ الملكية الفردية، لقد استبدلت كارثة نظام الحق الأمومي بالنظام الأبوي وسخرت المرأة للملكية، لكن الثورة الصناعية كانت بمثابة الرد على هذا الانحطاط، وأدت إلى التحرر النسوي. وكتب إنجلز engels قائلاً: «يمكن أن تتحرر المرأة إلا عندما تساهم على نطاق اجتماعي كبير بالإنتاج ولا تعود أسيرة العمل المنزلي إلا بقدر بسيط»[9].

لكن بفضل انخراط المرأة في العمل النقابي استطاعت أن تحقق بعض المكاسب تبقى ضئيلة، ففي سنة 1900 تم تخفيض ساعات العمل إلى 10 ساعات في اليوم، وأصبحت الراحة الأسبوعية إجبارية عام 1905، ومنحت النساء عطلة مدفوعة الأجر عند الولادة عام 1909. إذن تطور المرأة جاء نتيجة المساهمة في الانتاج، والتحرر من عبودية الانجاب. أي انعكس ذلك إيجابيًا على وضعها الإجتماعي والسياسي، لذلك أصبحت مطالب المرأة قوية، وأسمعت صوتها حتى للبرجوازية نتيجة التطور السريع للحضارة الصناعية. فمثلاً خلال الحرب الروسية اليابانية حلت النساء محل الرجال في كثير من المهن، فأدركن ذاتهن وطالب الاتحاد الروسي لحقوق المرأة بالمساواة السياسية بين الجنسين، حيث نجد البند 122 من دستور 1936 الروسي يقول "تتمتع المرأة في الاتحاد السوفياتي بنفس حقوق الرجل في كل المجالات"[10].

وفي الأخير يمكن أن نقول أن سيمون دو بوفوار لعبت دورًا مهمًا في النضال من أجل تحرير المرأة. ويبقى كتابها "الجنس الآخر" "le deuxième sexe" من أعظم كتب الفلسفة المعاصرة في الحركة النسوية، فهذا الكتاب ليس مجرد بيان فلسفي وإنما سياسي كذلك، كتاب يدعو إلى تحرير المرأة. ففكرة عدم المساواة بين الرجل والمرأة ثبتت ثقافيًا وليس طبيعيًا كما يعتقد البعض. حيث في البداية كانت المرأة متساوية مع الرجل سواء فكريًا أو جسديًا، حتى أصبح هو المسيطر وجعل من المرأة شيئًا أو كائنًا أدنى منه، فسيمون دو بوفوار استعملت جدلية العبد والسيد لحساب اضطهاد المرأة، فالرجل له وعي إمبريالي يسعى دائمًا إلى إنكار الآخر وخصوصًا المرأة[11]. فتحرير المرأة رهين بمدى استطاعتها تغيير الصورة التي ينظر بها الرجل لها ولخصائصها، الجسدية والنفسية، وهذا الدور منوط بالمرأة الكاتبة التي تملك ناصية اللغة لتبليغ المشاعر والأحاسيس للآخر. وهذا ما جسدته فعلاً سيمون دي بوفوار في كتاباتها وخصوصًا كتاب "الجنس الآخر" التي من خلاله فتحت أبواب الحرية أمام النساء، عالجت فيه وشخصت الأوضاع التاريخية والاجتماعية والنفسية والخضوع الثقافي للمرأة ولمجمل هاته الطابوهات الصماء. وبذلك صرحت سيمون دو بوفوار «إن المرأة لا تولد امرأة، و إنما هي تصبح كذلك».

المراجع:

1 - الحوار المتمدن العدد : 1420 .www.ahewar.org/debat/show.art
2 - سيمون دو بوفوار: الجنس الآخر، ترجمة، د. سحر سعيد، مكتبة بغداد، الطبعة الأولى 2015، ص 20.
3 - سيمون دو بوفوار، نفس المرجع، ص 22 .
4 - سيمون دو بوفوار، نفس المرجع، ص 87.
5 - سيمون دو بوفوار، نفس المرجع، ص 23.
6 - سيمون دو بوفوار، نفس المرجع، ص 77 .
7 - سيمون دو بوفوار، نفس المرجع، ص 145.
8 - سيمون دو بوفوار، نفس المرجع، ص 150 .
9 - سيمون دو بوفوار، نفس المرجع، ص 154 .
10 - سيمون دو بوفوار، نفس المرجع، ص 172
11- www.8mars.info :simon de de beauvoir ;femme de lettre et intelectuelle française :



بارث متحدثًا عن رامبو: باسم التاريخ ينبغي أن نحاكم الأسطورة



ترجمة : عبدالحكيم برنوص

المغرب

رولان بارث، المطارد الكبير للأساطير، لم يكتب كثيرًا عن آرثر رامبو، إلا في أثر مقارنة أجراها بين قصيدة مشهورة لهذا الأخير (القارب السكران) وقصيدة (نوتيلوس) للكاتب الفرنسي العجائبي (جيل فيرن)، ضمّن ذلك في كتابه المعروف "علم الأساطير" (1957).

قبل ذلك بثلاث سنوات، وبعد الضجة الكبرى التي أحدثتها أطروحة إيتيامبل، حول أسطورة رامبو، حيث تم تفكيك أكثر من خطاب مموّه حول الشاعر، كان بارث سباقًا، إلى حمل القلم، ليدافع عن شاعره، وهو العمل الذي عُدّ بلا فائدة من لدن مجلة "الأخبار الأدبية".

بدوري سأعتبر الأمر خدعة، هل من الممكن الاستمرار في طرح، بدون اعتبار الأمر استفهامًا، الحقوق "الأدبية" للأدب مقابل تلك التي للتاريخ! هل من الممكن أن نطرح في العدم، الإقبال الجماعي والاجتماعي على رامبو! حتّ الإبقاء على الشغف الفردي الذي يُعد رامبو مجرد مصدر للإلهام!

بالنسبة "للأخبار الأدبية" فإن الشمس توقفت منذ زمن طويل، منذ كان الشاعر "ظاهرة" (حسب تعبير جورج دهاميل) بدون سبب وبدون نهاية، منزوعًا من كل تاريخ سابق أو لاحق، وبالطريقة الصوت السماوي، الذي يقرع آذان القارئ الفرد المعزول عن التاريخ والمجتمع.

لنعترف هنا بالطابو القديم الذي يفسر عملية الإبداع: من جهة، من المستحيل أن نطرح جانبًا ربات الشعر اللواتي ألهمن رامبو، واللاتي يحظين بتقدير كبير اليوم، وفي الجهة الأخرى، نجد تجمعًا بشريًا شرهًا يُلقي بظلاله وتنكره وحماقاته.

إننا نرى إلى أي حد أسطوري وقاتل هذا الرفض المستخفّ بالأسطورة: فصل الأدب عن تاريخه، وهو نوع من "التعزيم"، من أجل طرد ما هو عقلاني، وتجريده من كل قوة نقدية، التي هي مأثرته الوحيدة، ومحاصرته في هذا العالم البريء للإلهام، حيث يستطيع "التأثير" من دون خطر، ليس هناك سلوك أقلّ إنسانية من ذلك الذي يرفض التاريخ.

إن تحول ثورة رامبو لصالح الأسطورة والنظام، هو حدث تاريخي إنساني أكثر أهمية من "ظاهرة" رامبو نفسه، ولكن المشكلة ليست معارضة الأسطورة في حقيقتها، مثل المرض مع الصحة، وحدها الحقيقة الكبرى للتاريخ. حيث تأخذ الأسطورة مكانها، فباسم هذا التاريخ ينبغي أن نحاكم الأسطورة، وليس مطلقًا باسم ماهية رامبو نفسه: ينبغي أن نحاكم انحراف الأسطورة عن مسارها، و ليس أخطاءها، علينا أن نُدينها، وهي الإدانة التي تربطنا أكثر بمجتمعنا.

بالنسبة لي، مثلاً، عندما يتم الكشف عن أحدث الاستكشافات المرّيخية، أو عندما يتحدثون عن الزواج القادم لمارلين براندو (ممثل أمريكي راحل) أرى جيدًا أنه ينبغي الإبلاغ عن ذلك، والإبلاغ هنا توضيح، وأجدني الآن، أكثر من أي وقت مضى، مرتبطًا بزمني، ملتزمًا به، في إطار جدل حقيقي من الولع.

لأنه، وفي إطار اعتبار الأسطورة استلابًا إنسانيًا، فإن الإنسان هو الذي يظهر داخل كل أسطورة، أكره هذا الاستلاب، غير أني أرى اليوم، أنه داخل هذا الاستلاب فقط، يمكن أن نعثر على الإنسان.

بالطبع لم تكن أسطورة رامبو مُرضية، إنها مصنوعة بسوء نية، وكثير من الحماقات والأكاذيب، ولكنني أعترف الآن: إنني أبدي كثيرًا من التشوق، كثيرًا من "الجوع" لأسطورة رامبو، أكثر من رامبو نفسه.

الإنصات لرامبو، امتصاصه، العثور على رامبو الحقيقي، يظهر لي، مؤخرًا، أقل إنسانية، من اعتبار رامبو "ملتهمًا" من قبل الناس، من قبل أصحاب التاريخ الواقعي، وليس من قبل أصحاب المعابد الأدبية، فلا خلود للأدب إلا في أسطورته.

هوامش:

رولان بارث / ظاهرة أم أسطورة؟

مجلة 1954 letters nouvelles

مجلة Lemonde (عدد خاص عن آرثر رامبو)

عدد يناير /مارس 2017

بين حضارتين:
مفارقات بين الشرق والغرب
(شهادة طبيب عربي في الغرب)

الطهارة والقذارة بين الشرق والغرب -2



أ.د. مهند الفلوجي
أستاذ الجراحة والمشرف على:
معهد تاريخ الطب والعلوم
عند العرب والمسلمين
(www.ihams.org)
لندن

الاستنجاء بين المسح والماء، وبين جلستي الكرسي والقرفصاء

عبقرية الغرب في النظافة العامة ... ولكن:

هناك مستويان للنظافة: المستوى العام والمستوى الشخصي.

ففي مستوى النظافة العامة، فاق الغرب الحديث الشرق بعبقرية تنظيماته وإبداعات إداراته وتطبيقات علومه العملية: في حقول النظافة العامة التي ترى شواهدها للأبهرة في نظافة وتنظيم الشوارع وساحات تقاطعاتها الجميلة وبحسابات رياضية دقيقة، وفي تصميم الحدائق العامة وجمالها وتموضعها في قلب كل منطقة في البلاد للترويح عن العباد واستجمامهم، وفي نظافة وجمالية أماكن التبضع والتسويق العامة، وفي وساعة وجمال ونظافة المطارات ومرافقها العامة (أي الحمّامات أو أماكن التواليت) التي تخضع للمسح والتنظيف الدوري الموثق على لائحة عمال التنظيف داخل الحمّام مع رقم هاتف للشكاوي إن لم تكن نظيفة. وهناك العقوبات الصارمة على كل من يخلّ بنظام النظافة العامة فيُمنع رمي القاذورات إلا في أماكن القمامة المخصصة (وحتى هذه الأماكن لها جمالية الشكل لتغطي على قبح المضمون). بل صار الغرب اليوم كعبة القاصدين وموئل القادمين من شتى أنحاء المعمورة للدراسة والتدريب في علوم الإدارة والبيئة والتنمية المستدامة. ولكن النهضة الأوروبية هذه لها جذور عميقة، منها فضول الأوروبيين وتطلعهم الوثّاب للكمال والإحسان. وهناك سبب آخر خطير متغلغل في التاريخ يكمن في نقلهم لعلوم العرب والمسلمين وتوظيفها عمليًا للنهضة الأوروبية.

فلقد كان للأندلس قصب السبق في الغرب الأوروبي، بل كانت الأندلس مركز إشعاع حضاري ومصدر إلهام لحُكّام أوروبا كلها بحدائقها الهندسية الغنّاء وتصميماتها البارعة، ونافورات مياهها الرائعة، وحمّاماتها العامة الصحية الماتعة، وفي إنارة شوارعها النظيفة الرائدة ولأول مرة في أوروبا المظلمة: كانت البعثات الدراسية والزيارات المهنية العلمية تترى للأندلس من مختلف أصقاع أوروبا. ومن سخرية القدر أنه خلال ما يسمى بحقبة الاسترداد الإسباني Spanish Reconquesta ومع مطلع القرن الحادي عشر الميلادي وحتى سقوط الأندلس عام 1492م قامت حركة ترجمة محمومة على قدم وساق بأمر ملوك إسبانيا النصرانية التي كانت تترجِمُ وتطبق كتب الحضارة الإسلامية، فتنتصر على المسلمين (الذين نسوا تراثهم ودينهم وعلومهم) بسلاح علوم ومعرفة المسلمين أنفسهم!!! ولقد تُرجمت كتب الفلاحة والزراعة مع كتب الطب والهندسة والفلك وسائر علوم الحياة من اللغة العربية الأصل إلى اللغة اللاتينية في مراكز الترجمة المزدحمة



في طليطلة Toledo مثل خلايا النحل والمشغولة باستمرار ليل نهار بحركة التراجم والمترجمين (النقّالين) الدؤوبة النشيطة وبأجور مغرية وبرعاية ملوك الإسبان وإشرافهم. وبعد سقوط الأندلس قامت السلطات الإسبانية المُجحفة خلافًا لكل العهود والمواثيق (في اتفاق قشتالة 1492م) بتعصب ديني Religious Intolerance يتمثل برفض الآخر ورفض فكره ونمط حياته فقامت بحرق ممنهج وبقوائم متتالية تشمل المصاحف وكتب التراث العربي الإسلامي بل وتشمل حتى التراث اليهودي والمكتوب باللغتين العربية والعبرية. ومن ثم بقت التراجم اللاتينية لهذه الكتب العربية لتنتحلها إسبانيا وأوروبا من بعد ذلك ... والباقي صار تاريخًا، والتاريخ يكتبه المنتصر!

لكن تظل هناك مفارقتان كبيرتان على مستوى النظافة الشخصية (لها جذور إسلامية):

الأولى: في جزئية التطهر والاستنجاء بالماء.

والثانية: في جزئية الاستنجاء على الكرسي الغربي، مقابل جلسة القرفصاء في الخلاء الشرقي.

الأهمية المحورية للتطهر بالماء في الإسلام

نصّ الإسلام على أن الماء هو مادة الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، بل جعل الماء عماد قيام الحضارات المرتبطة بالفكر القويم ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾.

كل الحضارات قامت في حضانة الأنهار وشطآنها من حضارة وادي الرافدين (على نهري دجلة والفرات) لحضارة مصر (وادي نهر النيل) إلى الحضارة الصينية (بمحاذاة نهر يانغتسي) والحضارة الهندية (على ضفاف نهر كانجي). بل صار الماء عاملاً من عوامل السعادة (السعادة في الماء والخضار والوجه الحَسَن).

يُخطئ خطأً جسيمًا مَن يعتقد بأن الإستنجاء الإسلامي النبوي كان بالحجارة وحسب (الاستجمار)، دون استعمال الماء. وسبب هذا الاعتقاد المخطوء يكمن في انبعاث الرسالة من أرض جزيرة العرب وأغلبها صحراء قاحلة يشحّ فيها الماء.

فلقد خلّد الله ثناءه في القرآن الكريم على المطهرين والمتطهرين بالماء. قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ التوبة: 108. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة: 222.

يقول عبد الستار المرسومي في (الله يحب المطهرين والمتطهرين- على شبكة الألوكة):

"فالمطّهّرون والمتطهّرون كلمتان تنحدران من نفس الأصل، ولكن الفرق في أنّ المطّهّرين أبلغ، وتدلّ على المبالغة والمداومة على الطهارة، في حين أنّ التّطهرَ يكونُ في أوقات معينة، فيكون قبل بعض العبادات: كالصّلاة والطواف مثلاً، وهو إما بالوضوء أو بالغسل، يقول الخازن في تفسيره: "إنّ طهارة الظاهر إنما يحصل لها أثر عند الله جل جلاله إذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر

> بعد سقوط الأندلس قامت السلطات الإسبانية المجحفة خلافًا لكل العهود والمواثيق (في اتفاق قشتالة 1492م) بتعصب ديني Religious Intolerance يتمثل برفض الآخر ورفض فكره ونمط حياته فقامت بحرق ممنهج وبقوائم متتالية تشمل المصاحف وكتب التراث العربي الإسلامي بل وتشمل حتى التراث اليهودي والمكتوب باللغتين العربية والعبرية.

والمعاصي، وقيل: يحتمل أنه محمول على كلا الأمرين: يعني: طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي، وطهارة الظاهر من الأحداث والنجاسات بالماء، والله يحب المطّهّرين: فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا عنهم، بما اختاروه لأنفسهم من المداومة على محبة الطهارة".

لقد جعل الله تعالى التّطهر نصف الإيمان؛ بل وربطه بدعائم الإسلام، فعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ اللهِ والحمد لله تملآن ما بينَ السمواتِ والأرضِ، والصّلاةُ نورٌ، والصّدقةُ بُرهانٌ، والصّبرُ ضِياءٌ، والقرآنُ حُجةٌ لكَ أو عَليكَ، كُلُّ النّاسِ يغدو، فبايعٌ نفسَهُ: فمُعتقُها، أو مُوبقُها).

وبشّر الله الطهارة وجعل أجرها عظيمًا، فالغسل من الجنابة يطهِّرُ المرء، فإنْ غاب الماء أو خشي الهلكة، فصعيد الأرض بديل ورخصة ورحمة، وفرك المني من الثوب بعد جفافه يطهره، والوضوء من الحدث الأصغر يُطهِّرُ المرء، وفي الغسل والوضوء تيسير عجيب، يقول الكاساني في بدائع الصنائع: "أما بيان مقدار الماء الذي يغتسل به، فقد ذكر في ظاهر الرواية، وقال: أدنى ما يكفي في الغسل من الماء صاع، وفي الوضوء مد؛ لما روي عن جابر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ بالمد، ويغتسل بالصاع، فقيل له: إن لم يكفنا؟ فغضب، وقال: لقد كفى من هو خير منكم وأكثر شعرًا". كل هذا في الطهارة الحسية.

أما الطهارة الروحية، فهي الأصل، وهي المراد، فحين تكون النفس خبيثة، وتمتلئ بالشهوات الشيطانية، والشبهات الشركية، والحقد والكيد، وتمني هلاك الآخرين، فلا معنى للثوب النظيف والجلد النظيف.

وفي تفسير ابن كثير، تتظافر الأحاديث النبوية في الثناء على الذين يتطهرون بالماء:

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة في مسجد قباء كعمرة".

وقال أبو داود: عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نزلت هذه الآية في أهل قباء: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قال: كانوا يستنجون بالماء.

وقال الطبراني: عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عويم بن ساعدة فقال: "ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم؟". فقال: يا رسول الله، ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه- أو قال: مقعدته - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هو هذا".

وقال الإمام أحمد: عن عويم بن ساعدة الأنصاري: أنه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قباء، فقال: "إن الله تعالى قد أحسن (عليكم الثناء) في الطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟ "فقالوا: والله – يا رسول الله – ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا.

ورواه ابن خزيمة في صحيحه، عن إبراهيم بن إسماعيل

الأنصاري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة: "ما هذا الذي أثنى الله عليكم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ قالوا: يارسول الله، إنا نغسل الأدبار بالماء (من الغائط).

وقال الإمام أحمد بن حنبل: عن محمد بن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني: قباء، فقال: "إن الله، عز وجل، قد أثنى عليكم في الطهور خيرًا، أفلا تخبروني؟" يعني: قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ فقالوا: يارسول الله، إنا نجده مكتوبًا علينا في التوراة: الاستنجاء بالماء.

وفي السنن وغيرها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء: "قد أثنى الله عليكم في الطهور، فماذا تصنعون؟" فقالوا: نستنجي بالماء".

لقد جاءت صفة الاستنجاء الثابتة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان أحيانًا يستعمل الماء للتنزه من الخارج (الغائط) ولربما استعمل الحجارة، وكثيرًا ما جمع بينهما: ففي الحديث المتفق عليه عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قال: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ (يدخل الخلاء)، أَجِيءُ أَنَا وَغُلَامٌ، مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ، يَعْنِي يَسْتَنْجِي بِهِ" (متفق عليه) والإِدَاوَة: إِنَاء صَغِير من جلد يُتَّخذ للْمَاء (يصبّ منه على فرجه). وفي مسند الإمام أحمد، وغيره، عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: "مُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَغْسِلُوا أَثَرَ الْغَائِطِ، وَالْبَوْلِ بِالْمَاءِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يفعله". (صححه الألباني).

وفي (مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) للمباركفوري: (يؤخذ منه، ومن غيره أنه صلى الله عليه وسلم كان يقتصر على الماء تارة، وعلى الحجر أخرى، وكثيرًا ما كان يجمع بينهما). قاله القاري، وفيه رد على من أنكر أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم استنجى بالماء، وهو مالك، ومن وافقه. انتهى.

وكان صلى الله عليه وسلم يمسح يده بالتراب بعد الاستنجاء بالماء.

وفي سبل السلام للصنعاني: ومن آداب الاستنجاء بالماء مسح اليد بالتراب بعده، كما أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى الخلاء أتيت بماء في تور أو ركوة فاستنجى منه، ثم مسح يده على الأرض».

وأخرج النسائي من حديث جرير؛ قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتى الخلاء فقضى حاجته، ثم قال: ياجرير، هات طهورًا، فأتيته بماء فاستنجى، وقال بيده فدلك بها الأرض» ويأتي مثله في الغسل. انتهى.

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يستهلك الكثير من الماء، فقد كان يستنجي من (إداوة) أي: مطهرة، وهي إناء صغير من جلد يتخذ للماء. وأفضل صفة للاستنجاء عمومًا هي الجمع بين الحجارة، أو نحوها، مع الماء.

والاستنجاء هو إزالة ما خرج من أحد السبيلين بماء أو حجر ونحوه (مثلاً باستخدام ورق المسح). وإذا انقطع الخارج من السبيل فلا مانع من الاستنجاء برش الماء (الشطّاف). واليد التي تباشر الاستنجاء هي اليسرى ولا يشرع باليمنى إلا لعذر، أما صبّ الماء عند الحاجة إليه فيكون باليمنى، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى" (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

وفي صحيح مسلم من حديث سلمان لما قيل له: قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة، قال: فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم.

قال النووي: أي نهانا أن نستنجي باليمين والنهي عن الاستنجاء باليمين يدل على إكرامها وصيانتها عن الأقذار ونحوها لأن اليمين للأكل والشرب والأخذ والإعطاء ومصونة عن مباشرة الثفل وعن ممارسة الأعضاء التي هي مجاري الأثفال والنجاسات وخلقت اليسرى لخدمة أسفل البدن لإماطة ما هنالك من القذارات وتنظيف ما يحدث فيها من الدنس وغيره.

يجب الإنقاء في الاستنجاء، وفي حال الاستنجاء بالماء فقد ذكر بعض الفقهاء أنه يُسنّ فيه التثليث من باب غسل النجاسات أي يغسل المحل حتى يغلب على ظنه أنه طهر، ثم يغسله مرتين بعد ذلك.

ففي (تحفة الحبيب على شرح الخطيب) في الفقه الشافعي: (أما الاستنجاء بالماء فيُسنّ فيه التثليث كسائر النجاسات، ومعناه أنه إذا استعمل ماء حتى غلب على ظنه زوال النجاسة فهي كالغسلة الواحدة فيُسنّ أن يأتي بثانية وثالثة (كما في الاستجمار بالحجارة لا يكون إلا بالتثليث أي باستعمال ثلاثة أحجار). انتهى.

بعد الاستنجاء: كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء دلك يده بالأرض، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَتْ مَيْمُونَةُ: "وَضَعْتُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاءً يَغْتَسِلُ بِهِ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ، فَغَسَلَهُمَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَفْرَغَ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ، فَغَسَلَ مَذَاكِيرَهُ، ثُمَّ دَلَكَ يَدَهُ بِالأَرْضِ". (متفق عليه) وفي رواية: "ثُمَّ دَلَكَ يَدَهُ بِالأَرْضِ، أَوْ بِالْحَائِطِ". فإذا كان يمكن أن يصب من الإناء بيمينه ويغسل بيساره فعل ذلك.

فلو غسل يديه بالصابون ونحوه مما يزيل ذلك الأثر، فهو كما لو دلكها بالأرض، بل أولى. قال النووي رحمه الله: "يُسْتَحَبُّ لِلْمُسْتَنْجِي بِالْمَاءِ إِذَا فَرَغَ أَنْ يَغْسِلَ يَدَهُ بِتُرَابٍ أَوْ أُشْنَانٍ أَوْ يَدْلُكَهَا بِالتُّرَابِ أَوْ بِالْحَائِطِ لِيَذْهَبَ الِاسْتِقْذَارُ مِنْهَا" انتهى من "شرح مسلم" (231/3).

ثم يتوضأ صلى الله عليه وسلم وضوءه للصلاة، فيبدأ بغسل يديه ثلاثًا قبل أن يدخلها في الإناء.

روى الشيخان عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "حَدَّثَتْنِي خَالَتِي مَيْمُونَةُ، قَالَتْ: أَدْنَيْتُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُسْلَهُ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَغَسَلَ كَفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ أَفْرَغَ بِهِ عَلَى فَرْجِهِ، وَغَسَلَهُ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِشِمَالِهِ الْأَرْضَ، فَدَلَكَهَا دَلْكًا شَدِيدًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ مِلْءَ كَفِّهِ، ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ، فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ". وفي رواية لمسلم: "فَغَسَلَ كَفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ".

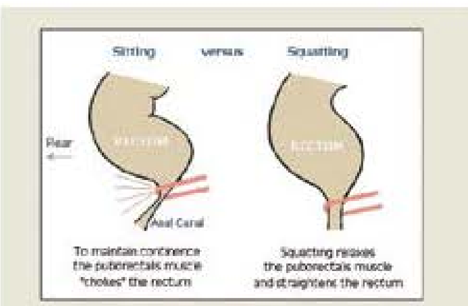
العواقب الطبية لعدم استعمال الماء في الاستنجاء

وعدم غسل المخرج بالماء له عواقب طبية وخيمة: كالتهاب الجلد، والخراج حول المخرج، والناسور المخرجي إضافة لرائحة العرق المقرفة الممزوجة بريح الغائط. كما أن عدم تطهير المخرج بالماء يؤدي لبقاء فضلات الخرء هناك، مما يتسبب بـ حكّة مخرجية شديدة pruritus ani. ولعل الأهم منها الإصابة بالنواسير العصعصية pilonidal sinuses في الأشخاص ذوي البنية الممتلئة والشعر الكثيف الكثيري التعرق ممن يلبسون بنطلونات الجينز بلا مسامات تهويه (non-porous Jeans trousers). ولعل السبب بكثرة النواسير العصعصية في الغرب وقلتها نسبيًّا بين الفرنسيين يعود لاستعمالهم النافورة المائية (Bidet) في الحمام والمقتبسة من الأندلس، ويقوم مقامها أنبوبة "الشطّاف" للتطهر والتنظيف في الخلاءات الشرقية، وابتكار الأتراك لنافورة الماء في الكرسي الغربي.

بين جلستي الكرسي والقرفصاء

يقول الأستاذ الجراح الاستشاري البريطاني روبن تاغرت: (تتوقف تأثير ثني مفاصل الوركين على زاوية الشرج والمستقيم، ولُستُنتج أن زاوية الشرج والمستقيم تنفرج وتستقيم مع ثني مفصل الفخذ، وترتفع القناة الشرجية متفتحة بنفس الوقت، واستقامة زاوية المخرج تزداد بتأثير الدفع مما يؤدي لتقليل المقاومة عبر التقاء الشرج بالمستقيم وسهولة التبرّز (أي الاستنجاء). وثني الوركين أثناء التغوط (بوضع القرفصاء) يوصى به كجزء من علاج الإمساك وكوقاية من البواسير) – أنظر الصورة.

على الرغم من الأدلة الدامغة على أهمية القرفصاء، فإن وضع الجلوس في المراحيض الغربية لم يتغير. ومع ذلك، قام مكتب الضرائب الأسترالي مؤخرًا (15 آب/أغسطس 2016) بتثبيت اثنين من مراحيض القرفصاء الشرقية في



Reference: Tagart REB. The Anal Canal and Rectum: Their Varying Relationship and Its Effect on Anal Continence. Diseases of the Colon and Rectum 1966; 9,449- 452.



"مراحيض القرفصاء" المثبتة لموظفي مكتب الضرائب الأسترالي (ديلي ميل أستراليا، 15 آب/ أغسطس 2016) بسبب جلوس الموظفين فوق المقاعد خلافًا للإعلان لتجسسهم من المقاعد).





"مسؤول البراز للملك هنري الثامن" يقوم بتنظيف مؤخرة الملك، مع القعادة المتنقلة (صندوق التبرز).



شكل المرحاض المثبتين في مكتب الضرائب الأسترالي (أستراليا أول دولة بالغرب تقوم بتثبيت خلاءات شرقية رسميًا).

مكتب بوكس هيل الجديد، لأن أكثر من واحد من كل خمسة من موظفيهما كان من أصل إسلامي — وأيضًا لمعالجة مسألة الموظفين بمقر كانبرا الذين يجلسوا القرفصاء فوق مقاعد المراحيض الغربية (لتجسسهم من المقاعد، هذا بالرغم من الإعلان بعدم عمل ذلك - انظر الشكل).

تاريخيًا، يمكن أن تنسب "مرحاض الكرسي الغربي" إلى الملك هنري الثامن. وفي الملكية الإنجليزية، كان "مسؤول البراز Groom of the Stool" أصلاً خادمًا يُساعد الملك في وظائفه الجسدية وفي التنظيف. كان "مسؤول البراز" هذا مقربًا من الملك ومن أولاد النبلاء، ووظيفته ابتُكِرَت خلال عهد الملك هنري الثامن لمراقبة ومساعدة حركات أمعاء الملك (لمسح مقعده من الغائط، ومساعدته في التنظيف).

وكلمة "ستول Stool" تشير لقعادة محمولة (هي صندوق، ثم صارت أيضًا تعني البراز، لارتباطها بقعادة الملك - انظر الصورة)، وتُحمل القعادة في كل الأوقات (جنبًا لجنب مع الماء والمنشف ووعاء الغسيل). ولضمان قيامه بعمله بأقصى قدر من الكفاءة، كان مسؤول البراز أيضًا هو الراصد عن كثب لغذاء الملك وتنظيم أوقات وجبات طعامه، وكان ينظم يومه حوالي الأوقات المتوقعة لتبرُّز الملك.

كان أبناء النبلاء عادةً هم من يحصل على هذه الوظيفة. ومع مرور الوقت، صار مسؤول البراز يعمل كأمين وسكرتير للملك ويُكلفا بأجور عالية مع فوائد عظيمة أخرى. وبطبيعة الحال، يكلفا مسؤول البراز أكثر إن كان هو من يقوم بتنظيف مؤخرة الملك بنفسه. وكان للملكات سيدات خاصة بهن. واستمر دور مسؤول البراز حتى عام 1901 عندما قرر الملك إدوارد السابع إلغائه أخيرًا.

وهكذا، جاء كرسي المرحاض الغربي من جلوس الملوك، لم يكن هناك أي علم فيها؛ ثم تم تجهيز أول مرحاض جلوس ثابت للملكة فيكتوريا. كان الجلوس على كرسي المرحاض للملوك والملكات، وكان جلوس القرفصاء للفقراء. ثم صار الكرسي "رمزًا للعظمة Status Symbol".

اعتمد الناس وضع الجلوس لمحاكاة ومشابهة الملوك، ولكن القليل منهم الذين علموا إن جلسة القرفصاء هي الأصح. في هذه الأيام، 37% فقط من البالغين يمكن أن يجلسوا القرفصاء بالكامل (في الغرب)، مما يجعل مراحيض القرفصاء الشرقية صعبة لكثير من الناس.

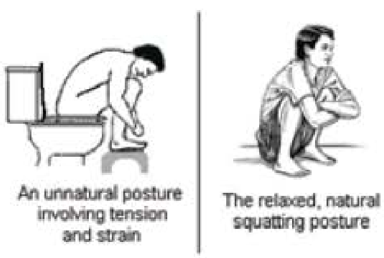
المرحاض الشرقي هو مرحاض القرفصاء squat toilet بدلاً من جلوس الكرسي sitting toilet. هناك عدة أنواع من مراحيض القرفصاء، ولكنها جميعًا تتكون بالأساس من ثقب في الأرض. يتم استخدام الماء للطهارة، وذلك باستخدام إبريق ماء من الصنبور أو باستخدام ماء الشطاف (خرطوم) أو بيديت bidet (نافورة) من الماء.

في الواقع، نحن مُصمّمون لنجلس القرفصاء أثناء الاستنجاء. وعلميًا، فإن القرفصاء يمنع جميع الأمراض الناتجة عن وضع الجلوس الغربي، بما في ذلك:

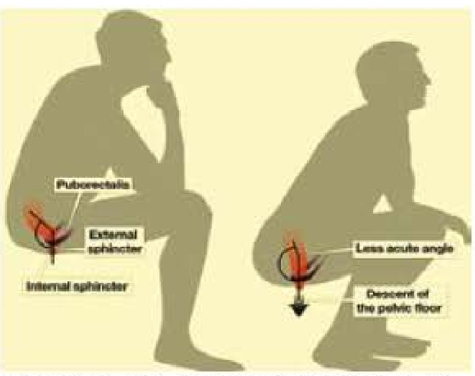
1. العصر، والإمساك، وركود البراز مع اختناق الغشاء المخاطي للقولون والمستقيم، مع الاستفراغ غير الكامل للغائط لعدم وجود ضغط الفخذين وبسبب الطوية الحادة لطوق زاوية المستقيم بالمخرج مما يتسبب بخلل العصب الشرجي Pudendal nerve dysfunction.

2. البواسير هي مشكلة شائعة للغاية، خاصة في البلدان الغربية، حيث تشير الدراسات الاستقصائية إلى أن ما يصل إلى نصف السكان الذين تزيد أعمارهم على 40 عامًا قد يعانون بشكل أو آخر من البواسير. وإن أحد الطرق المقترحة لمنع وعلاج البواسير هو جلسة القرفصاء لأجل التغوط.

3. بل أن سرطان القولون يرتبط بالإمساك (وجلوس الكرسي). ووفقًا لتقرير عام 1998 في مجلة، علم الأوبئة، "الناس الذين غالبًا ما يشعرون بالإمساك كانت أكثر من أربعة أضعاف باحتمال تطور سرطان القولون أكثر من الذين لم يشكوا من الإمساك". وجدت الدراسة أيضًا إن استخدام المسهلات التجارية في كثير من الأحيان كان مرتبطًا "زيادة كبيرة في خطر الإصابة بسرطان القولون".



أوضاع الاستنجاء: القرفصاء هو الوضع الطبيعي المريح للمستقيم والمخرج؛ وجلوس الكرسي هو الوضع غير الطبيعي والذي يقتضي التوتر والعصر، حتى لو وضعنا طبلة صغيرة لمحاكاة القرفصاء من فوق الكرسي.



طوق عضلة Puborectalis sling (الزاوية الشرجية المستقيمة) في وضعيتي الجلوس (نصف مغلقة) والقرفصاء (مفتوحة).



التراث والمعاصرة في الخطاب الإعلامي المعاصر



د. علي عفيفي علي غازي

أكاديمي وصحفي

منذ الانتكاسات التي مُنيت بها الأمة العربية، وانهيار شعارات الوحدة والقومية والمصير المشترك، مرّ الإنسان العربي بحالة من الضياع والتشتت، وغياب الأهداف، ولم تعد هناك عوامل مشتركة غير اللغة، بغض النظر عن تعدد اللهجات، فالاختلافات في المذاهب الدينية والسياسة، فضلا عن التنوع الطائفي، اتّخذت ذريعة للتناحر، وتصفية الآخر، وتهميشه فكريًا وعقائديًا من قبل التيارات وليدة الإمبريالية الغربية، والتي قوضت الكثير من طموحات الشباب العربي، الذي اُتهم بسوء الفهم، والزندقة، والجهوية، والطائفية، أو صُبغ بالقومية، أو الوطنية، أو الدينية، أو المذهبية، دون النظر لأن لهم آراء من حقهم التعبير والدفاع عنها.

تزداد الحاجة إلى التراث في الصحوة الإسلامية المعاصرة كي يُساعدنا على تصحيح ممارساتنا، ولكي نستقي منه ثقافتنا، ونستلهم منه القيم السليمة في سعينا لبناء الحاضر واستشراف المستقبل، لأنه يمثل العمود الفقري في التاريخ الحضاري والثقافي للأمة العربية والإسلامية، في وقت تشتد فيه الحملة المعادية على الإسلام والمسلمين، بحيث صارت كلمة مسلم في أذهان الغربيين مرتبطة بكلمة الإرهابي عدو البشرية، وكاره الأديان الأخرى، وساعي إلى تدمير الحضارة، وإعادة العالم إلى الظلام، في ظل غيابنا عن مقارعتهم بأدواتهم وأساليبهم نفسها بما يوضح حقيقتنا وحقيقة ديننا الحنيف، والدور الحضاري الكبير الذي مارسه المسلمون عبر التاريخ، وكان من المُفترض أن نتخذ من المساحة الإعلامية عبر الإنترنت والتقنية الفضائية ووسائل الإعلام والاتصال الأخرى، مجالاً لتطوير خطابنا بما يخدم التراث وقضاياه.

لكن للأسف انفلت الخطاب الإعلامي الإسلامي المعاصر في بعض مناحيه عن العقلانية، وأهداف الوعي المنشود؛ ليُصبح وسيلة إساءة وأداة إضافية بيد أعداء الإسلام، في وقت أصبح فيه الاتصال عبر وسائل الإعلام شأنًا مهمًا في حياة الأفراد والمجتمعات، وتعددت مفاهيم الإعلام ووسائله وأساليبه ومضامينه، وأخذت المعلومات تنتشر بسرعة هائلة إلى غالبية سكان المعمورة، حتى إنَّ وصف الإعلام بأنه السلطة الرابعة، لم يعد تعبيرًا عن درجة رابعة في التأثير على أنماط التفكير والسلوك الإنساني، بل تكاد هذه السلطة تتحكم في السلطات الثلاث الأخرى، وبنظرة سريعة لبعض مجريات الطرح الآني في الإعلام المعاصر، نجده لا يخلو من أفكار هجينة، والبناء على أرضية هشة، يؤدي بالبناء حتمًا إلى الإنهيار في النهاية.

منذ مدة ليست بالقصيرة تداول الكتاب والمفكرين في ميادين الأدب والفن والثقافة والإعلام ثنائية "التراث والمعاصرة" على أساس أنها ثنائية تضاد أو تقابل على أقل تقدير، وكأنهما لا يُمكن أن يجتمعا في غمد واحد، والسبب أنهم جعلوا التراث مرادفًا للأصالة، والمعاصرة مرادفا للجدة، واستقر في مفهومهم أن أحد هذين المفهومين ينفي الآخر، أو لا يتحقق إلا على حساب الآخر، وهذا خلط يتطلب التأمل والمراجعة، فالتراث يُشكل حصيلة ما أنتجته عقول أبناء الأمم والشعوب من نتاج أدبي وفني وفكري، وهو بهذه الصورة معين ثري لا ينضب من الأفكار والمبدعات والأمثولات الدالة، التي تستند عليها الأمم في نهضتها العلمية والفكرية والثقافية.

التراث إذا أردنا الوقوف على مغزاه الحقيقي حافز للنوابغ الموهوبين على استنباط مشاريع خاصة بهم، ينجزون فيها أبنية جديدة، من عناصر وأجزاء فيه متفرقة ومتباعدة، وبالتالي يُشكل ينبوع الثقافة والأصالة، الذي يُغذي الوعي القومي والجمعي لدى الفرد والجماعة في المجتمع الواحد، أو في المحيط البيئي الذي تشترك فيه مجموعة من الشعوب، وهنا يتراءى لنا أن العلاقة بين التراث والجدة ليست، كما سبق الذكر، علاقة تضاد، وإنما علاقة تداخل وتخارج في آن واحد، تجعل كل مُبدع ضاربًا بجذوره في التراث، ومُنفرقًا عنه في نفس الوقت، بمعنى أن الكاتب الأديب أو الفنان المبدع يحتفظ من التراث بأصالته، ويعمل في إطار معطيات هذا التراث، فينشأ جدل من خلاله بين عناصر التراث والواقع، ألا وهو هل نفهم التراث في ضوء الواقع أم نفهم الواقع في ضوء التراث؟

المثقفون في ذلك فريقان، منهم من يستنكر أي محاولة لرؤية التراث أو تفسيره في ضوء معطيات العصر، وحجتهم في ذلك أننا نُحمل الماضي أكثر مما يحتمل، ونضعه في أطر من التصورات ليس لها أدنى تعلق بتصورات من أنجزوا ذلك التراث، آخرون يستنكرون الحكم على الواقع بمعطيات التراث، وحجتهم في ذلك أن الزمن الحاضر غير الزمن الماضي، ومحال أن يكون أسلافنا قد تطلعوا بأبصارهم إلى هذا المدى من المستقبل، بحيث تستوعب نظرتهم واقعنا الذي نعيش فيه اليوم، ولو أننا صدقنا الفريقين لكانت النتيجة أن التراث والواقع متنافران، ليس بينهما أي تجاوب، لكننا سنجد من يغضب عندما يطرد الواقع التراث، وآخر سيغضب عندما يطرد التراث الواقع، وبالتالي نستمر في قضية تدور في حلقة مفرغة لا نهاية لها، فلو اقتصر الأمر على التراث على أن يكون له مجرد حضور في الذاكرة، لما كان له أدنى فاعلية، ولما تحقق التواصل بين حلقات التاريخ، وهذا أمر يختلف عن الوعي بالتراث، فقد يتذكر المرء أحداثًا كثيرة، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنه يعي حدوثها، فوعي المرء لا يتقلص مع مرور الزمن؛ بل خلافًا للذاكرة ينمو في اطراد، ويرجع ذلك إلى طبيعته الجدلية.

يقول المفكر الكبير الدكتور زكي نجيب محمود: "هناك نقطتان: الأولى كنت أشعر في بداية حياتي العلمية إنني غير مُعبأ التعبئة الكافية بتراثنا؛ وذلك لأن التربية في المدارس المدنية كانت تُعطينا هذا التراث قطعًا، ولا تعطينا إياه في صورة متماسكة، فخرجنا جميعًا وفكرتنا ضعيفة لا يعتمد عليها في هذا التراث العظيم.. فلما بلغت السن ما بلغتِ أحسست بمسؤوليتي نحو قلمي، ونحو عقلي وثقافتي، بألا أصدر الأحكام الثقافية إلا وأنا على العقل مُلم بشيء يعتمد عليه في معرفة هذا التراث، لذلك انصرفت إليه بكل ما أستطيع من قوة لأعوض ما فاتني من نقص، وفي أثناء دراستي لهذا التراث كنت ألاحظ ملاحظات أثبتها إما في ذاكرتي أو في مذكراتي إلى أن تكونت لديَّ بعض الأفكار لا أدعي أنها صحيحة كلها، ولا أزعم أنها فاسدة، ولكنها على وجه العموم كونت وقفة ووجهة نظر تتمثل في أنه لابد من تقديم هذا التراث لشبابنا على نحو يجعله جُزءًا من ثقافته، ولكن بشرط ألا يشعر الدارس أنه أمام شيء مقدس. النقطة الثانية، أننا عندما ندرس التراث ندرسه لا ليكون وحده هو الميدان الثقافي الذي نتحرك فيه دائمًا ليكون جزء من كل، أما بقية الكل فهي خاصة بثقافة هذا العصر الذي نعيشه، وأهم ما في هذه الثقافة التي نعيشها هو الجانب العلمي.. فلا جدوى من أن نحبس أنفسنا بين جدران التراث، ولا جدوى من أن نتعصب للعصر وحده، وننسى شخصيتنا وتاريخنا، لذلك نتمنى أن نضمن الجزأين معًا لتتكون لنا صيغة موحدة لثقافة نستطيع أن نعيشها".

> تداول الكتاب والمفكرين في ميادين الأدب والفن والثقافة والإعلام ثنائية "التراث والمعاصرة" على أساس أنها ثنائية تضاد أو تقابل على أقل تقدير، وكأنهما لا يُمكن أن يجتمعا في غمد واحد، والسبب أنهم جعلوا التراث مرادفًا للأصالة، والمعاصرة مرادفا للجدة، واستقر في مفهومهم أن أحد هذين المفهومين ينفي الآخر، أو لا يتحقق إلا على حساب الآخر، وهذا خلط يتطلب التأمل والمراجعة

لقد تمت محاولات لفهم التراث، وتصنيفه في ضوء فكرة الثابت والمتغير، إلا أن التراث في وعينا لا يُمكن أن يكون ثابتًا، بحكم طبيعة الوعي الجدلية، ومن ثم فالتراث يتمثل في ثلاثة مستويات، هي السكونية والحركية والتغيرية، والمعول الأول والأخير فيما يلحق بالتراث من هذه الصفات الثلاث يتوقف على موقفنا من هذا التراث، وعلى أسلوب تعاطينا معه، هل نحفظه كي نُحافظ عليه، أم نختزنه سواء كان هذا الاختزان في ذاكرة الإنسان، أو في المخطوطات والكتب، أو النقوش الأثرية، أو منقوشًا على صفحة الذاكرة، فنُضفي عليه بذلك صفة السكونية، أم نعيه من واقع تجاربنا، ومن منظور اللحظة، بمعنى أن ننقله من حالة الحفظ إلى الحالة التي يصير فيها موضوعًا للوعي، فالوعي بأي جزء من المادة يعني أن هذا الجزء قد صار حيًا متحركًا، فنُسبغ عليه صفة الحركية، ونُحقق له بذلك الوعي والقدرة على التناسل والتجدد والتغير.

وعلى هذا قد تكون المادة التراثية ثابتة ومتحركة في آن واحد، فما يُحفظ منها في الذاكرة والكتب المدونة يُمثل الساكن، وما نعيه منه يُمثل المتحرك، وما هو ساكن في ذاكرة إنسان قد يكون متحرك في وعي إنسان آخر، ومن هنا يأتي الاختلاف الجوهري في موقفنا نحن المتماصرين

من التراث، فمنا من يحفظه، ومنا من يعيه، فيعرفه مجموعة من التصورات الدائمة الحركة والتوالد، ويُفضي هذا التناسل بالضرورة إلى المُغايرة، وربما نقضها، فلا أحد يستطيع التنبؤ مطلقًا بنتيجة الجدل الذي يتمّ في الوعي بين المادة التراثية والواقع المعيش، فالتراث يتناسل في هذا الواقع المتجدد والمتغير من خلال الوعي البشري به في أشكال مغايرة تبلغ أحيانًا حدًّا تكون فيه مناقضة للأصل التراثي الذي تعود بجذورها إليه.

والشخص قد ينبغ في مجال نشاط بعينه، كالشعر مثلاً، مؤكدًا بذلك تفرده، لكن هذا النبوغ لا يتحقق إلا من خلال الإدراك الواعي للتراث في مغزاه وموقعه بالنسبة إلى الواقع الراهن، ولما كان هذا الواقع مُتجددًا ومُتغيرًا، كان بمقدورنا الإجابة على السؤال الخاص بالتراث من حيث حده الزمني، إن السؤال عن تراث أمة ما متى بدأ يُعد سؤالاً اشكاليًّا لا يُمكن حسم الإجابة عنه، ذلك أن أسلافنا يمتدون إلى آبائنا وأجدادنا، وعلى هذا الأساس يُصبح التراث مُمتدًا فينا، لتُصبح في يوم ما تراثًا لأبنائنا ولأحفادنا، وبهذا المعنى يُصبح التراث ممتدًا في الزمن بلا نهاية، ومتجددًا ومتغيرًا.

يقول مؤرخ الأدب العربي الدكتور شوقي ضيف: "إن التشكيك في قيمة التراث لا أساس له من الصحة؛ لأن أمم التكنولوجيا الحديثة تعتني بتراثها لسبب طبيعي، هو أن التراث يحمل ماضي الأمة، وقيمها الروحية والخلقية والاجتماعية والفكرية، بينما التكنولوجيا تعني بالحياة المادية، ولا تضارب بين هذا الجانب والجانب السابق، بل إننا نجد أمم التكنولوجيا الغربية لا تكتفي بالعناية بتراثها الخاص، فهي تعني أيضًا بالتراث العربي، لأنه عنصر مُهم متداخل في حضارة الإنسانية، فإن حضارتهم الحديثة استُمدت من الحضارة القديمة بما يشمل الحضارة العربية، ولا تكاد توجد جامعة كبرى في الغرب إلا وتدرس التراث العربي، فنحن أولى بدراسته والعناية به؛ لأنه يحمل تاريخنا ومقوماتنا وشخصيتنا، وفيه تخلّقت قوميتنا، وتخلق وجودنا وكياننا كله".

ووعي المرء بتراثه الخاص لا ينفي إمكانية وعيه بالتراث الآخر، الذي تملكه الشعوب الأخرى، فعلى الرغم مما يتمتع به التراث من الثراء، هناك دائمًا ما يدعو إلى الخوف من أن الاستغراق فيه قد يُفضي إلى تسلل الضعف إلى النسل الجديد جيلاً بعد جيل، فالتراث القومي لإنسان ما خليق بأن يقوى في وعيه عندما يقترن بتراث أمة أو أمم أخرى، وبهذا المعنى يُصبح الانفتاح على الآخر دعمًا للتراث الخاص، وليس كما يتصور بعض الناس تهديدًا. إن وعي الأديب أو الفنان للتراث هو تجربة كل منهما على حده، وهو غير مُنفصل عن وعيه بالتاريخ في ماضيه وحاضره ومستقبله، ومن خلال هذا الوعي المتآزر، يتحقق الأديب والفنان، وتتحقق للأدب والفن صيرورتهما، ويتحقق للمتلقين النماء والثراء.

التراث العربي الإسلامي دونه أفراد من مختلف أصقاع العالم من بخارى وسمرقند وفارس والأندلس وبغداد والقيروان ودمشق والقاهرة، وجمعوا عصارة فكرهم ونتاج عبقريتهم على الورق، وشاءت الظروف أن تنتقل تلك الأوراق والمخطوطات في رحلة العلم الطويلة إلى أماكن أخرى وتتكدس فيها وتتجمع، مثل أوروبا وأمريكا وبلاد أخرى، فالعلم لا وطن له، لقد أعطى أسلافنا وقدموا للبشرية إنتاجًا علميًّا لا يُقدر بثمن، بدون أن ينتظروا المكاسب والأرباح المادية، لقد أدرك أجدادنا أن العلوم ليست مقصورة على حضارة دون سواها أو شعب دون آخر أو أمة دون أخرى، ويعكس هذا بجلاء ضرورة الاهتمام بالتراث باعتباره "شاطئ الأمان وطوق النجاة في طوفان العولمة ذلك الشبح القادم لمسخ الهوية القومية".



إحياء التراث وتحقيقه ضرورة علمية قوميّة حضارية إنسانيّة، ولكلّ أمة تقدر ما هو قيم، وتحاول أن تُفيد منه في الحاضر والمستقبل. إن الاهتمام به "ليس تاريخيًّا ماضويًا بقدر ما هو عمل حياتي مستقبليّ، والأمر لا يُمكن أن يبقى، كما هو الآن، في حدود الوفاء النظري له والإشادة العاطفيّة به، وإنما هو كذلك، أو قبل ذلك، في الانتفاع به، والوفاء لأنفسنا من خلاله. إنه ليس زينة، ولكنه سلاح، وليس تباهيًا وإدلالاً، ولكنه قبل ذلك نوع من الإعداد، ولون من كسب الثقة بالنفس".

> إحياء التراث وتحقيقه ضرورة علمية قوميّة حضارية إنسانية، ولكل أمة تقدر ما هو قيم، وتحاول أن تُفيد منه في الحاضر والمستقبل. إن الاهتمام به "ليس تاريخيًّا ماضويًا بقدر ما هو عمل حياتي مستقبليّ

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: "إحياء التراث العربي لابد له من عملين متلازمين يتوقف أحدهما على الآخر، أحدهما نشر الكتب والآثار العربية في جميع الأقطار التي تقرأ لغة العرب، والثاني إيجاد الرغبة في قراءة هذه الكتب والإحاطة بهذه الآثار، أو تنشيط هذه الرغبة إذا كانت موجودة على حالة من الضعف والفتور، إذ لا يكفي نشر الكتب والآثار لإحياء التراث العربي، إذا نحن نشرناها بين أناس لا يحفلونها، ولا يُقبلون عليها، ولا يشعرون بالحاجة إلى دراستها والإلمام بها، وكثيرًا ما تكون طريقة النشر سببًا من أسباب الترغيب في القراءة والتنشيط إليها، وكثيرًا ما تكون الرغبة في القراءة والنشاط إليها سببًا من أسباب العناية بالنشر والتوفر على وسائله المثلى. ومن ثم نقول إن إحياء التراث العربي يحتاج إلى عملين متلازمين، وأن كل عمل من هذين العملين يتوقف على الآخر، وعندنا إن الوسيلة المثلى لإيجاد الرغبة في إحياء التراث العربي هي مزجه بالحياة الحاضرة، وتحويله إلى مجراها، فلا يُشارفه الإنسان كما يُشارف متحفًا قديمًا للآثار المحفوظة، بل يُشارفه كما يدخل في معترك الحياة، وينغمس في تيار الشعور والعاطفة، وليس ذلك بعسير إذا حسنت المطالعة، وحسن الاختيار، وحسن التنبيه".

الحل يأتي إذن من التوفيق بين التراث والحداثة، بحيث تُبقي على التراث وتُهيئ الفرصة للحداثة، فلا نتعصب للتراث لأنه تراث، ولا نقف في وجه المعاصرة لأنها معاصرة، ويتأتى ذلك من خلال تعميق الانتماء للقيم والأعراف والتقاليد والتراث والفكر العربي، بالحفاظ عليه وغرسه في جُرعات مكثفة ومستمرة في عقل ووجدان الشباب العربي، ولا ننسى أن نشر التراث العربي والإسلامي يُفيد في معرفة تاريخ العلماء الذين مهدوا الطريق لنا، وسلكوا ضروبًا

مُضيئة، واحتملوا عناءً باهظًا، وأظهرونا على مداخل هذا التراث، ويمثل تاريخ العلم وفلسفته، والمراحل والتطورات التي مرت بها المسيرة العلمية في العصور الوسطى، وعن طريقه يُمكن قراءة كل الإنتاج العلمي القديم، إذ إنه عالمي بمصادره ومنابعه وتطوراته، وامتداداته، والتقاء الحضارات معروف مشهور، والتأثير والتأثر بين الشعوب حتمي ولازم، والحضارة العربية واحدة من الحضارات الإنسانية الشامخة، وهي حضارة عريقة ممتدة الجذور، جلّاها وكشفها ونمّاها الإسلام، ثم امتدت فتوحاته ودخلت فيه أمم أخرى كثيرة ذات حضارات قديمة، هجرت تلك الأمم لسانها القديم واتخذت اللسان العربي أداة فكر وبيان، فالعلماء الذين كانوا يكتبون بلغتهم الأم كانوا يقومون بنقل مؤلفاتهم إلى العربية، التي أصبحت لغة العلم بدءًا من القرن التاسع الميلادي وأخذت بُعدًا كونيًّا، فلم تعد لغة التعبير عند العرب وحدهم بل لعدة شعوب، ولغة لكل المعارف، وبالتالي التراث. لقد استقى أسلافنا العلم من الهند والصين إلى اليونان، وأضافوه إلى إرث اليمن ومصر والعراق، وترجموا وطوروا واخترعوا، بحيث أضحى علمهم علم العالم، ولغتهم لغة العالم على امتداد سبعة قرون.

في البدايات انبرى البعض بتأثير دوافع أيديولوجية ضيقة، وبقصر نظر تاريخي محض، لمهاجمة التراث العربي الإسلامي، بأنه إزجاء للوقت، وبأن هذه الأعمال التراثية تصلح لعرضها في المتاحف فقط، أو من باب الترف الفكري، وحاول البعض أن يلتزم الحياد بموقف توفيقي مطالبين بأن يؤخذ من التراث الأشياء الجيدة المفيدة، وينبذ عدا ذلك، بحسب المعايير المعاصرة والأحكام المسبقة، وعلى هذا الأساس ما إن هل منتصف القرن التاسع عشر حتى بدأت طلائع حركة لجمع التراث مدفوعة بدوافع ذاتية تركزت في جمع النصوص وتفسيرها لُغويًّا دون التوقف لدراستها، ومع تقدم خمسينيات القرن العشرين بدأت هذه الدراسات تأخذ شكلاً مختلفًا وجادًا، وتدخل الجامعات العربية فيما يُمكن أن نُسميه الاهتمام الأكاديمي، وتشهد الساحة الثقافية في الوقت الحاضر نهضة تراثية علمية، تتمثل في الإقبال على تحقيق ونشر كتب التراث باعتبارها ضرورة علمية، كما تتمتع بنسبة معقولة من القراء، بعد أن ظل التراث العلمي العربي الإسلامي المخطوط محفوظًا في خزائن الكتب، وفي بطون المجلدات والأوراق على حالته كما تركه أصحابه، رغم ذلك لا يزال ميدان الاهتمام بالمخطوطات العربية وتحقيقها لا يغري سوى فئة قليلة من الدارسين والباحثين.

ومع الحركة الثقافية النشطة التي شهدتها دول الخليج في الربع الأخير من القرن العشرين، وضمن محاولة جادة وهامة ومباركة من قيادات تلك الدول، وبمساهمة ملحوظة في توفير الإمكانات اللازمة، نشأت مجموعة من مراكز الوثائق والدراسات تنهض بمهمة عظيمة وجليلة في جمع الوثائق، وجمع التراث، وحشد بنية أساسية ضخمة لكل ما يتعلق بهذا المجال، وانطلقت من خلالها كتائب الباحثين لجمع الوثائق، وتسجيل الحكايات من أفواه كبار السن، وكل ما حفظته السنين. ومن خلال الأمانة العامة لهذه

> ❝ في البدايات انبرى البعض بتأثير دوافع أيديولوجية ضيقة، وبقصر نظر تاريخي محض، لمهاجمة التراث العربي الإسلامي، بأنه إزجاء للوقت، وبأن هذه الأعمال التراثية تصلح لعرضها في المتاحف فقط، أو من باب الترف الفكري ❞

المراكز، وعبر خطة للتعاون الأخوي بين الأشقاء، أخذت الوثائق والموروثات تنتقل من مركز لآخر في حركة نشطة للتبادل والتعاون توفيرًا للجهد والمال، ولا تزال حركة الجمع متواصلة ومستمرة بصورة مُرضية.

وفي سبيل جمع التراث والتاريخ وتوثيقه ودراسته، والأخذ بالجوانب المضيئة فيه، واستثماره، قامت في دولة الإمارات العربية المتحدة، كنموذج، مراكز ومؤسسات ولجان وجمعيات رسمية وأهلية، تفرغت لأعمال تدوين التراث وجمعه وإحياء ما اندثر منه، وعلى صعيد المراكز والمؤسسات الرسمية يبرز دور مركز الوثائق والدراسات المنبثق عن المجمع الثقافي في أبو ظبي، ومركز زايد للتراث والتاريخ بالعين، وهناك أيضًا مراكز ولجان مماثلة تابعة لدواوين أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد. وعلى الصعيد الأهلي يبرز دور جمعيات الفنون الشعبية والتجديف المنتشرة في مختلف أرجاء الإمارات، وجمعية إحياء التراث الشعبي، وجمعية النخيل للفنون الشعبية برأس الخيمة، فضلاً عن الجهود والاهتمامات التطوعية الفردية من دراسات وبحوث وجمع للتراث والوثائق، والتحقيقات الميدانية، إضافة إلى بعض الاهتمامات الفردية في مجال اقتناء وحفظ المواد التراثية المادية كالتُحف والقطع الأثرية التراثية المختلفة.

إن الإشكالية الحقيقية تتعلق بجملة قضايا متفرعة أبرزها: مفهوم التراث العربي والمواضيع والحقول المعرفية التي يُغطيها ويتعرض لها، والمنهجية العلمية الصحيحة في البحث التراثي، أو التوازن الدقيق بين باحث يحيا في الألفية الثالثة، ومعها العولمة، ويحاول التبحر في فكر مجموعة من الأفراد عاشوا في أوقات بعيدة مختلفة، وكشف علومهم وأفكارهم بموضوعية وحياد. فالأمر يتطلب وعيًا تراثيًّا حقيقيًّا تراكميًّا، يؤهل للتعامل الصحيح مع التراث وقضاياه المتشعبة، والذي بدونه سوف تذوب الأجيال القادمة في محيط العولمة بلا هوية ولا حضارة ولا طاقة على تحديد مسارها أو اختيار مصيرها. فالتراث العربي يُمكن أن يُسهم إلى حد كبير في حوار الحضارات بين الشرق والغرب، ويلعب دورًا في تقريب وجهات النظر المختلفة، والمتنافرة، فهو ثمرة احتكاك وتلاقح ثقافات وحضارات عدة استطاع أجدادنا ببراعة صياغتها وإغنائها؛ فأصبحت نسيجًا متفردًا ليس مقطوع الجذور؛ بل تراث حضاري مهم ومتشعب لا يُستغنى عنه في مسيرة الحضارة البشرية عبر التاريخ، باعتراف مؤرخو العلوم من المستشرقين، فيقول نيكلسون "وما المُكتشفات اليوم لتحسب شيئًا مذكورًا إزاء ما نحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلاً وضاءً في القرون الوسطى المُظلمة في أوروبا".

وختامًا، لا مناص من أجل التعرف على حضارة الأمة العربية والفكر الإسلامي من جميع جوانبه من إحياء ما خلفته هذه الحضارة من أعمال فكرية، ونشر المخطوطات القديمة، ولا نترك المجال للمستشرقين، لأن بعضهم ممن تصدوا لتحقيق بعض كتب التراث كانوا غير محايدين، وغيروا في بعض النصوص كي تأتي متفقة مع ما يُريدون أن يُشيعوه، وكذلك للدفاع عن العرب، وبيان سبقهم في كثير من العلوم، فكثير من النظريات والأفكار التي يدّعي الغربيون أن الفضل في وجودها يرجع إليهم؛ إنما نبتت عند المسلمين وأخذها الغرب عنهم، كما أن الاهتمام بالتراث سيعمل على إحياء اللغة العربية؛ لأنها لغة التراث، وإحياؤنا للتراث إحياء لها.

المراجع:

1 - محمد عبدالقادر: "إحياء التراث ونشره دعم للحاضر واستشراف للمستقبل"، مجلة الوثيقة، العدد 21 (يوليو 1992)، ص 90-92.

2 - علي إبراهيم النملة: "أثر المستشرقين في خدمة التراث العربي الإسلامي"، في كتاب ندوة الطباعة حتى انتهاء القرن التاسع عشر، (أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، 1996)، ص 309.

3 - زكي نجيب محمود: "إحياء التراث وكيف أفهمه"، مجلة العربي، العدد 265 (ديسمبر 1980)، ص 12، 13.

4 - جابر عصفور: "استلهام التراث الأدبي"، مجلة تراث، العدد 136 (يناير 2011)، ص 26.

5 - محمد عدنان سالم: "التراث في تجربة ناشر عربي"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 8 (مارس 1995)، ص 52.

6 - "التراث العربي وكبار المفكرين"، الأقارب، جريدة عربية شهرية تصدر من بومباي، 18/ 11/ 1986، ص 13.

7 - سعيد يقطين: "دوائر التراث ومساراته" مجلة تراث، العدد 160 (فبراير 2013)، ص 20، 21.

8 - حسام دبس وزيت: "التراث والحداثة في الفكر المعماري العربي المعاصر"، مجلة التراث العربي، العدد 112 (ديسمبر 2008)، ص 153.

9 - "التراث العربي وكبار المفكرين"، الأقارب، جريدة عربية شهرية تصدر من بومباي، 18/ 11/ 1986، ص 13.

10 - عبدالجبار عبدالرحمن: "تسريب التراث العربي المخطوط إلى المكتبات الأوروبية والأمريكية"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 31 (أكتوبر 2000)، ص 50.

11 - شكري فيصل: "التراث العربي خطة ومنهج"، مجلة التراث العربي، العدد 3 (أكتوبر 1980)، ص 211، 212.

12 - عبدالله بن خالد آل خليفة: "التراث الشعبي طوق النجاة في طوفان العولمة"، مجلة الوثيقة، العدد 38 (يوليو 2000)، ص 8، 9.

13 - مصطفى محمد طه: "العودة إلى التراث ضرورة حضارية"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 70 (يونيو 2010)، ص 38، 39.

14 - شكري فيصل: مرجع سابق، ص 212.

15 - عباس محمود العقاد: "التراث العربي ووسائل إحيائه في هذا العصر"، في كتاب العرب والإسلام في العصر الحديث، (القاهرة: دار الهلال، د. ت.)، ص 93.

16 - رياض نعسان أغا: "لماذا ندرس التراث؟"، مجلة تراث، العدد 157 (نوفمبر 2012)، ص 146.

17 - عبدالرزاق حسين: "تحقيق المخطوطات ضرورة علمية"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 77 (مارس 2012)، ص 126، 127.

18 - جمعية النخيل للفنون الشعبية: لمحات عن تراث وفلكلور مجتمع الإمارات، (أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، 1996)، ص 15-17.

19 - مصطفى محمد طه: "حوار الحضارات: الحضارة الإسلامية نموذجًا"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 37 (أبريل 2002)، ص 15، 16.

20 - محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984)، ص 16.



أنهار خفية أم مياه جوفية: نظرة تراثية



أ.د. يعرب قحطان الدُّوري
جامعة برليس - ماليزيا

يعد مصدر الاحتياجات المائية هما المياه السطحية كالأنهار والبحيرات ومجاري الوديان والمياه الأرضية كالآبار والينابيع والكهوف. أثبتت الدراسات الجيولوجية أن أقل من 3% من المياه العذبة توجد في الأنهار والبحيرات أما 97% فإنه يوجد في باطن الأرض. يرجع استغلال المياه الجوفية إلى العصور القديمة، حيث قام قدماء المصريين بحفر الآبار للحصول على المياه من مصادرها الجوفية، لكن ظل استخدامها محدودًا بل ويكاد يكون محصورًا في بعض المناطق الصحراوية القاحلة والتي لا تتوفر فيها مصادر مياه سطحية. ومع التطور الكبير في العلوم والتكنولوجيا تضافرت جهود لدراسة المياه الجوفية والاعتماد عليها مع تزايد السكان في جميع أنحاء العالم.



وادي «عبد الملك» من أشهر وديان هضبة الجلف الكبير

المقدمة :

كثر الحديث عن المياه الجوفية بالصحراء الغربية المصرية بعضها يتدفق من واحة الكفر جنوب شرق ليبيا في اتجاه شمال ليبيا، وبعضها أتى من حوض نهر النيجر مخترقًا الصحراء المصرية، والرأي حسب الدكتور دياب[2] أن حقيقة المياه الجوفية لا يكشفها إلا حفر بئر جوفي أو جس كهربائي يثبت أو لا يثبت أن هناك مياهًا، فماهي كميتها وما نوعها؟ ونستطيع استنتاج أنه لا توجد أنهار مياه جوفية تحت الصحراء المصرية عمومًا ولكن توجد خزانات مياه جوفية في صخور ورواسب تحتوي المياه بين حبيباتها طبقًا لفكرة احتواء الاسفنج للمياه وتتحرك المياه بين هذه الحبيبات طبقًا لضغط المياه واتجاه هبوطه ويمكن سحب المياه التي تحفر على عمق في الرواسب والصخور التي بها المياه الجوفية في الخزان الجوفي، إذن هناك خزانات مياه جوفية بين حبيبات الصخور التي يمكنها حفظ المياه وقادرة على بثها عند ضخ المياه منها وهناك مناطق مياه جوفية ذات ضغط مائي مرتفع عند مناطق تغذية الخزان الجوفي ومناطق مياه جوفية ذات ضغط منخفض عند مناطق سحب المياه من بئر أو مجموعة آبار تضخ مياها من الخزان الجوفي ذاته وبالطبع تتحرك المياه من مناطق التغذية الأعلى إلى مناطق السحب داخل ثنايا الصخور وتتحكم فيها كسور وطيات.

أما الدكتور عودة[3] فقد رأى أن النهر يمتد على مساحة 3 مليون و485 ألف فدان من تشاد إلى مصر هو اكتشاف أنهار قديمة في بحر الرمال الأعظم وأنه اكتشاف سيغير وجه الحياة في مصر، وسيغير المفاهيم الجيولوجية عن بحر الرمال الأعظم في الجزء الغربي من الصحراء الغربية وأنه بحرًا من المياه الأعظم التي تسبح على الخزان الجوفي النوبي.

أما الربط البيئي بالماضي التاريخي فكان من تشخيص المهندس الكحيل[4] حيث رأى أن زيف اعتقاد أن الفراعنة شيدوا الأهرامات في مناطق صحراوية كما يشاهدونها اليوم، فالمعروف أن الفراعنة بنوا حضاراتهم قبل آلاف السنين، وتبين الدراسات التاريخية أن الناس في ذلك الزمن كانوا يعيشون في رفاهية ونعيم وبيئة مناسبة للتطور والازدهار.

التكنولوجيا تبهر بالاكتشافات

وجد البروفسور Liviu Giosan[5] بعد دراسة معمقة باستخدام بيانات القمر الصناعي أن غزارة الأنهار ساهمت في تشكل هذه الحضارات القديمة، وبسبب زوال هذه الأنهار زالت الحضارات واختفت تدريجيًا عبر آلاف السنين. يربط العلماء في هذه الدراسة بين ازدهار الحضارة وغزارة الأنهار المتدفقة في منطقة ما، فالصحراء الغربية مثلاً والتي تمتد من مصر إلى ليبيا والجزائر لآلاف الكيلومترات كانت ذات يوم مزدهرة والأنهار تتدفق فيها.

يقول البروفسور Michael Petraglia[6] من جامعة أكسفورد: هذه الرمال تخفي تحتها شبكة هائلة من الأنهار التي كانت ذات يوم تغذي الحضارة المصرية، والتي مكنت الفراعنة من إقامة مملكة عظيمة وذلك قبل خمسة آلاف سنة تقريبًا، تخبرنا الدراسات العلمية الجديدة أن الفراعنة نحتوا هذه التماثيل في أرض مليئة بالحياة والماء والأشجار، ولكن عوامل الجفاف وتغير المناخ سبب نزوح السكان وتصحّر هذه المنطقة واختفاء معظم أشكال الحياة منها.

> تظهر صورة حديثة بالأقمار الاصطناعية لمنطقة الربع الخالي في الجزيرة العربية، وجود بحيرة كبيرة ومجموعة من الأنهار دفنتها الرمال قبل آلاف السنين، ويحاول العلماء في وكالة الفضاء الأمريكية ناسا التنبؤ بمستقبل هذه المنطقة وتؤكد الدراسات العلمية أنها ستعود كما كانت أنهارًا ومروجًا خلال السنوات القادمة.

تظهر صورة بالأقمار الاصطناعية كيف انقرضت الحياة البشرية من معظم أنحاء مصر وانحصرت الحياة فقط في منطقة نهر النيل (الشريط الأخضر)، ويؤكد العلماء أن هذه المنطقة الصحراوية كانت ذات يوم خضراء مزدهرة ومليئة بالبحيرات والأنهار والنباتات وكانت الينابيع تتدفق في كل مكان.

أما العلماء اليوم فقد أكدوا أن مصر القديمة في زمن الفراعنة كانت مليئة بالمزارع والنباتات وأشجار الفاكهة، واستدلوا على ذلك من خلال الكميات الكبيرة والمتنوعة من غبار الطلع، والتي عثروا عليها مخبأة في رمال الصحراء لآلاف السنين، مدعومين بالنص القرآني الكريم: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[7]، إشارة إلى وجود أنهار في مصر القديمة وهو ما لم يكن معلومًا زمن نزول القرآن الكريم.

كما أن الدراسة الجديدة تؤكد أن الصحراء العربية في شمال أفريقيا ليست الوحيدة التي ازدهرت فيها حضارات بفعل الأنهار والغابات والمروج، إنما هناك منطقة في صحراء الربع الخالي في شبه جزيرة العرب كانت تتمتع بشبكة من الأنهار والحضارات دفنتها رمال الصحراء.

كما تظهر صورة حديثة بالأقمار الاصطناعية لمنطقة الربع الخالي في الجزيرة العربية، وجود بحيرة كبيرة ومجموعة من الأنهار دفنتها الرمال قبل آلاف السنين، ويحاول العلماء في وكالة الفضاء الأمريكية ناسا التنبؤ بمستقبل هذه المنطقة وتؤكد الدراسات العلمية أنها ستعود كما كانت أنهارًا ومروجًا خلال السنوات القادمة.

يقول العلماء من أهم الأحداث التي أثرت على مصر القديمة هو الجفاف الذي ضرب مصر قبل 4200 سنة، وأدى لمجاعات ولعب دورًا في نهاية مملكة مصر القديمة، فقد بدأت موجات الجفاف بالهيمنة على المشهد المصري القديم بشكل متتابع حتى أنهكت البشر، وربما تكون بداية هذه الموجات قبل 4200 سنة تقريبًا، وهنا نتذكر سورة يوسف والمجاعة التي حدثت في زمانه، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾[8].

توافق التراث مع الاكتشافات الحديثة

قام البروفسور Benjamin P. Horton[9] بالمسح الجيولوجي في منطقة الأهرامات وأبو الهول ووجد أن هذه الصحراء التي تقبع فيها هذه الآثار القديمة كانت في يوم من الأيام تعج بالحياة والأنهار والغابات والزروع ومختلف أصناف الفواكه.

أما علماء الجغرافيا والتاريخ ومنهم المقريزي[10] في كتابه[11] والأندلسي[12] في كتابه[13] وغيرهما فقد تناقلوا الرواية التي تقول: كانت الأنهار تجري تحت سريره وكانت أربعة أنهار.



د. تشارلز العشي: المسؤول عن نظام التشغيل والدفع للمركبة الفضائية في مختبر ناسا



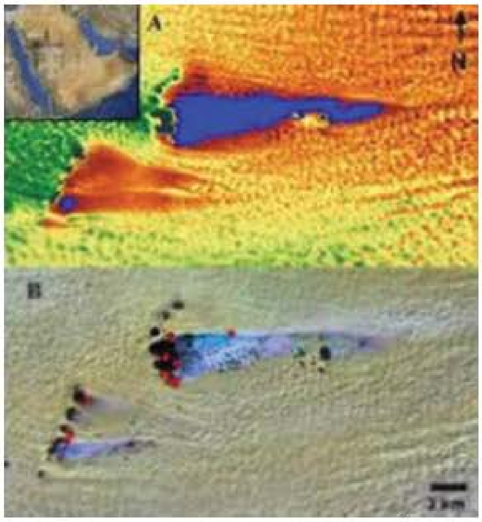
وفي عصرنا الحالي، في نوفمبر من عام 1981 أطلقت المركبة الأمريكية الفضائية، التي كانت تحمل اسم كولمبيا في رحلتها الثانية إلى الفضاء التي التقطت صورًا لمنطقة الجلف الكبير.

والعلماء الذين أشرفوا على هذه المهمة ودراسة الصور العلمية هم: تشارلز العشي المسئول عن أجهزة دفع المركبة الفضائية - وهو الباحث الرئيسي في هذه المهمة - وجيرالد جي شابر رئيس فرع الجيولوجيا الفلكية في أريزونا، لدراسة الصور التي التقطتها مركبة كولمبيا بالإضافة إلى كارول بريد وجون ماكولي وموريس جرولير.

يقول جون ماكولي Mccawly: لقد استطعنا أن نرى ما تحت سطح الصحراء وأن نستخدم الرادار إلى أكثر من خمسة أمتار. وفي عام 1982 قام فريق من الجيولوجيين، بقيادة الدكتور باهي عيساوي مدير سلطة التنقيب والمسح الجيولوجي المصرية، بحملة تنقيب للتأكد من وجود الأنهار التي أظهرتها الصور الفضائية كولومبيا، وكان يرافقه في هذه الحملة عدد من الجيولوجيين مثل شابر وماكولي وجرولير من فريق المسح الجيولوجي الأمريكي والاتشي: ورون بلوم، من المختبر المسئول عن دفع المركبة الفضائية، وعدد من العاملين المصريين في هذا الميدان، في هذا الموقع الجيولوجي بدأ العمال بحفر حفر في اللوح الرملي،



د. شابر جيرالد: رئيس فريق المسح الجيولوجي الأمريكي ورئيس فرع الجيولوجيا الفضائية في أريزونا



صورة بالأقمار الاصطناعية لمنطقة الربع الخالي في الجزيرة العربية، تظهر وجود بحيرة كبيرة ومجموعة من الأنهار دفنتها الرمال قبل آلاف السنين

في المنطقة التي أشارت إليها صور المركبة الفضائية إلى وجود أودية عميقة تحت الرمال، ولم يمض وقت طويل حتى بدأت تظهر الأدلة، فقد كشف الفريق عن وجود رمال نهرية وحصى نهري مستدير الشكل وبعض أدوات العصر الحجري التي جمعتها السيول والمياه الجارية.

وبعد نجاح الحملة الأولى، نظّمت حملات أخرى لمتابعة المسيرة، ففي عام 1983 قام نفس العلماء بدعم من المؤسسة الأمريكية والمصرية بحملة جديدة، فقد ركبوا سياراتهم الخاصة بالرمال، واتجهوا إلى أطراف الصحراء الغربية، ولكنهم هذه المرة استعانوا بستة أقمار صناعية أمريكية عسكرية تدور في المنطقة، وقد وجد العلماء عددًا كبيرًا من تلك الممرات، واستطاعوا تحديد شبكة من الأنهار الضخمة التي كانت موجودة هناك، لكن من المفارقات العجيبة التي شاهدوها أن الرمال مازال رطبًا، ودهشوا في البداية لعثورهم على رمل مازال رطبًا، لأن المنطقة بعيدة جدًا عن الواحة، ومما أثار دهشتهم، أن الرطوبة توحي بوجود مخزونات مائية جوفية هائلة، كان المناخ في تلك الحقبة الزمنية، يساعد على وجود حياة نباتية وحيوانية، وقد جفّ الماء السطحي قبل حوالي 5000 سنة أو أقل، وبالتالي هجر الإنسان تلك المنطقة، وكذلك الحيوانات بعد جفاف النباتات.

كذلك أكدت دراستهم أن الصحراء العربية في شمال أفريقيا ليست الوحيدة التي ازدهرت فيها حضارات بفعل الأنهار والغابات والمروج، إنما هناك منطقة في صحراء الربع الخالي في شبه جزيرة العرب كانت تتمتع بشبكة من الأنهار والحضارات دفنتها رمال الصحراء[14].

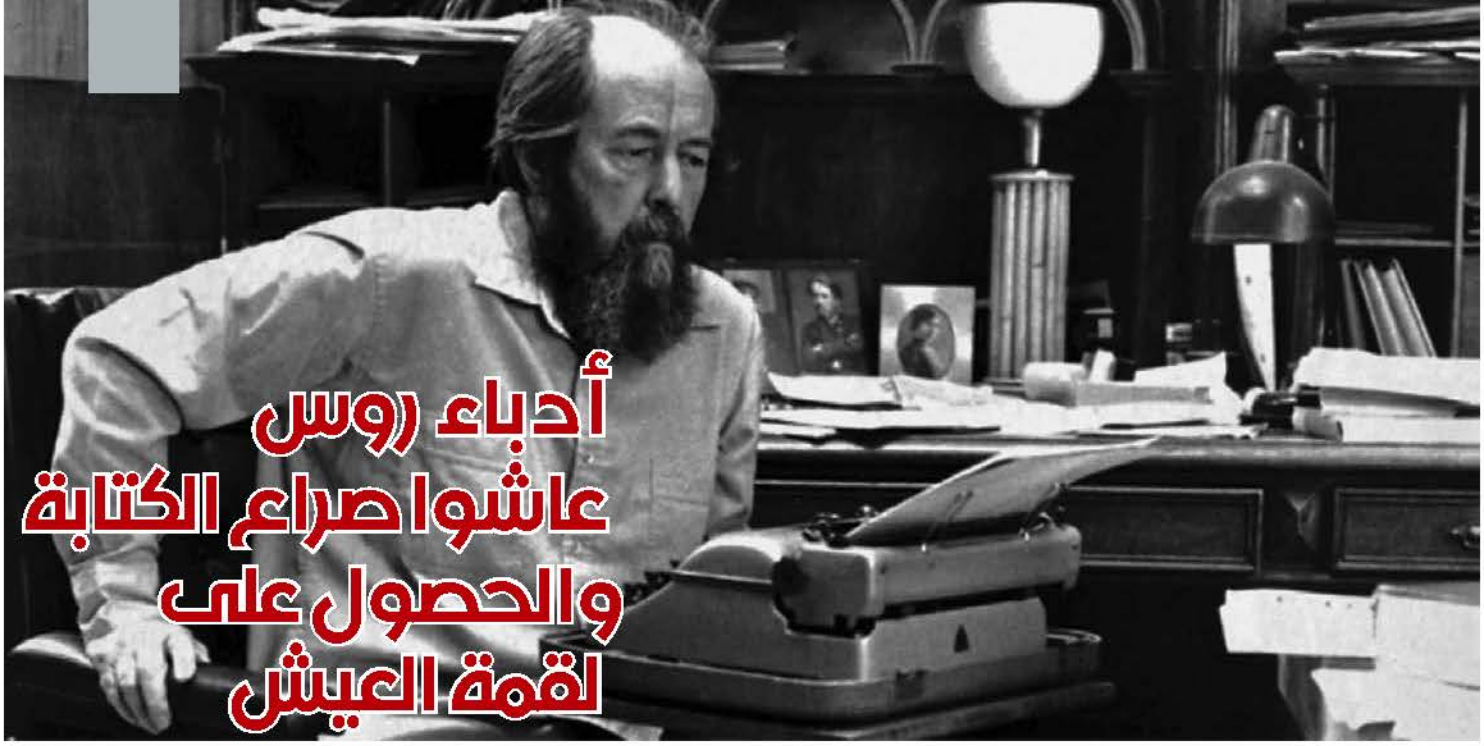
إن هذه الآيات والدراسات الحديثة تشهد على إعجاز علمي يؤكد على حقيقة وجود أنهار مصر القديمة كمعجزة ثابتة، وحقيقة دامغة.

الهوامش:

1 - البريد الالكتروني: yaldouri@yahoo.com
2 - هل توجد أنهار مياه جوفية تحت الصحراء المصرية؟
3 - اكتشاف أنهار قديمة في بحر الرمال الأعظم.
4 - أنهار مصر القديمة.
5 - Climate change led to collapse of ancient Indus civilization, study finds
6 - Ancient network of rivers and lakes found in Arabian Desert
7 - الزخرف: 51.
8 - يوسف: 48.
9 - Climate and drought lessons from ancient Egypt
10 - مؤرخ مسلم، شيخ المؤرخين المصريين "أحمد بن علي المقريزي" المعروف باسم "تقي الدين المقريزي" ولد وتوفي في القاهرة 764 هـ - 845 هـ الموافق 1364م - 1442م.
11 - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
12 - عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، جغرافي وموسوعي وابيبونباتي أندلسي، ولد في ولبة قرب اشبيلية حوالي عام 1030م وتوفي في قرطبة عام 1094م اشتهر في القرن الحادي عشر الميلادي، وهو أول الجغرافيين المسلمين في الأندلس، قيل إن ملوك الأندلس كانوا يتهادون كتبه. في عام 1949م أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا اسمه على فوهة من فوهات القمر تقديرًا لإسهاماته المتميزة في حقل الجغرافيا.
13 - المسالك والممالك.
14 - أنهار مصر القديمة.

المصادر:

- القرآن الكريم
- اكتشاف أنهار قديمة في بحر الرمال الأعظم ستغير من شكل الحياة في مصر، الدكتور خالد عودة، موقع مصرس http://www.masress.com/dostor/58406
- المسالك والممالك، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، دار الغرب الإسلامي، 1992م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
- أنهار مصر القديمة: معجزة جديدة للقرآن، المهندس عبد الدايم الكحيل، www.kaheel7.com/ar
- هل توجد أنهار مياه جوفية تحت الصحراء المصرية؟ د. مفاوري شحاتة دياب، الأهرام، السبت 24 من ذي القعدة 1432 هـ 22 أكتوبر 2011 السنة 136 العدد 45610
- Ancient network of rivers and lakes found in Arabian Desert, 12012/5/, http://phys.org/news/201205--ancient-network-rivers-lakes-arabian.html
- Climate and drought lessons from ancient Egypt, 162012/6/ ,https://www.sciencedaily.com/releases/20121206161106639/06/.htm
- Climate change led to collapse of ancient Indus civilization, studyfinds, 282012/5/, https://www.sciencedaily.com/releases/20121205281549 43/05/.htm



أدباء روس عاشوا صراع الكتابة والحصول على لقمة العيش

أن يكون المرء كاتبًا مهمًّا في روسيا لا يعني أبدًا أن تكسب مالاً جيدًا. ففي زمن القياصرة، أدى نقص انتشار التعليم إلى محدودية سوق الأدب بمجموعة صغيرة جدًّا من القراء. وفي زمن الاتحاد السوفييتي، فقط الكتّاب الموالون للسلطات استطاعوا العيش من كتاباتهم- بينما أُجبر الآخرون على القيام بأعمال أخرى.

الإنسانية والعبثية: طبيبان وكاتبان عظيمان

عمل أنطون تشيخوف كطبيب لأكثر من 15 عامًا ولم يُبدِ أسفه على هذا القرار أبدًا. معظم مرضاه كانوا من الفلاحين والخدم والفقراء. وكان عديد من مرضاه لا يستطيعون تكلفة العلاج عند الطبيب، لذلك كان تشيخوف يعالجهم مجانًا.

لم يكن تشيخوف يمارس مهنة الطب من أجل المال. حيث قال: "الرغبة في خدمة الصالح العام مطلوبة من أجل الروح، وهي ضرورية في سبيل تحقيق السعادة الشخصية" وبقي تشيخوف متمسكًا باعتقاده. في العام 1890، سافر إلى مستعمرة جزائية على جزيرة سخالين لإجراء تعداد والتحقيق في الظروف الصحية للسجون والمستشفيات والثكنات هناك. وقام بنشر نتائجه في عمل غير روائي "جزيرة سخالين"، والتي أدت إلى تحسين ظروف المساجين التي كانت مروّعة. وفي العام 1892، عندما ضرب وباء الكوليرا وسط آسيا، نظّم تشيخوف إغاثة طبية للضحايا على نفقته الخاصة.

وقال تشيخوف في إحدى المرات: "الطب هو زوجتي الشرعية، أما الأدب فهو عشيقتي". لكن الطب ساهم بشكل كبير في كتاباته: فكانت أعماله تزخر بوصف تفصيلي لصحة شخصياته، ومرضها وموتها. وما هو أكثر من ذلك، سمع كثيرًا من القصص وتعلّم عن الطبيعة البشرية أثناء ممارسته الطب- إنها تجربة قيّمة لأي كاتب.

كما عمل ميخائيل بولغاكوف، الذي ينحدر من عائلة أطباء، كطبيب لعدة سنوات خلال العقد الثاني من القرن الماضي، كما شارك في الحرب العالمية الأولى كجرّاح ميداني. بعد الحرب، مارس بولغاكوف مهنة الطب في منطقة نائية من الريف. وكان الطبيب الوحيد الموجود، وتوجب عليه رؤية عشرات المرضى يوميًّا.

غالبًا ما كان الأطباء جزءًا من شخصيات أعمال بولغاكوف. على سبيل المثال، بطل الرواية اللامعة "قلب كلب"، البروفيسور بريوبراجينسكي، هو تصوير دقيق للمفكر الذي يواجه عبثية الدولة السوفييتية في بداياتها وبطشها.

أبطال الطبقة الكادحة

لو لم يصنع تشارلز بوكوسكي طريقه من خلال عدة وظائف وضيعة، لما استطاع العالم أبدًا أن يقرأ "مكتب البريد" أو "فاكتوتوم". والشيء نفسه يُقال عن الكاتبين الروسيين فينيديكت يروفيف وغايتو غازدانوف.

فينيديكت يروفييف، مؤلف توّاق وعالم لغة، طُرد من الجامعة لمجرد قراءته الكتاب المقدس، الأمر الذي كان محرمًا على المواطن السوفييتي. وفي تلك الحقبة أدمن على الكحول بشكل قوي. بعد ذلك، بدأ العمل في وظائف منخفضة الأجر، يمدد الأسلاك ويحفر ويحمّل البضائع. وأخيرًا، أصبح يروفييف شخصية معروفة بوصفه مؤلف "موسكوبيتوشكي"، القصيدة النثرية التي روت قصة شبيهة بالأوديسة. القصيدة مميزة بسبب مزجها مراجع أجنبية رفيعة، والميتافيزيقيا الدينية، والفلكلور الحضري وفاحشة لغة الشارع العامية، والتي تعرّف عليها يروفيف خلال سنوات عمله الطويلة في وظائف عادية.

كاتب آخر أثرت حياته المهنية بشكل كبير في أدبه هو غايتو غازدانوف، الروائي المهاجر. أكثر كتبه التي لاقت استحسانًا هو كتاب "ليلة الطرق"، والذي يستند فيه على انطباعاته الخاصة عن باريس في الثلاثينيات، حيث عمل سائق سيارة أجرة، وعامل تحميل بضائع وسمكري في مصنع سيتروين للسيارات. ويهتم نثر غازدانوف الكئيب بالطبقة الفقيرة في باريس، والمهاجرين الروس. وتتميز بنهجها الفلسفي المعتمد على دقة الملاحظة لمثقف وجد نفسه في أدنى درجات المجتمع.

الرياضيات والمسائل الأخلاقية

كانت فلسفة الدولة السوفييتية تقوم على أن كل مواطن يجب أن يكون قادرًا على العيش من عمله. لكن، عندما يتعلق الأمر بالفن، فإن كثيرًا من القيود كانت تُفرض. فكان على الكتّاب أن ينضموا إلى اتحاد الكتّاب السوفييت وأن يبقوا موالين للحزب إذا كانوا يريدون نجاحًا ماديًا. وهذا يعني أن الكتاب السوفييت مارسوا مهنة ثانية كوسيلة لكسب استقلاليتهم: إذا كنت لا تريد التوافق مع إيديولوجية الحكومية، فعليك أن تكسب المال بقيامك بعمل آخر.

قبل العشرينيات من عمره، كان ألكسندر سولجينتسين يريد أن يصبح كاتبًا. وقام بكتابة الشعر والمقالات، وابتدع رواية ملحمية عن الثورة الروسية. وعندما دخل الجامعة، قرر أن لا يختصّ بالأدب، وانضم إلى قسم الفيزياء والرياضيات بجامعة روستوف. وتخرج بامتياز كأستاذ رياضيات.

بعد أربع سنوات من التخرج، حُكم على سولجينتسن بثمان سنوات في مخيم عمل بسبب آرائه السياسية. وعندما تم إطلاق سراحه أُرسل إلى منفى داخلي على حدود الاتحاد السوفييتي، حيث ساعدته مهنته إلى حدّ كبير. كان لا يزال على بعد سنوات من شهرته العالمية، لكنه استطاع كسب عيشه وعيش عائلته من خلال تدريس الرياضيات والفيزياء في المدارس الريفية.

سيرغي دفلاتوف اختار الصحافة كمهنة ثانية له، ووفقًا لروايته الشبيهة بالسيرة الذاتية، لم يجدها مهنة مرضية. ففي حين كانت كتابته الذاتية صادقة وصريحة، كان دوفلاتوف، الصحفي السوفييتي، على العكس تمامًا: صامتًا ومواليًا ولا يريد أن يهدد مهنته الصحفية. فقد وُضع دوفلاتوف في الموقف نفسه الذي وضع فيه عديد من زملائه في ذلك الوقت- وأُجبر على التخلي عن مبادئه الأخلاقية بسبب الإيديولوجيا. لكن، في حين لم يعترف الآخرون بنفاقهم وعبوديتهم الأخلاقية- حتى ولو في وقت لاحق- قام دوفلاتوف ببحث تجربته المؤلمة في كتابه الرائع "حلّ وسط".

بعد سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية، استمر دوفلاتوف في عمله على "الأمريكي الجديد". لقد أصبح بمقدوره، وأخيرًا، الكتابة بانفتاح لتحقيق التقدير الذي يستحقه.

المصدر: rbth

عطاء نبات القصب والبردي والخيزران... للإنسانية



أ. د. منير يوسف طه

العراق

من الثابت... والسائد في ذات الوقت إن جميع الدراسات الخاصة بنشوء وتطور وبالتالي انتشار الثقافات والحضارات والمراحل التاريخية اللاحقة لها يعزي ذلك النشوء والارتقاء وبالتالي الانتشار إلى عوامل أساسية وفعالة ساعدت وواكبت هذه الثقافة أو تلك الحضارة.

ومن بين تلك العوامل وعلى سبيل المثال لا الحصر وفرة المياه والأمطار إلى جانب خصوبة الأرض والموقع الجغرافي المميز إلا إن الأهم من هذا.. وذلك في اعتقادنا هو تواجد المواد الأولية الأساسية كالمعادن والأخشاب إلى جانب الموارد الزراعية البرية منها والمدجنة.

وهذا يعني بطبيعة الحال إن الثقافات القديمة المميزة قامت على مقومات محددة والتي من أولوياتها كانت وفرة المواد الأولية التي هي محور بحثنا هذا. ونعني في هذا السياق إن ما متوفر من مواد أولية قد لا يحسب لها أي اعتبار في هذا المحيط أو ذاك والتي أدت بالنتيجة الحتمية إلى نشوء ثقافات ذات اعتبارات ومضامين إنسانية سرعان ما تطورت وانتشرت وبالتالي تركت بصماتها الثقافية هنا أوهناك واستمر عطائها الإنساني إلى يومنا هذا.


الأهوار في العراق

ومن هذا المنطلق فإن بحثنا هذا سيسلط الضوء على ثلاث مواد زراعية برية ساهمت مساهمة كبيرة في نشوء وتطور (أرقى) الثقافات القديمة واللاحقة والمتمثلة: بثقافة بلاد الرافدين، وثقافة وادي النيل، وثقافة الشرق الأقصى القديمة والمتمثلة في (الصين واليابان). إلا إن هذه المواد الثلاثة وللأسف الشديد لم تأخذ تصيبها الكافي في صفحات العطاء الإنساني أو صفحات التاريخ كمادة أساسية لعبت ولا زالت تلعب دورًا هامًا وحيويًا في حياة مناطق تواجدها.

كما سيجد الباحث إن هناك عوامل مشتركة بين هذه المواد الزراعية البرية الثلاث والتي تدعى في بلاد وادي الرافدين (بالقصب) وفي وادي النيل (بالبردي) وفي الصين واليابان (البامبو) والذي يعرف باللغة العربية (بالخيزران).

وقبل الولوج في هذا المضمار وسياقه يجب علينا ذكر أبعاد كل واحدة من تلك المواد الثلاث على حدة ومدى تأثيرها على تطور تلك الثقافات الثلاث. والتي أولها وبطبيعة الحال الثقافة (السومرية). وسترى في هذا المضمون كيف أن القصب قد لعب دورًا هامًا في حياة السومريين وأرسى أبعاد ثقافة بلاد الرافدين القديمة إلى أبعد الحدود الجغرافية والثقافية.

وقبل الخوض في معترك اسهامات القصب في ثقافة بلاد الرافدين لابد من الإشارة السريعة إلى البيئة السومرية وبعض من انجازاتهم الثقافية والحضارية قبل الولوج في ماهيه القصب وكيفية نموه وانتشاره السريع في البيئة في السومرية الواقعة ضمن مثلث جغرافي مكون من مساحات شاسعة الأبعاد لشمال ثلاثة محافظات جنوبية هي (البصرة والعمارة وذي قار).

والمثلث الجغرافي هذا يضم في أبعاده الجغرافية مسطحات مائية طبيعية (هائلة) تستمد مياهها وبالدرجة الأولى من مناسيب نهري دجلة والفرات ويطلق عليها محليًا بالأهوار والمفرد منها هور.

وبذلك أطلق علماء الآثار المختصين بثقافة وحضارة السومريين على هذه المنطقة المنخفضة المعطاء والتي قطنها السومريين لأجيال وأجيال بلاد سومر أو أرض سومر.

ومن الثابت والمعلوم إن الثقافة السومرية قد ميزت بكونها من أوائل إن لم تكن الأولى في نضوجها الفكري والعلمي وعلى الصعيدين النتاج الثقافي المادي والغير المادي. إلى جانب هذا... وذاك فقد أبدع السومريين في نظم الري والزراعة والفلاحة. إلى جانب إبداعاتهم في النقل البري والنهري وبالتالي والبحري. إلى جانب استعمالهم ولأول مرة الدولاب بصناعة الفخار والري والنقل.

كما برع السومريين بحسابات الفلك والزمن إلى جانب اختراعهم للنظام الستيني واختراع الكتابة التي نقلت البشرية من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية... هذه وغيرها من الابداعات التي لا مجال من ذكرها في هذا السياق.

هذا إن المتتبع في هذه الابداعات وغيرها سيجد إن مردوداتها الحقيقية والثابتة تصب بمعترك استخدامهم لمادة القصب أوسع استعمال وخاصة فيما يخص تحديدًا زيادة فائضهم الزراعي الذي فتح لهم أبواب أسواق التبادل السلعي بصورة واسعة خارج حدودهم الجغرافية.

لقد ورد ذكر القصب في اللغة السومرية بهيئة (لبراتة) التي تنبت في المسطحات المائية أي إنه نبات عشبي بري لا تتم ديمومته خارج عوامل بيئته. ونظرًا لطول سيقانه وصلابتها ومطاوعتها إلى جانب مقاومته للعوامل الطبيعية إذا ما قورن بالنباتات العشبية البرية الأخرى فقد استعمله السومريين ببناء أكواخهم وبيوتهم ودور تعليمهم ومراكز عباداتهم كالمعابد إلى جانب مراكز اجتماعاتهم واحتفالاتهم الروحية والاجتماعية والعائلية والتي يطلق عليها اليوم (المضايف) والتي كانت تمد على أرضياتها (حصران) القصب بأنواعها آنذاك كما هو مألوف الآن.

إلى جانب هذا... وذاك فقد استخدم السومريين القصب لصناعة زوارقهم وسفنهم التي كانت تمخر مياه بيئتهم المائية كما أبدعوا بصناعة مراكبهم التي كانت تطوف جميع موانيء الخليج العربي وصولاً إلى سواحل شبه الجزيرة الهندية أو إلى أبعد من هذا المدى.

أما صناعة ما يعرف (بالكفة) والتي هي عبارة عن زورق نصف كروي مصنوع من القصب والقار ويستعمل في المياه المحيطة بهم إلى جانب الزوارق الرشيقة التي تدعى (بالمشحوف) والمصنوعة هي الأخرى من القصب فقد استمر استعمالهما منذ عصورهم الثقافية الأولى وإلى يومنا هذا.

كما وضب السومريين القصب لصناعة العجلات البسيطة التي كانت من ابداعاتهم كدولاب الفخار وعلى سبيل المثال لا الحصر. كما لا يفوتنا من ذكر إن السومريين صنعوا النول من القصب أيضًا. هذا إلى جانب صناعة السهام والرماح وقياس الأطوال والمزمار المفرد منه والمزدوج. إلى جانب توضيب القصب لصناعة أثاثهم وسلالهم.

ومن الابداعات (الخارقة) التي أبدعها السومريين ووضب القصب لإظهارها للملأ كانت الكتابة. وهذا يعني أن (القلم) الأول الذي كتب به السومريين لغتهم الجميلة كان من القصب. وكان الطين بمثابة الورق أي (اليراع والقرطاس) الذين نقلا البشرية من عصور ما قبل التاريخ المظلمة إلى العصور التاريخية المشرقة خلال نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد.

كما لا يفوتنا في هذا السياق ذكر إن حزم القصب كانت رمزًا (للإله إينانا) بدليل ظهورها على أحد المشاهد الدينية بما يعرف بالإناء النذري تعمر حزمة من القصب المقرن

«ومن الابداعات (الخارقة) التي أبدعها السومريين ووضب القصب لإظهارها للملأ كانت الكتابة. وهذا يعني أن (القلم) الأول الذي كتب به السومريين لغتهم الجميلة كان من القصب. وكان الطين بمثابة الورق أي (اليراع والقرطاس) الذين نقلا البشرية من عصور ما قبل التاريخ المظلمة إلى العصور التاريخية المشرقة خلال نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد.»

وهي تستقبل مواكب القرابين. إلى جانب ذلك هناك نص سومري يذكر أن (الإله) صرخ على صاحب بيت قائلاً: (هدم بيتك المقام من القصب وأقم في قارب) للدلالة على أهمية القصب في البناء.

ثقافة وادي النيل والبردي..

إن المتتبع للإنجازات الثقافية المادية منها والغير المادية التي أنجزت في وادي النيل سيجد إن (البردي) ذلك النبات المائي العشبي الذي ينبت وينمو في المياه الجارية والراكدة على حد سواء حالها حال القصب تمامًا قد لعب دورًا رائدًا في حياة وادي النيل القدماء وكيف كان البردي من أوائل المواد الأولية التي ساهمت مساهمة فعالة بازدهار ثقافة وحضارية وادي النيل أيضًا كما هو الحال مع القصب في بلاد الرافدين ومنذ أقدم العصور الثقافية.



استعملت لفائف البردي في وادي النيل

وهناك من الشواهد والدلائل الأثرية التي تثبت إن نبات البردي قد استخدمه سكان وادي النيل خلال الألف الرابع قبل الميلاد. وهذا التاريخ يوازي انتشار استعمال القصب على نطاق واسع في بلاد وادي الرافدين حسب الشواهد الأثرية أيضًا.

ومن تلك الشواهد الأثرية المتمثلة باستمرار استعمال البردي في وادي النيل هي تلك الألواح الجدارية وتحديدًا الرسومات الملونة التي تمثل مختلف جوانب الحياة القديمة في وادي النيل. هذا إضافة إلى المنحوتات ذات البعدين والثلاثة أبعاد إلى جانب الكم الهائل من المخلفات الثقافية والحضارية والشواهد التاريخية والتي تزين الآن قاعات جميع المتاحف العالمية والوطنية على حد سواء. إلا أن الأهم من هذا وذاك للدلالة على عظمة استعمال البردي في وادي النيل هو ما عرف بلفائف البردي وهي كما معلوم تحوي على المئات من النصوص المدونة باللغة الهيلوغروفية.

ومن الملاحظ أيضًا إن نبات البردي تكثر زراعته ونموه الطبيعي في المياه الجارية والراكدة كالقصب تمامًا كما يكثر تواجد القصب في المناطق الجنوبية من بلاد الرافدين حيث تكثر فيها المسطحات المائية الطبيعية التي تكثر في الجنوب أكثر منها في الوسط أو الشمال فإن الإنتاج الوفير للبردي في بلاد وادي النيل يأتي من الجنوب أيضًا، وذلك لوفرة المسطحات المائية هناك.

ومن خلال الشواهد التاريخية والفنون التشكيلية القديمة إلى جانب الشواهد التراثية، فإن البردي قد استعمل وبالدرجة الأولى لصناعة السفن والمراكب والزوارق التي تمخر البحار والأنهار إلى جانب استعماله بحياكة الحبال والصواري والأشرعة والأبنية والسقوف والأثاث والحصران. كما استعمل البردي لصناعة أغطية الرأس. هذا وإن المتتبع لاستعمالات البردي عبر العصور إلى يومنا هذا سيجد إن عطاء البردي لسكان بلاد النيل لا يختلف عن عطاء القصب لسكان بلاد الرافدين.

ومن الملاحظ والجدير ذكره بهذا الخصوص أيضًا وكما جاء أنفًا أن أول قلم استعمل للكتابة في بلاد الرافدين والذي نقل الإنسانية من عصور ما قبل التاريخية إلى العصور التاريخية كان من القصب وكان الطين بمثابة (الطرس) الورق. فقد استعمل البردي في بلاد النيل بعد اختراع الكتابة الهيلوغرافية هناك خلال بدايات الألف الثالث قبل الميلاد قلمًا للكتابة أما لفائفه فقد كانت بمثابة (الطرس) الورق.

> ومن تلك الشواهد الأثرية المتمثلة باستمرار استعمال البردي في وادي النيل هي تلك الألواح الجدارية وتحديدًا الرسومات الملونة التي تمثل مختلف جوانب الحياة القديمة في وادي النيل. هذا إضافة إلى المنحوتات ذات البعدين والثلاثة أبعاد إلى جانب الكم الهائل من المخلفات الثقافية والحضارية والشواهد التاريخة والتي تزين الآن قاعات جميع المتاحف العالمية والوطنية على حد سواء

وسرعان ما استعملت لفائف البردي للكتابة في أقطار كثيرة من الشرق القديم قبل أن يستعملها الإغريق والرومان لدرجة أمست تجارته من أهم المواد التي تعامل بها العالم القديم بدليل إن اسم مدينة (جبيل) الواقعة شمال مدينة بيروت اليوم قد اشتق اسمها القديم (ببلوس) من المفردة اليونانية (بابيروس) والتي تعني ورق البردي. وهذا يعني إن هذه المدينة الذائعة الصيت كان لها باع طويل بتجارة البردي عبر العصور وازدهرت إلى أبعد الحدود تمثلت بعصور ما قبل وبعد الإغريق.

ونظرًا لسعة المواضيع الخاصة بإسهامات نبات البردي بتطور ثقافة وحضارة وادي النيل عبر العصور فإننا سننتقل إلى مادة زراعية أخرى ساهمت مساهمة فعالة بتطور ثقافة وحضارة الصين وبالتالي الجزر اليابان وباقي دول جنوب شرق آسيا والتي تدعى (البامبو) وأطلق عليها العرب (الخيزران).

ثقافة الشرق الأقصى والخيزران

نظرًا لاستعمال الخيزران في عموم بلدان الشرق الأقصى ومنذ أقدم العصور فإن بحثنا في هذا السياق والمضمون سيتركز استعماله على بلاد الصين وذلك لأهمية استعماله القصوى في الصين أولاً وانتشار مردوداته التي لا تعد ولا تحصى من هناك ثانيًا.

بعد متابعاتي لأهمية (البامبو) الخيزران في عموم الصين وجدت إن عطاء هذه المادة الزراعية البرية البسيطة النمو كانت ذات أهمية قصوى للثقافة والحضارة الصينية عبر العصور وإن عطاءها لا المحدود لا يقل أهمية عن استعمال القصب في بلاد الرافدين أو البردي في وادي النيل إطلاقًا. بل وجدت أيضًا إن للخيزران قدسية لا تقل أهمية عن



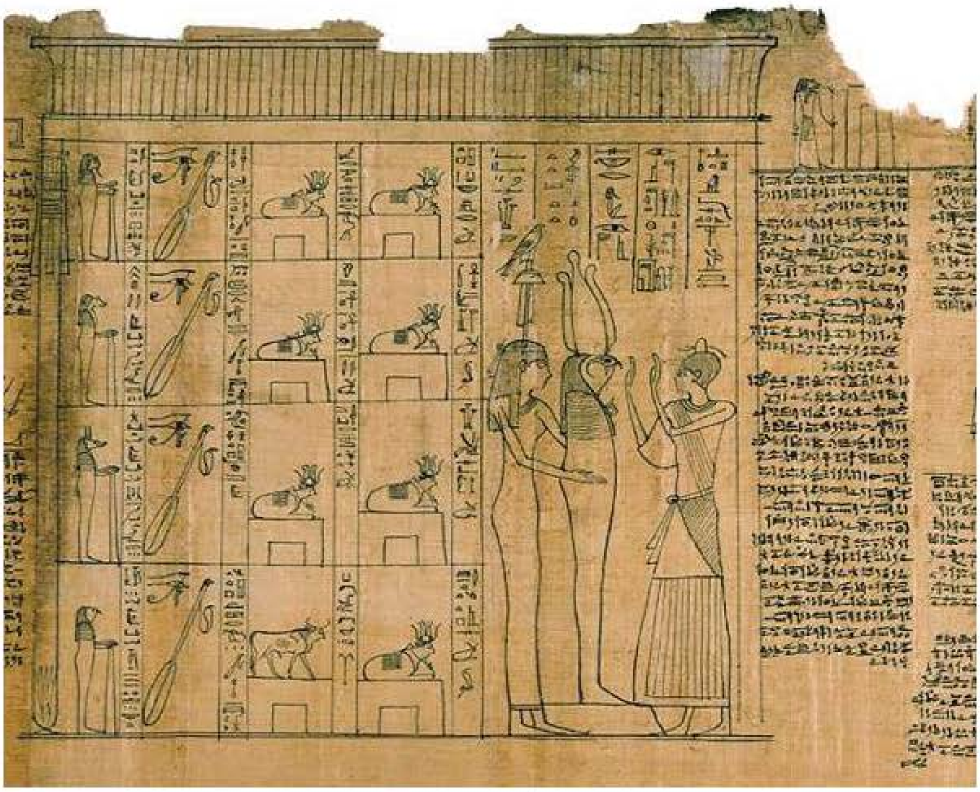
كان للسومريين دور في صناعة النول والدولاب من القصب

قدسية القصب والبردي.. بدليل تذكر أدبيات الصين القديمة: (يعد الخيزران رمزًا للجمال.... كما يمثل صفة الإخلاص، والبساطة، والقيم، والاعتداد بالنفس).

وكثيرًا من الفنانين الصينيين خلدوا الخيزران من خلال لوحاتهم الفنية. وكما يقال عن الفنانين يقال عن الأدباء والشعراء فالكثير منهم عاشوا وهم محاطين بغابات الخيزران.. ومن الشعراء الذين خلدوا الخيزران بالقول (أفضل الامتناع عن تناول اللحم وان اقتات على الخيزران).

ومن الملاحظ أيضًا إن الخيزران كالقصب في بلاد الرافدين والبردي في بلاد وادي النيل يكثر بصورة غير اعتيادية في جنوب الصين حيث الماء الوفير والتربة الصالحة لنموه كما هو أسرع النباتات نموًا وانه كالقصب تحديدًا والبردي أيضًا تتميز سيقانه الرشيقة بأقسام من العقد أو بالأحرى المفاصل. وهي مجوفة الأبعاد لذلك تستعمل السيقان المستقيمة جدًا بصناعة الأدوات الموسيقية النفخية. كما إنها تستعمل كقلم للكتابة على رقائق الخيزران أو بمثابة فرشاة للرسم والخط. ومن الجدير ذكره في هذا السياق إن الصينيين هم أول من عمد على صناعة الورق من الخيزران خلال العقود الأولى للميلاد، ومن الصين انتشر استعمال الورق المصنع من الخيزران عبر طريق الحرير إلى أصقاع القارات القديمة الثلاثة آسيا وافريقيا وأوروبا.

وكما ورد أعلاه كيف قد وضب السومريين في بلاد الرافدين القصب ووضب قدماء المصريين البردي في وادي النيل وكيف أن هاتين المادتين الزراعيتين البسيطتين قد ساهمتا مساهمة قصوى بالتقدم الثقافي والحضاري في كلا الواديين ومنذ ما يقرب من عشرة آلاف سنة خلت والى يومنا هذا. فإن الصين وما جاورها من ثقافات قديمة نخص بالذكر منها الجزر اليابانية هي الأخرى قد اسهمت مساهمة فعالة بنشر ثقافاتها المتعاقبة من خلال ابداعاتها باستعمال (البامبو).



استعمال البردي في وادي النيل هي تلك الألواح الجدارية وتحديدًا الرسومات الملونة التي تمثل مختلف جوانب الحياة القديمة في وادي النيل

هذا وان المتتبع باستخدامات الأولى للخيزران سيجد إنه هو الآخر استعمل قلمًا للكتابة ورقائقه استعملت بمثابة (الطرس) الورق. إلى جانب هذا وذاك فإن سيقانه الطويلة والمرنة استعملت لإقامة مساكن بسيطة أو قصور يقطنها الأباطرة والميسورين.

كما ساد استعمال البامبو الذي اشتهر بجنوب شرق آسيا عمومًا بصناعة القوارب والمراكب والسفن التي كانت تمخر عباب الأنهار والبحار والمحيطات إلى جانب استعماله في صناعة الأثاث والأطوال. وهناك الكثير الكثير من المواد التي اعتمد الصينيون على صناعتها من سيقان الخيزران ومنذ دهورًا خلت وساهمت مساهمة فعالة في نشر العطاء الثقافي كما هو الحال مع بلاد الرافدين ووادي النيل.

ومن الواضح والجلي إن الخيزران لا زال من المواد الغذائية الرئيسية في عموم جنوب شرق آسيا.. إلا إننا لا نعرف مدى استعمال القصب أو البردي كمادة غذائية في بلاد الرافدين أو وادي النيل في عصورهما الغابرة. عسى الدراسات الحديثة قد تلقي المزيد من الضوء عن الاستعمالات الأخرى لهذه المواد الزراعية الثلاثة المتشابه الأبعاد والتي لعبت دورًا هامًا بتطور الثقافات والحضارات القديمة إلى جانب مساهماتها بنقلها إلى أصقاع بعيدة عنها جغرافيا كل البعد.

وخلاصة القول إن هذه المواد الزراعية البرية الثلاث البسيطة النشأة والتكوين والمركونة على الرفوف قد ساهمت بإعطاء البشرية: أول قلم، وأول قرطاس، وأول كوخ.. وأول منزل، وأول زورق، وأول مركب، وأول آلة موسيقية نفخية، وأول نول، وأول قياس أطوال وأبعاد، وأول فرشاة رسم، وأول إكليل رأس وأول سهم، وأول قوس.. وأول زينة عرس ... هذا وان المتتبع بعمق بعطاء هذه المواد الثلاثة للإنسانية جمعاء عبر العصور والدهور والى يومنا هذا سيجد إن هناك الكثير... الكثير من العطاءات وان الكثير منها قد غير أبعاد مسيرة الإنسان القديم والحديث.



يصنع من القصب والبردي الأدوات للموسيقية النفخية



الفكر السان سيموني بين مصر وفرنسا في النصف الأول من القرن 19م



د. حمادة جمال ناجي

باحث ومدرس جامعي
كلية الآداب - جامعة حلوان

ظهر المشروع السان سيموني في فرنسا على يد المفكر الاشتراكي الفرنسي (كلود هنري دي روفروا) كونت سان سيمون، والذي كان من النبلاء الأثرياء في فرنسا وتنسب إلى عائلته مقاطعة سان سيمون الشهيرة في ذلك الوقت، ومع قيام الثورة الفرنسية عام 1789م تنازل سان سيمون عن لقب النبالة نهائيًا متأثرًا بمولد المجتمع الجديد الذي تغيرت فيه كل الأوضاع السياسية والاجتماعية واختفت منه كل المعتقدات القديمة، وبدأ كتاباته بالدراسات الفلسفية والأخلاقية ووضع مؤلفًا في هذا المجال بعنوان (دروس في الفلسفة الواقعية)، ثم سرعان ما ترك هذا المجال واتجه إلى شرح آرائه ومبادئه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومن أهمها آرائه حول الصناعة باعتبارها أساس المجتمع، كما أنه نظر إلى الصناعة والتصنيع باعتبارهما أهم ما يدعم أفكاره الاشتراكية الجديدة.

تبلور الفكر السان سيموني مع أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وخاصة بعد انضمام أصحاب المدرسة الاشتراكية الخيالية للأفكار السان سيمونية، وأصبحت طبقة الصناعيين هي الطبقة الأولى التي تشمل جميع المنتجين سواء من المزارعين أو ملاك الأراضي أو أصحاب المصارف، وبدأ سان سيمون في نشر المقالات التي تدعم فكرته حول دور الصناعة في تحقيق الرقي بالمجتمع، كما أنه دعا إلى قيام حزب يعتمد على المنتجين لمواجهة ارستقراطية النبلاء وهو ما شرحه بالتفصيل في كتابه الذي نشر عام 1819م تحت عنوان (الحكمة)، أو في كتابه الذي ألفه بمشاركة سكرتيره وتلميذه النجيب أوجست كونت (A. comte) تحت عنوان (شريعة الصناعيين).

وبعد وفاة سان سيمون عام 1825م، تولى أتباعه زعامة الحزب الاشتراكي في فرنسا، ولكنهم اختلفوا كثيرًا حول تفسير أفكاره، حيث دعا أرمان بازار (A. Bazard) إلى الثورة وإلغاء الملكية الخاصة، وصاغ أوجست كونت (A. comte) فلسفة وضعية محافظة لأنه كان يفضل الملكية الخاصة، وأصبح بعضهم من كبار الرأسماليين وأرباب الصناعة أمثال بريير (periere)، وشيفالييه (M. Chevalier)، وبيير ليرو (P. leroux) الذي طور المضمون الاجتماعي لفكر سان سيمون وأشار إلى دور المجتمع في ضبط الملكية الخاصة وتنظيم الصناعة لتلبي احتياجات السكان ونشر ذلك في صحيفتهم (العالم)، وبالرغم من كل هذه الاختلافات إلا أن الأفكار السان سيمونية في فرنسا وجدت تأييدًا كبيرًا من جانب أشخاص كثيرة وزاد عدد أنصارها وانضم إليهم كبار رجال الأعمال في فرنسا والكثير من خريجي المدارس وخاصة مدرسة الهندسة العسكرية التي انضم منها بارتلمي بروسبير إنفانتان (Prosper Enfantin) الذي انتخب مرشدًا لجماعة السان سيمونيين بعد مدة قليلة من انضمامه لهم.

ولكن تعرض السان سيمونيون في عهد إنفانتان إلى اضطهاد شديد من جانب الحكومة الفرنسية وخاصة بعد مطالبتهم بتخلي الملك عن العرش، مما أدى إلى اعتقال إنفانتان وأربعة من أتباعه بتهمة تهييج الرأي العام، وصدر الحكم عليهم بالسجن لمدة عام، مع حل الجماعة ومصادرة كل أملاكها. ونتيجة لذلك ظهرت الدعوة بين السان سيمونيين للهجرة من فرنسا إلى أي بلد آخر يتبنى كل أفكارهم الاقتصادية، فاستقروا على الرحيل إلى الشرق وخاصة مصر التي ستتيح لهم تنفيذ الكثير من المشروعات وعلى رأسها مشروع حفر قناة تصل البحرين المتوسط بالأحمر.


سان سيمون

لذا هاجر السان سيمونيون إلى مصر في ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي، وتجمعوا حول اسم سان سيمون وأفكاره وترأسهم بروسبير إنفانتان الذي لعب دورًا بارزًا في تشجيع مجموعة من شباب الفكر السان سيموني للهجرة خارج فرنسا. وبالفعل هاجر نحو 80 شخصًا من شباب المهندسين والأطباء الفرنسيين إلى مصر وفي مخططهم الكثير من المشروعات السان سيمونية التي تهدف إلى تكوين جيش صناعي منظم على درجة كبيرة من الوعي بالأنظمة الاقتصادية الشرقية المستخدمة آنذاك.

وبدأت الهجرات السان سيمونية إلى مصر في 22 مارس عام 1833م، ثم سرعان ما نجحت الجماعة السان سيمونية في كسب ثقة الوالي محمد علي باشا (1769 – 1849 م) عن طريق إقناعه ببعض المشروعات الصناعية وعلى رأسها إقامة سد على النيل في مدخل الدلتا (القناطر الخيرية) لتحسين الري والملاحة ولزراعة أكبر مساحة من الأرض في هذه المنطقة، وبالفعل وافق محمد علي باشا على المشروع ولكنه رفض تعيينهم كموظفين في الإدارة المصرية بصورة دائمة، بل وافق على تعيينهم كمندوبين أو متطوعين فقط يحصلون على أموال نظير عملهم.

وبالفعل وافق الزعيم السان سيموني بروسبير إنفانتان على شرط محمد علي، واكتفى بالعمل في المشروع فقط باعتباره فاتحة الكتاب للسان سيمونيين وبداية لحلمهم الذي يهدف إلى إقامة مدينة سان سيمونية في الأراضي المصرية، وبالفعل كلف محمد علي مهندسًا فرنسيًا يدعى لينان دي بلفون لإدارة مشروع القناطر الخيرية وساعده في ذلك بعض المهندسين السان سيمونيين أمثال (إنفانتان، ولامبير، وبيير نفس، وميشيل برونو، وغيرهم)، ولكن حال مرض الطاعون بين السان سيمونيين وفرصة تنفيذ المشروع، حيث مات بسبب هذا المرض الكثير من العمال، وأدت قلة الإمدادات في النهاية إلى إهمال المشروع لعدة سنوات لاحقة.

ولكن لم ييأس المخطط السان سيموني من كل العقبات التي حالت بينه وبين حلم تنفيذ مشروعاته، حيث ساهم السان سيمونيون بشكل كبير في العديد من المجالات المختلفة مثل تقديم محاضرات في الفن والأدب، والتدريس في مدارس الطب والهندسة والألسن، وتأسيس مدرسة للزراعة، والتفتيش عن المعادن في الصحراء، وإقامة نفق شبرا، وإنشاء مدرسة للرسم، وشق الطرق واستصلاح مساحات من الأراضي، وغيرها الكثير من المشروعات المقترحة التي نفذ بعضها ورفض بعضها، كما حاولوا تحقيق هدفهم الأكبر بإنشاء مدينة في مصر تخلد أعمالهم تحت اسم (مدينة سان سيمون الجديدة) ولكنهم فشلوا في ذلك.


أوجست كونت

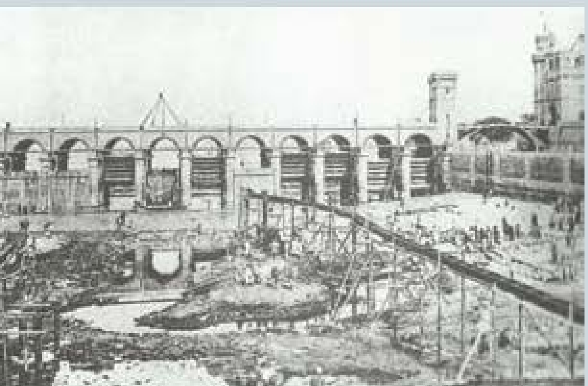
وبدأت المشروعات السان سيمونية تميل إلى الانهيار في مصر بمجرد إحساس محمد علي بأن هؤلاء الأجانب يدعون بأنهم هم سبب كل المشروعات المقامة في مصر، كما أن الصحف في أوروبا أكدت على هذه الأخبار التي تُعلي شأن السان سيمونيين على حساب دور الوالي، وبناءً على ذلك رفض محمد علي الكثير من المشروعات السان سيمونية المقدمة إليه، وخاصة (مشروع قناة السويس) الذي رفضه خوفًا من التدخل الأجنبي في مصر.

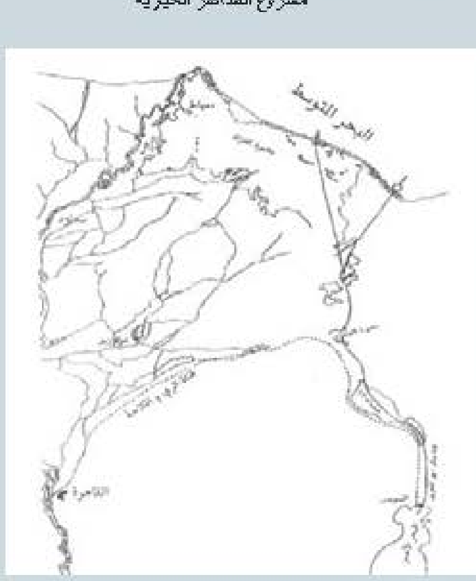
ولما كان مشروع حفر قناة السويس من المخططات الأولى التي وضعها سان سيمون ضمن مشروعاته الاقتصادية، دعا السان سيمونيون معظم الدول الأوروبية للمشاركة في تنفيذ مشروع شق قناة تصل البحرين المتوسط بالأحمر، ولتحقيق ذلك شجعوا على إقامة مؤتمر أوروبي يتكون من كل ملوك أوروبا لدراسة هذا المشروع حتى وإن أضطر الأمر إلى انتزاع الدول الأوروبية لمنطقة قناة السويس من محمد علي، ومع فشلهم في تحقيق ذلك قرر السان سيمونيون الاعتماد على العمل الفردي لتنفيذ هذا المشروع عن طريق الاتفاق مع القنصلية الفرنسية في مصر بقيادة القنصل (ميمو) الذي حاول جاهدًا إقناع الوالي محمد علي بفكرة إنشاء القناة، ولكنهم فشلوا في إقناعه للأسباب المذكورة في السطور السابقة، وعاد بروسبير أنفانتان وأتباعه إلى فرنسا في أوائل عام 1837 م دون أن ينفذوا مشروع القناة.


بارتلمي بروسبير أنفانتان

وعلى الرغم من فشل المحاولة الأولى للسان سيمونيين، إلا أنهم لم ينسوا المشروع، وبمجرد عودتهم إلى فرنسا أخذوا على عاتقهم مهمة إقناع أصحاب رؤوس الأموال في مختلف الأقطار الأوروبية للحصول على موافقتهم في المساهمة في تنفيذ مشروع القناة، كما قاموا بنشر العديد من المقالات والدراسات في الصحف الأوروبية بشأن هذا المشروع، وكان أشهر هذه المقالات ما نشره أوجست كولان عام 1838 م في مجلة (les Deux mondes) حول فائدة إنشاء هذه القناة التي ستسهل حركة السفن بين مصر والعالم، ولكن فشل السان سيمونيون في كل الحلول التي تتيح لهم حق احتكار فكرة تأسيس القناة، وخاصة بعد تدخل الإنجليز لتخوفهم من خطر المشروع على مصالحهم في الهند، مما دفعهم إلى عرقلة كل المساعي السان سيمونية بالاتفاق مع الوالي المصري عباس حلمي الأول لإنشاء خط سكة حديد بين القاهرة والإسكندرية بدلاً من مشروع القناة، كما أن وفاة عباس حلمي وتولية محمد سعيد باشا أدى إلى تغيير دفة المشروع ليدخل في حيز التنفيذ على يد الدبلوماسي الفرنسي فرديناند ديليسبس والذي كانت تربطه علاقة صداقة كبيرة جدًا مع الوالي محمد سعيد مما أتاح له الحصول على امتياز حفر قناة السويس.


شارل لامبير


مشروع القناطر الخيرية


خريطة مشروع قناة السويس



التطرف: قراءة كاس سينشتاين



د. حفيظ اسليماني

تخصص مقارنة الأديان - المغرب

في عالم لم يعد يسمع فيه إلا صوت المدفعيات الرصاص، ولغة التكفير، أصبح لزامًا التطرق لظاهرة التطرف والإرهاب من خلال البحث عن الأسباب بغية تقديم الحلول المناسبة الناجعة، تجنبًا لمزيد من التدمير وترويع الآمنين في العالم بأسره، ولإيجاد جيل يؤمن بأن الحق في الحياة حق مقدس للإنسان أي إنسان بغض النظر عن دينه أو لونه، وتأكيدًا على أن الله لا يُعبد بإراقة الدماء. وللوقوف عند ظاهرة التطرف سأتوقف عند رؤية أحد الغربيين وتناوله للظاهرة وسبر أغوارها وهو "كاس. ر. سينشتاين" أستاذ القانون بجامعة هارفارد الأمريكية.

الجماعات والتطرف:

ما الذي يحدث عندما يتكلم الأفراد مع بعضهم؟ هل يقوم أعضاء الجماعة بتسوية الخلافات فيما بينهم؟ إجابة سينشتاين أن الجماعات عند اجتماعها تذهب إلى الحدود القصوى للتطرف، يقول: "بتعبير أدق، فإن من المعتاد أن ينتهي أعضاء الجماعة الذين يتشاورون فيما بينهم إلى مواقف متطرفة داخل الاتجاه العام للجماعة نفسه، وبصورة أكثر مما كانت عليه قبل أن يبدأ هذا التشاور"[1]. وهذا الأمر أي الميل إلى التطرف يحدث عندما يكون الأفراد متشابهون في التفكير وكذلك عندما يكونون في جماعة منعزلة.

من الوسائل الواقعية التي تُوجد جماعة متطرفة أو طائفة دينية وفق طرح سينشتاين، عزل أو فصل الأعضاء عن بقية المجتمع. ويرى أن بالإمكان أن يحدث هذا الفصل على نحو مادي أو سيكولوجي، أو عن طريق وجود إحساس بالشك فيمن هم من غير أعضاء الجماعة، وعن طريق هذا الفصل، يكون بالإمكان عدم تصديق المعلومات والآراء الخاصة بهؤلاء الموجودين خارج نطاق الجماعة، وحينئذ لن يعوق شيء عملية الاستقطاب، نظرًا لأن أعضاء الجماعة مستمرون في التكلم مع بعضهم، وغالبًا ما تكون الجماعات المغلقة التي يتكلم أعضاؤها مع بعضهم تربة خصبة، أي بيئة مواتية للحركات المتطرفة، وكهذا بتعبير سينشتاين فالإرهابيون يصنعون ولا يولدون.

إن تبادل المعلومات الجديدة تعد حسب سينشتاين من أهم أسباب الاستقطاب الجماعي ومفتاح التطرف في كل أشكاله، يقول: "فغالبًا ما يحدث الاستقطاب الجماعي لأن الأفراد يقولون لبعضهم بعضًا ما يعرفونه، وأن ما يعرفونه يتم تحريفه في اتجاه يمكن التنبؤ به، إنهم عندما يسمعون لبعضهم بعضًا يبدأون بالحركة"[2]، يوضح سينشتاين بمثال افتراضًا قائلاً: "افترض أنك في جماعة من الناس يميلون إلى الاعتقاد بأن إسرائيل هي المعتدي الحقيقي في الصراع في الشرق الأوسط، وأن أكل لحوم البقر أكل غير صحي، أو أن زواج مثلي الجنس هي فكرة جيدة، وفي مثل هذه المجموعة سوف تسمع الكثير من الحجج لإحداث التأثير المطلوب، وبسبب التوزيع الأولي للأداء فسوف تسمع وجهات نظر معارضة أقل نسبيًا، ومن المرجح أنك سمعت بعضًا، وليس كل الحجج أو البراهين التي تنبثق من خلال المناقشة، وبعد أن سمعت إلى كل ما يقال قد تتحول على الأرجح في اتجاه التفكير في أن إسرائيل هي المعتدي الحقيقي...فإن معظم أعضاء الجماعة من المحتمل أن يتأثروا بما سمعوا"[3]، إذن يمكننا القول أن أعضاء الجماعة يتأثرون عندما تكون المعلومات قريبة من توجههم وهنا ندرك ما أهمية الخطاب وتأثيره سواء إيجابًا أو سلبًا.

عملية الاستقطاب:

يميز سينشتاين بين تفسيرين مختلفين للاستقطاب الجماعي، أحد التفسيرات يشير إلى أن الاستقطاب يكشف عن المعتقدات والرغبات الخفية، بينما يشير تفسير آخر إلى أن الاستقطاب يخلق المعتقدات والرغبات الجديدة، يرى

سينشتاين أن التفسير الأول يذهب إلى أن الناس في كثير من الأحيان يملكون اهتمامات مكبوتة ومتجذرة بعمق، وتظل تلك الاهتمامات غير معلنة وغير متحققة على أرض الواقع لسبب من الأسباب. يوضح سينشتاين قائلاً: "يمكن أن نقارن قضية المساواة بين النوع. إن الفكرة الكلية التي تقوم عليها عملية رفع الوعي تصمم من أجل الإشارة إلى وجود صور منطوية (مكبوتة) من الغضب والاعتراض؛ وبمجرد أن يتكلم البشر بعضهم إلى البعض الآخر؛ يظهر الوعي عندما تطفو هذه الصور من الغضب والاعتراض على السطح. فما كان في الماضي يكبت، ربما بسبب عدم الرغبة في اعتراض أولئك الذين يملكون القوة، يظهر الآن في العلن؛ فالناس يكوّنون اهتماماتهم نتيجة للمناقشات الجماعية. وهنا نجد أن الذي كان بالأمس غير خاضع للتفكير يظهر الآن في المجال العام"[4]. إذن النقاش وتبادل الأفكار يحدث اكتشافاً للذات.

أما التفسير الثاني حسب سينشتاين نجد الاستقطاب الجماعي يمكن أن يظهر حتى وإن لم يكن هناك شعورًا مبدئيًا بالمعاناة؛ إذ ليس هناك إلا القليل من المشاعر المكبوتة، ليبقى إذن الموجود هو التأثيرات الاجتماعية، بما في ذلك جهود مهندسي الاستقطاب. يرى سينشتاين أنه ما أن يبدأ الناس في الحديث إلى بعضهم البعض يخلق عند البعض كثيرًا من الأفكار أو الاعتقادات ربما لم تكن موجودة من قبل. يقول سينشتاين: "بإمكاننا أن نتصور هذه الظاهرة في المجال السياسي، حيث يطور الناس اهتمامًا مبدئيًا بممارسة ما أو شخص ما.. كأن المعتقدات الدينية والممارسات الدينية تنتج في العادة وتكتسب انتشارًا بهذه الطريقة"[5].

الخروج من الجماعة

لقد ذهب سينشتاين إلى أن التماسك والروابط الوجدانية يزيد من الاستقطاب، يقول: "عندما يعتقد أعضاء الجماعة أن لهم هوية مشتركة، وبينهم درجة عالية من التضامن والتماسك، فسيوجد الاستقطاب الحاد، ومن أسباب ذلك أن الأفراد إذا شعروا بأن أحد العوامل يوحدهم، فسوف يتم إخماد الخلاف بينهم"[6]. لا شك إذن أن هذا التماسك الوجداني سيجعل من أفكار الجماعة مقبولة إلى حد ما، وستزداد الجماعة قوة بعد عملية الخروج.

يذكر سينشتاين أنه مع مرور الوقت، يمكن تقوية الجماعة عن طريق الخروج، حيث إن الأعضاء المعتدلين يتركون الجماعة لأنهم لا يرضون بالاتجاه الذي تسير فيه الأمور. يقول سينشتاين: "يؤكد مارك ميجمان (باحث في الإرهاب) على أهمية هذه الحقيقة. فعندما يتحرك أعضاء الجماعة في اتجاه إمكانية العنف، يوجد موقف من الفرز الاختياري والانتقاء الشخصي، وهو موقف لا يبقى فيه داخل الجماعة إلا المؤمنون الصادقون. ويرى هؤلاء المؤمنون أنفسهم باعتبارهم أفضل الأصدقاء وباعتبارهم أسرة بديلة. وهنا توجد أشد الظروف خطرًا بالنسبة للجميع. فالجماعات لا تضم إلا المتطرفين، حيث تربطهم روابط المحبة والتضامن، ولا يميلون للمناقشات إلا بين بعضهم بعضا"[7]. يضيف سينشتاين مبينًا خطورة الخروج وأثره في تقوية الجماعة وزيادة حدة التطرف: "والقضية الأهم هنا هي، أنه عندما يكون بعض الأفراد ميالين بالخروج من الجماعة، يزداد احتمال تحول الجماعة إلى المزيد من التطرف. إذ إن الأمر سيؤول بالجماعة إلى



كاس سينشتاين

صغر حجمها، وأن يصبح أعضاؤها أكثر تشابها في التفكير، وأكثر رغبة في اتخاذ الإجراءات المتطرفة. وفي نوع من أنواع الدائرة الخبيثة، فإن نفس هذه الحقيقة تعني ضمنًا النقاشات الداخلية سوف تستمر في إفراز المزيد من النزعة المتطرفة"[8]. هذا ناتج عملية الخروج، إذ تغيب الأصوات التي تنتقد وتبقى فقط الأصوات المريدة لطروحات الجماعة ومن ثمة نكون أمام جماعة جدًا متطرفة، يكون أعضاؤها حينئذ كالآلة يفعلون ما يطلب منهم دون تردد.

الفهم المتحيز وزيادة حدة التطرف

يذكر سينشتاين أن من بين العوامل التي تساهم في حدة الانتماء نجد الفهم المتحيز، يقول في ذلك: "إن مجموعة أخرى من النتائج الإمبريقية تتصل اتصالاً مباشرًا بطبيعة الاستقطاب وحدوده. افترض أنك شكلت جماعة من الأفراد يحبذ نصفها عقوبة الإعدام، ويرفض نصفها الآخر هذه العقوبة. وافترض أنك قدمت للجماعة بأكملها مجموعة من القراءات المتوازنة، والتي تعرض حججًا في كلا الاتجاهين. فما النتيجة التي تميل للتنبؤ بها؟ يتصور كثير من الناس أننا سوف نلاحظ مزيدًا من الاعتدال، ومن ثم سنلاحظ نقص أو انعدام الاستقطاب. فبعد رؤية كل جماعة للحجج المعقولة لدى الطرف الآخر، قد تتحرك كلتا الجماعتين نحو الشك، وبهذا المعنى تتحركان نحو المركز"[9]. وهكذا حسب سينشتاين بعد قراءة الحجج سيزداد المعارضون لعقوبة الإعدام قوة في معارضتهم ويصبحون أكثر تطرفًا، في المقابل يتصلب المدافعون عن العقوبة. وهذا ما يسميه سينشتاين بالفهم المتحيز، إذ كل يزداد تحيزًا وإخلاصًا لما يعتقد.

إن المتطرفين كلما رأوا اتجاهًا مضادًا لاتجاههم، فإنهم يزدادون إخلاصًا شديدًا لمعتقداتهم. يقول سينشتاين في هذا الأمر: "إليك نتيجة مزعجة بصفة خاصة. وهي أنه عندما يتم تصحيح المعتقدات الزائفة للأفراد، فقد يصبحون أشد التزامًا أو إخلاصًا لتلك المعتقدات الزائفة للأفراد، فقد يصبحون أشد التزامًا أو إخلاصًا لتلك المعتقدات. افترض، مثلاً، أن المؤيدين لحرب العراق "في الولايات المتحدة الأمريكية" أخبروا، وعن طريق مصادر أخبار بدوا عليها أنها موثوق بها، وفي مرحلة مبكرة، أن العراق لا يملك في الواقع أسلحة الدمار الشامل. فالملاحظ، أن مثل هذه التصحيحات لا تخفف –غالبًا– من مظاهر سوء الإدراك، كما أنها تقوم أحيانًا بزيادة هذه المظاهرة وتقويتها"[10]. السؤال المطروح لماذا هذا الإصرار على التشبث بالرأي أو الاعتقاد رغم وجود أدلة تنفيه؟

يوضح لنا سينشتاين هذه القضية: "عد الآن إلى مشكلة الإرهاب، ولاحظ الفكرة التي مفادها: أن الديناميات القوية للجماعة، والتي تتسبب في إحداث ما يسميه مارك سيجمان عملية من عمليات "الحب الداخلي للجماعة"، تكفل أن "تتصرف الجماعة" بوصفها غرفة صدى تفاعلية، حيث تشجع هذه الديناميات على تصعيد الشعور بالظلم والإيمان بنظرية المؤامرة إلى أن يصل إلى مرحلة المؤامرة إلى أن يصلا إلى مرحلة الكراهية. ويؤول أمر أعضاء الجماعة على أن يقتصروا على الاعتماد على بعضهم بعضًا حتى يؤكدوا صحة المعلومات الجديدة، كما أن كل أمر يؤمنون به يكون ثمرة التفاعلات داخل حيز منعزل لاتهم. وبهذا الشكل "ينبذون المعلومات التي تلخص معتقداتهم بوصفها دعاية صادرة من الغرب. فهنا حالة واضحة من حالات الفهم المتحيز، والتي تحدث بأسلوب يشجع على إحداث استقطاب الجماعة". من وجهة نظري أرى أن الأمر سيزداد حدة مع توفر وسائل الاتصال، بمعنى حتى لو تمت محاصرة المتطرفين من خلال المراقبة الأمنية والتواصل والحوار معهم للتصحيح مسار اعتقاداتهم، فإن التكنولوجيا ستجعل من هذه المقاربة فاشلة إلى حد ما، وليس هذا فحسب فالتكنولوجيا وسيلة الجماعات المتطرفة للاستقطاب.

علاقة بموضوع الانترنيت والإرهاب يقول: "وحتى 2004، قامت التفاعلات المباشرة بأداء الدور الأساسي في إنتاج الشبكات الإرهابية. وفي سنوات أحدث أصبحت للإنترنيت أهمية عظيمة في هذا الصدد. إذ إن غرف الدردشة والمنتديات المخصصة لاهتمامات معنية تساعد على إلهام كثير من المسلمين الشباب أن ينضموا للحركة الإرهابية الإسلامية... وموجز القول إن التفاعل الذي يتم بين الأفراد المتشابهين في التفكير يتسبب في إحداث استقطاب الجماعة، مع ما يصحب ذلك من المواقف العنيفة"[11]. وعلى هذا يمكن القول حسب سينشتاين إن الإرهابيين يصنعون ولا يولدون، يصنعون من خلال العمليات الاجتماعية.

في ختامنا لموضوع ظاهرة التطرف الظاهرة القديمة الجديدة، نؤكد على أن مواجهة الظاهرة بحاجة إلى دراسات تشخيصية، كي يتسنى إيجاد الحلول المناسبة لتلك الأسباب، إذ يستحيل على المراقبة الأمنية وحدها موجهة الظاهرة، فلا شك أن الظاهرة يتداخل فيها ما هو أمني وسياسي وثقافي.

الهوامش

1 – الطريق إلى التطرف. اتحاد العقول وانقسامها، كاس ر. سينشتاين، ترجمة محمد سمير نوبار، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، ص. 14

2 – – الطريق إلى التطرف. اتحاد العقول وانقسامها، كاس ر. سينشتاين، ص. 41

3 – – نفسه، ص. 41 – 42

4 – – الطريق إلى التطرف. اتحاد العقول وانقسامها، كاس ر. سينشتاين، ص. 53

5 – – نفسه، ص. 54

6 – – نفسه، ص. 68

7 – – الطريق إلى التطرف. اتحاد العقول وانقسامها، كاس ر. سينشتاين، ص. 71

8 – – نفسه، ص. 72

9 – نفسه، ص. 80

10 – – الطريق إلى التطرف. اتحاد العقول وانقسامها، كاس ر. سينشتاين، ص. 82

11 – – الطريق إلى التطرف. اتحاد العقول وانقسامها، كاس ر. سينشتاين، ص. 181 – 182



ثيمة العبودية بين الحضارة اليونانية والرومانية



زهير أتباتو

المغرب

إنه لا يخفى على ذي النظر الحصيف بأن العبودية، هي أسوء ما وصلت إليه بشاعة الإنسان على امتداد قرون من الزمن، جراء طمعه وإهماله لحق أخيه البشري في التمتع بالحياة بكل حرية، فكان محور هذه الدراسة التي سنقبل على الخوض فيها: إعادة الاعتبار للكائن البشري من هامشية الرق وإعادته إلى مركزية الحرية، والإقرار بفظاعة العبودية، والإصرار على ترسيخ فكرة أن الحرية حق أزلي لا يسمح لأي كان وكيفما كان أن يسلبه من غيره.

فبعد التطور الحاصل في حياة الإنسان وطريقة معيشته وكثرة احتياجاته وتشعبها تغيرت نظرة الإنسان لأخيه الإنسان وتبدلت اتجاهات بحثه عما يخلصه من عناء العمل ومكابدته له، فأصبحنا نرى أن القوي قد ألزم الضعيف للعمل له، ومن ذلك نشأ الاسترقاق في مجموعة أمم في مقدمتها اليونان.

«الرق عند اليونان»

لا يتناطح كبشان ولا يتناظر عالمان على اعتبار أن اليونان كانت مركز الحضارات الغربية بجانبها الفكري الثقافي الضخم قديمًا. بزغ في سماء فكرها فلاسفة عظام، لا تزال الذاكرة البشرية تدرس رؤاهم وتتعقب نهج خطاهم وطرق تفكيرهم وأساليب عملهم. فقد آمنوا بأفكار نصبتهم ضمن قناديل زمانهم وفطاحل عصرهم... مما جعل غرورهم بفكرهم وحضارتهم يؤدي بهم إلى تقسيم الجنس البشري "إلى قسمين هما: الأحرار والأرقاء بالطبع"[1]. فالتصنيف الأول يقصد به اليونانيون، أما الثاني فهم العبيد الذين وصفوا من طرف الفلاسفة، وعلى حد قول أرسطو: "آلة ذات روح أو متاع قائمة به الحياة"[2]. فقد "كانوا يميزون بين الأمم التي يقهرونها ويعتبرون أهلها عبيد لهم وبين العبيد الذين يشترونهم من الأسواق، فالصنف الأول قد كانوا أرقاء بمعنى الكلمة ولكنهم كانوا تابعين لأرضهم يباعون ويشترون معها، وأما العبيد الآخرون فكانوا تحت رحمة مواليهم لا يحميهم منهم لا قانون ولا عرف"[3].

وقد كثر الطلب على هذا النوع من السلع (العبيد) عند الإغريقيين "فاتسعت تجارته للرقيق المجلوب بالخطف والشراء، وقامت أسواق في الجزر اليونانية وكانت جزيرة (ديلوس DELOS) وقبرص وكريت ورودوس من أشهر أسواقه"[4]. مما ساعد في ازدهار عمل النخاسين وساهم في غناهم ورفاهية حياتهم ورقي مستواهم الاقتصادي.

لم تكن معاملة اليوناني للعبيد معاملة جيدة، فقد مارسوا سلطتهم عليهم وعاقبوا منهم من ارتكب جرمًا "بالكي بالنار على جباههم، وإجبارهم على إدارة الطواحين بدل البهائم، وكان في بلاد اليونان عبيد معتوق وكونهم لم يكن لهم أدنى حق مدني فكانوا بمثابة الحيوانات وكان عليهم أن يؤدوا واجبات معينة لسادتهم ما داموا في هذه الحياة"[5]. والعبد إذا "أساء الأدب ضرب بالسوط، وإذا طلب للشهادة عذب، وإذا ضربه حر لم يكن له أن يدافع عن نفسه، لكن إذا تعرض للقسوة الشديدة كان له أن يفر إلى أحد الهياكل، ثم يلزم سيده ببيعه، ولم يكن يحق لسيده بأية حال أن يقتله..."[6].

فجل هؤلاء العبيد هم إما "أسرى حرب أو ضحايا غارات استرقاق، أو أطفال أنقذوا وهم معروضون في العراء، أو أطفال مهملون أو مجرمون"[7]، وظفت طاقاتهم الجسدية في "الأعمال اليدوية الشاقة، كما كانت الجواري يقمن بمعظم الأعمال المنزلية المجهدة، والعبيد كانوا فوق ذلك يقومون بجزء كبير من الأعمال الكتابية وبمعظم الأعمال التنفيذية في الصناعة والتجارة..."[8] وأكد على هذا أفلاطون مزكيًا ما قيل، بأن: "الصناعة والزراعة يجب أن يقوم بها العبيد الغير اليونانيون"[9]، وكانت تترك هذه الأعمال في عاتق الأرقاء لأن "أهل المدينة ينظرون بعين الاحتقار إلى العمل اليدوي، ولا يؤدون منه إلا القليل الذي لا بد لهم من أدائه"[10]. فاليونانيون الأحرار خلقوا ليفكروا ويلقوا الأوامر ليتفذها العبيد بكل سمع وطاعة، لأنهم في نظرهم مجرد وسيلة من وسائل الإنتاج.



أسرى الحرب يتم بيعهم كعبيد في اليونان القديمة

> هذا العدد الهائل من العبيد في روما وتنوع أصنافه وأنواعه، نتج عنه كثرة النخاسين المتاجرين فيه، رغم أن الرومان "كانوا يعدونه التجار بالرقيق من المهن الساقطة، ولكن ذلك لم يكن ليمنعهم من شدة العناية بها لأنها كانت تجارة رابحة

«الرق عند الرومان»

شكلت المرحلة التاريخية التي عاشتها الإمبراطورية الرومانية مرحلة حاسمة في التاريخ العالمي، فمن حيث التوسع شهدت الإمبراطورية امتدادًا واسعًا جدًا جعلها من أكبر وأعظم إمبراطوريات العالم القديم، ومن حيث الأحداث فقد شهدت هذه الأمة حروبًا متلاحقة ساهمت في توسع نطاقها الجغرافي، بالإضافة إلى أنها شكلت أهم مصدر من مصادر الرق. فانطلاق الاسترقاق كان نتيجة حروب الغزو كما أن "وجوه الاسترقاق تعددت، فإن فضلاً عن استرقاق الأمم المغلوبة بالحرب واستعبادها كان هناك صنف آخر وهم العبيد بالولادة، أي الذين يولدون من الأرقاء، وصنف ثالث من الأحرار الذين قضت عليهم بعض النصوص القانونية بالوقوع تحت نير العبودية"[11].

وقد أصبح الاسترقاق مظهرًا لتباهي القادة والفخر بالنصر "ففي روما كان ينصب للقائد المنتصر قوس يمر من تحته وهو ممتط حصانه ومن ورائه آلاف الأسرى، ويكسب شهرته من عدد الأسرى الذين يساقون خلفه، ويروى أن القائد الروماني (إيمليوس Emilius) دخل روما يتبعه 150.000 أسير بعد انتصاره في معركة مقدونيا عام 168. ومن قبله أسر قيصر حين فتح بلاد الغال (فرنسا الحالية) مليوني أسير"[12] وقد قدر "بلوك Peloch" عدد العبيد في روما حوالي سنة 30 ق.م بما يقارب من 400.000 أي نحو نصف عدد سكانها جميعًا، وقدر عددهم في إيطاليا بنحو 1.500.000"[13].

هذا العدد الهائل من العبيد في روما وتنوع أصنافه وأنواعه، نتج عنه كثرة النخاسين المتاجرين فيه، رغم أن الرومان "كانوا يعدونه التجار بالرقيق من المهن الساقطة، ولكن ذلك لم يكن ليمنعهم من شدة العناية بها لأنها كانت تجارة رابحة"[14]، فأصبح النخاسون يتفننون ويتسابقون لبيع العبيد، فبنيت أسواق خاصة بهذا النوع من التجارة "وكان المتعاطون لها يحصلون على أموال طائلة، وثروة وافرة، فمنهم النخاس "تورانيوس" الذي كان في أيام أغسطس متمتعًا بشهرة فائقة وصيت بعيد، وكانت العادة في روما بيع الرقيق بالمزاد، فكانوا يوقفونهم على حجر مرتفع، بحيث يتيسر لكل واحد أن يراهم ويمسهم بيده ولو لم يكن له رغبة في الشراء، وكانت العادة أن المشتري يطلب رؤية الأرقاء عراة تمامًا"[15]. ومن أشهر أسواق العبيد التي "كانت في روما، سوق خاصة يستطيع الإنسان أن يبتاع فيها عبدًا أعرج وأقطع الذراع أو ذا أعين ثلاث..."[16].

هذه الأصناف المعروضة للبيع هي غالبًا من مخلفات أو غنائم الحرب، بالإضافة إلى وجود صنف آخر المستورد من بلاد أخرى مثلما تستورد جل السلع، فروما "في الغالب تستمد حاجاتها من الرقيق والجلود من البرابرة الشماليين"[17] وكان ثمن "العبد يختلف من 330 سسترس يباع بها من يعمل في الضياع إلى السبع مئة ألف (105.000 ريال أمريكي)...وكان متوسط ثمن العبد 4000 سسترس (400 ريال)... وكان كثير من العبيد ينالون احترام سادتهم لثقافتهم الراقية، فقد كان منهم مختزلون



لخطبهم، ومساعدون في بحوثهم..."[18]. هذا الازدهار في تجارة العبيد دفع الساهرين على إدارة (مجلس الشيوخ وعلى رأسهم الإمبراطور الحاكم) الإمبراطورية إلى وضع قوانين لتسيير الأمور المالية، ففرضت "ضريبة غير مباشرة توضع على الأعتاق، وبيع العبيد"[19].

هذا الانتشار لطبقة الرق في روما أدى إلى سوء معاملتهم لدرجة قاسية، حيث وصلت الوقاحة بهم أن أصبح "الناس وقتئذ يمشون أو يحملهم العبيد في كراسي أو هوادج"[20]، أي موضع الدواب في عملهم، زد على هذا أن "عبيد المنازل كانوا يضربون أحيانًا وأحيانًا يقتلون، وقد قتل والد نيرون عبيده المحررين لأنهم أبوا أن يشربوا الخمر القدر الذي يرغب فيه"[21]، ويقول "تشارلز" في كتابه "الإمبراطورية الرومانية": "أصر سيد على أن يقف الخدم حول المائدة صامتين، وكان يعاقب من يسعل منهم أو يعطس بالجلد. واعتادت إحدى السيدات الرومانيات أن تعض خدمها بالفعل في نوبات غضبها..."[22].

ولكن هذا الوضع لم يستمر على حاله، إذ ظهرت بين الفينة والأخرى صرخات لعبيد ذاقوا مرارة الألم والحرمان من الحرية، فقد أضحى "العهد الروماني مسرح لثورات دامية ففي عام 185ق.م ثار عبيد المناجم في "أتروريا"، وتتابعت ثوراتهم بعد ذلك في أقاليم أخرى، وكان أهمها ثورتان: ثورة العبيد في صقلية، وثورتهم في مدينة كابو Capoue"[23].

وكان كل من يقع في قبضة الرومان بعد محاولته التمرد والمطالبة بالتحرر، يساق إلى ما سمي (بمدارس المجالدين Ecoles des gladiateur)، و"قد وجدت هذه المدارس في روما من عام 105ق.م وكان فيها أربع مدارس من هذا النوع في عهد الإمبراطورية، عدا ما كان منها في أنحاء إيطاليا وكانت واحدة في الإسكندرية. وكان للأغنياء في أيام قيصر مدارس أنشؤوها أنفسهم ليعدوا فيها العبيد ليكونوا مجالدين"[24]. وكان الخطيب الروماني شيشرون "يتقزز من هذه المجازر وهو يسأل الناس: «أية تسلية يمكن أن تسلي الروح الرقيقة الإنسانية حين ترى وحشًا شريفًا يطعنه الصائد في قلبه بلا رحمة، أو ترى إنسانًا يمزقه وحش ضار أقوى منه جسمًا؟»"[25].

هذه المجازر حثت في نفوس الحكام بالتفكير في وضع قوانين تضبط هذه الآفة، نظرًا لما عادت به من دمار على الإمبراطورية الرومانية، فصاروا على تطبيق مقولة (أغسطس Auguste) "أنه لا بد من العودة إلى الأخلاق والعقائد القديمة"[26]. ومن هنا وضعت بنود صريحة في الدستور الروماني الذي "يحرم على الموالي إلزام أرقائهم بمقاتلة الوحوش الضارية والحيوانات الكاسرة... وإذا قتل المولى عبده بغير حق وجبت معاقبته كأنه قتل عبدًا لغيره..."[27]. وهذه الصرامة في التطبيق، جعلت الرومانيين يعدلون عن أفعالهم الإجرامية في حق العبيد الضعفاء، فأصبحوا "يعاملون عبيدهم بروح إنسانية عالية مثل صديق... وسمح لبعض العبيد بالجلوس إلى المائدة، وكان يسمح في الماضي للسيد المقصر أن يطرح عبده المريض في معبد للإله "أسكيبيوس Asclepius" على أمل أن يعتني الإله نفسه بشفائه..."[28].

بعض هذه التشريعات كانت دافعًا من دوافع السمو الخلقي والفكري الروماني، وأصبح العتق ممكنًا بعدما كان شبه مستحيل وهذا ما خول لبعض "العبيد أن يعتق في ظروف معينة تكون مترافقة ضرورة مع شرط الحصول على الحرية"[29] وكان العتق يتم "بواسطة وثيقة الإعتاق المعروفة Manumissio"[30].

زد على ذلك أن هذه الحقوق التي منحت للرقيق لم تساعد فقط على عتقهم، بل تطور الحال إلى أن "بعض المنحدرين من العبيد والمعتقين قد استطاعوا أحيانًا الارتقاء مباشرة إلى مصاف تنظيم أعلى"[31]، كأن يقوم المعتقون "بمساعدة الإداريين الإمبراطوريين في مهام التحقق والتسجيل والمراقبة من يوم لآخر"[32]. زد أيضًا على هذا أنه أصبح "ابن العبد المحرر يتمتع بجميع حقوق الأحرار، وكان في وسع حفيده أن يصبح عضوًا في مجلس الشيوخ، بل إن حفيد بعض المحررين قد أصبح إمبراطورًا"[33]. وبهذا أضحى العبد كفرد من أفراد الأسرة الرومانية، يشارك سيده في طقوسه الدينية وأعياده ومآدبه.

وفي حاضرنا عاد اهتمام الغرب بفظائع أجدادهم تجاه العبيد جليًا في أكثر من بحث وكتابة وحتى عبر الأفلام التاريخية ومن أبرزها فيلم سبارتاكوس- محرر العبيد: "قام الممثل الأمريكي الشهير "كيرك دوغلاس" بدور البطولة فيه عام 1960م. كما عرضت قصة "سبارتاكوس" على شكل مسلسل أجنبي من بطولة الممثل "آندي وايتفيلد" في عدة مواسم، وقد كتب عنه الشاعر "أمل دنقل" قصيدة اسمها "كلمات سبارتاكوس الأخيرة"[34].

وخلاصة القول فإن الإمبراطورية الرومانية عرفت ظاهرة الرق وعانت من عواقبه وتعاملت معه بقوانينها الخاصة لتقنن منه ولتحسن مستوى عيش الرقيق، كي يندمج مع غيره من سائر البشر باعتباره كائن بشري حر ولد ليحيا مثله مثل سواه من بني آدم.

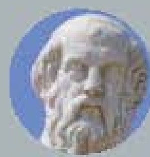
البيبليوغرافيا المعتمدة:

1 - أحمد شفيق، الرق في الإسلام، ترجمة أحمد زكي، مؤسسة هنداوي، مصر-القاهرة، 2013م، ص18.
2- نفس المرجع السابق والصفحة
3 - محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن 20، دار الفكر-بيروت، ط3، 1971م، م4، ص276.
4 - عبد السلام الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة ص23، الكويت، 1979م، ص85.
5 - محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن20، م4، ص276.
6 - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1408هـ-1988م، م3/ج2، ص67.
7 - نفس المرجع السابق، ص65.
8 - نفسه، ص67.
9 - أحمد الشناوي، جمهورية أفلاطون، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 2010م، ص85.
10 - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، م3/ج2، ص62.
11 - أحمد شفيق، الرق في الإسلام، مرجع سابق، ص20.
12 - عبد السلام الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، ص38.
13 - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، م3/ج2، مرجع سابق، ص242.
14 - محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن 20، م4، مرجع سابق، ص276.
15 - أحمد شفيق، الرق في الإسلام، مرجع سابق، ص20.
16 - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، م3/ج2، مرجع سابق، ص243.
17 - تشارلز ورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس، مكتبة الأسرة، 1999م، ص141.
18 - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، م3/ج2، ص242-243.
19 - مارسيل لوبو، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد، بنغازي-لبنان، الطبعة1، 2008م، ص76.
20 - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، م3/ج2، ص219.
21 - نفسه، ص243.
22 - تشارلز ورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، ص88.
23 - عبد السلام الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، مرجع سابق، ص67.
24 - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، م3/ج2، مرجع سابق، ص349-348.
25 - نفس المرجع، ص351.
26 - نفسه، ص114.
27 - أحمد شفيق، الرق في الإسلام، مرجع سابق، ص22.
28 - تشارلز ورث، الإمبراطورية الرومانية، مرجع سابق، ص88.
29 - مارسيل لوبو، الإمبراطورية الرومانية، مرجع سابق، ص69.
30 - تشارلز ورث، الإمبراطورية الرومانية، ص90.
31 - مارسيل لوبو، الإمبراطورية الرومانية، ص71.
32 - نفسه، ص54.
33 - ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، م3/ج2، مرجع سابق، ص241.
34 - نقلا عن "ويكيبيديا الموسوعة الحرة".

أدباء اشتهروا بعد وفاتهم

لم يحصل بعض الأدباء على التقدير المناسب لأعمالهم وهم على قيد الحياة، ولكن بعد موتهم تحققت أمنياتهم في الشهرة. ومن أبرز هؤلاء الكتاب الذين اشتهروا بعد وفاتهم حسبما جاء في موقع «Lit Reactor»:

1 أفلاطون



سجل الفيلسوف اليوناني الكثير من الإنجازات في الرياضيات والفلسفة، وتتلمذ على يده الفيلسوف أرسطو، ويعد مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم.

أهم مؤلفاته: "الجمهورية"، "الندوة".

2 آن فرانك



توفيت الكاتبة الألمانية عن عمر يناهز 15 عامًا في مارس 1945، وهي واحدة من ضحايا الحرب العالمية الثانية، وتعد مذكرتها عن الحرب "مذكرات فتاة صغيرة" مصدرًا للعديد من المسرحيات والأفلام.

- مذكرات فتاة صغيرة.

3 جون كينيدي تول



حصل الكاتب الأمريكي على جائزة بوليتزر في عام 1981، أي بعد عامين من انتحاره.

أشهر مؤلفاته: - كونفدرالية البلداء

- رواية تحالف الأغبياء

4 هنري ديفد ثورو



ساهم المؤلف الأمريكي الفرنسي الأصل بشكل كبير في إنهاء العبودية والضرائب وسجل إنجازات عدة في الفلسفة والتاريخ. وُلد في 12 يوليو عام 1817 وتوفي في 6 مايو عام 1862.

أشهر مؤلفاته:

- أسبوع فوق نهري الكونكور دوميرماك
- الاستعباد في ماساتشوستس

5 إيميلي ديكنسون



حرمت الشاعرة الأمريكية نفسها من الشهرة بسبب رغبتها في العزلة ورفضها لرؤية الغرباء.

أشهر مؤلفاتها:

- القصائد

6 إديث هولدن



دونت السيدة البريطانية بعض الأشعار ونصائح الحياة وخططت لنشرها ولكنها غرقت في نهر التايمز قبل ذلك في 15 مارس 1920. نشر كتابها "يوميات السيدة الإدواردية الريفية" في 1977.

- "يوميات السيدة الإدواردية الريفي".

7 سيلفيا بلاث



تضخمت شهرة الشاعرة والروائية الأمريكية بعد أن انتحرت في 11 فبراير 1963، حيث نشر زوجها الشاعر تيد هيوز مجموعة من قصائدها بعد 20 عامًا من وفاتها، والتي حصلت على جائزة بوليتزر.

- ديوان أرييل

8 هوارد فيليبس لافكرافت



أصبح الروائي الأمريكي هوارد فيليبس لافكرافت بعد وفاته في 17 مارس 1939 مؤثرًا بشكل كبير في فن كتابة قصص الرعب والخيال العلمي. ويقال إن لافكرافت ابتكر شخصية عبد الله الحظر د. بالرغم لقلة كتاباته لكنها ألهمت وأثرت على العديد من الكتاب الأمريكيين والعالميين.

أشهر مؤلفاته: "نداء كثولو"، "رعب دانويتش"، "قضية تشارلز ديكستر وارد"، "وعند جبال الجنون".

9 ستيج لارسون



كاتب سويدي اشتهر بمهنته الصحفية ولكن قلة من يعرفون عن إنجازاته الأدبية. وأصبح ثاني أكثر المؤلفين مبيعًا في عام 2008، أي بعد وفاته بثلاثة أعوام.

أشهر مؤلفاته: سلسلة الألفية، وهي من أدب الجريمة، وتشمل: "الفتاة ذات وشم التنين"، "فتاة لعبت بالنار"، "فتاة في عش الدبابير".

10 إدغار ألن بو



عاش ومات الناقد والمؤلف والشاعر والمحرر الأمريكي إدغار ألن بو فقيرًا، حيث حاول نشر مؤلفاته بشكل تدريجي ولكن لم تلق أي نجاح آنذاك. ويُعد إدغار جزءًا من الحركة الرومانسية الأمريكية، ويعد مخترع نوع خيال التحري، وكان أول كاتب أمريكي معروف يحاول كسب لقمة العيش من خلال الكتابة وحدها، مما أدى إلى حياة صعبة ماليًا ومهنيًا. توفي في 7 أكتوبر 1849.

أشهر مؤلفاته: "القطة السوداء"، "سقوط بيت آشر"، "الغراب".

قراءة في كتاب

المشروعات الصغيرة للشباب ما بعد عصر ريادة الأعمال



د. أشرف صالح محمد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة ابن رشد - هولندا

تسهم ريادة الأعمال "Entrepreneurship" من خلال تميز منظمات الأعمال التي تتبنى مفهومها والباحثة عن مزايا تنافسية وحلول مبتكرة لمشكلاتها في مواجهة العديد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية للدول حيث تشجع الشباب على الإبداع والمخاطرة والنظر نظرة عالمية للمجتمع المحلي. وتتنوع تصنيفات منشآت الأعمال طبقًا للحجم أو طبيعة النشاط أو الهدف. فقد تصنف المنظمات من حيث الحجم إلى منشآت صغيرة أو متوسطة أو كبيرة، ومن حيث طبيعة النشاط التي يشترك الأفراد في أدائها لتحقيق هدفهم فتصنف إلى منشآت صناعية أو تجارية أو استخراجية (زراعة أو تعدين) أو خدمية كالبنوك أو منشآت التأمين أو المستشفيات... إلخ. أما من حيث الهدف الذي تسعى لتحقيقه المنشأة فهناك منشآت هادفة للربح وأخرى غير هادفة للربح كالمنشآت الحكومية أو الخيرية.

ومهما كان شكل المنظمة فإن الإدارة هي الأداة التي تتحكم في تشغيل أي من هذه الأنواع بالطريقة التي تمكنها من تحقيق الأهداف المرجوة بنجاح من خلال اتخاذ القرارات التي تُمكن من القيام بالعملية الإدارية لوظائف المنظمة بكفاءة. وهذه القرارات تتعلق بتخطيط وتنظيم وتوجيه ورقابة أنشطة الإنتاج والتسويق والتمويل والموارد البشرية وغيرها من الأنشطة التي لا غنى عنها لأي منظمة. وبصفة عامة، لا تختلف أساسيات العملية الإدارية في كافة منظمات الأعمال، لكن هذا لا يمنع من انعكاس طبيعة أو حجم أو هدف المنظمة على أساليب وأدوات إدارتها، لذلك يتطلب تحديد هذه الانعكاسات دراسة السمات والخصائص المميزة لكل نوع منها حتى يمكن مراعاتها عند القيام بإدارتها.

ويسعى هذا المؤلف إلى التعرف على طبيعة المشروعات الصغيرة، لتحديد القرارات المناسبة لإدارتها وذلك من منظور ريادة الأعمال التي تمثل التوجه الحديث لتحقيق التنمية المستدامة على كافة المستويات، بدايةً من مستوى المشروع الصغير وصاحبه رائد الأعمال الشاب وحتى مستوى الاقتصاد القومي. ويُنظّر للمشروعات الصغيرة بعد عصر ريادة الأعمال نظرة أكثر انفتاحًا وتكاملاً، مما يتطلب منا الوقوف أولاً على معنى مفهوم ريادة الأعمال. ويتناول هذا الكتاب مدخلاً جديدًا في دراسة جدوى المشروعات الصغيرة لأنه لا يركز فقط على دراسة جدوى الفكرة، لكن يعطي اهتمامًا خاصًا وأساسيًا لما أطلقت عليه الكاتبة "جدوى البشر/الإنسان"، فوجود فكرة جيدة مع شخص "ليس له جدوى" بمعنى أنه لا تتوافر لديه خصائص رائد الأعمال لن تحقق النتائج المرجوة منها.

يهدف الكتاب إلى سد هذه الفجوة التي مازالت في حاجة لعديد من المؤلفات التي تتناول الموضوع من زوايا مختلفة لافتقار المكتبة العربية للكتب المتخصصة الموجهة للشباب نحو الاستفادة من العلم وتطبيقه على أرض الواقع تطبيقًا عمليًا يعتمد على التفكير الابتكاري والإبداع، فالمشروعات الصغيرة تُعد تخصصًا علميًا معترف به في العديد من الجامعات الأجنبية وتُصدر عنه دوريات متخصصة.

رائد الأعمال:

نظرًا لأن رواد الأعمال من سينفذون عملية الريادة، والتي تجني المجتمعات العديد من الإيجابيات من ورائها، فلابد من الاهتمام بإعداد وتنمية هؤلاء الرواد حتى تنهض بهم المجتمعات. فقد ازداد في الأونة الأخيرة استخدام مصطلح رائد الأعمال "Entrepreneur" وهو مصطلح أصله فرنسي أول مَنْ استخدمه رجل أعمال فرنسي شهير اسمه "جين بابيستيه"، وقد ترجم هذا المصطلح في أوائل الكتابات العربية إلى كلمة "المروج" أو "المنظم"، وأحيانًا كان يُطلق أيضًا على رجل الأعمال في بدايته أو على صاحب المشروع الصغير.

قد يحدث خلط بين عدد من المصطلحات كرائد الأعمال ومدير المشروع والمبتكر ورجل الأعمال أو مالك المشروع الصغير، على الرغم من أن القيام بكل دور منها يحتاج إلى قدرات ومهارات وسمات شخصية تختلف عن الأخرى، لكن هذا لا يمنع من وجود سمات مشتركة بينهم. وأحيانًا قد تنطبق على رائد الأعمال كل هذه المسميات أو بعضها إذا أدى أدوارًا متعددة. فعلى سبيل المثال: لا يُعَدّ كل مبتكر رائدًا للأعمال لأنه قد لا يسعى أو يكون قادرًا على أخذ الخطوة المبدئية لتكوين مشروع وتحمل مخاطره. أما إدارة المشروع فتتطلب مهارات إدارية لتشغيله بنجاح لفترات طويلة، بينما تزداد حاجة رائد الأعمال للمهارات الابتكارية والإبداعية أكثر. وعلى الجانب الآخر، ليس كل مدير ناجح يمكن وصفه برائد الأعمال. ويمكن التمييز بينهما لأنه بمجرد استقرار الفكرة الجديدة أو المبتكرة

للمشروع وبدء الإنتاج لتحقيق الربح، فإن الحاجة للمهارات الإدارية حينها ستكون هي المطلب الأساسي.

وليس من الضروري أن يكون رائد الأعمال هو مالك المشروع – وإن كان هذا شائعًا في مجال المشروعات الصغيرة – لأن المالك هو الذي ينشئ ويدير المشروع لتحقيق مجموعة من الأهداف الشخصية ويكون المشروع هو المورد الأساسي لدخله، لذلك يستهلك كل وقته وموارده فيه لأنه يعتبر امتدادًا لشخصيته. والخلاصة: أن الوظيفة الأساسية لرائد الأعمال هي تقديم الأفكار الجديدة والعمل على الترويج لها، وتجميع رأس المال والموارد الأخرى اللازمة لها وتنظيم هذه الموارد لتحويل هذه الأفكار إلى منتجات تمثل فرصة في السوق، وقد يكون هو المالك والمدير أو أن كل دور يقوم به شخص مستقل، حيث أن لكل موقف ظروفه الخاصة.

المشروعات الصغيرة وريادة الأعمال:

ساهمت المشروعات الصغيرة والمتوسطة مساهمة واضحة خلال العقود الأخيرة في الأنشطة الاقتصادية لعديد من الدول التي اهتمت بها خاصة فيما يتعلق بإيجاد فرص عمل دائمة. وعلى الرغم من أن ريادة الأعمال مفهوم يمكن تطبيقه على المشروعات الصغيرة والكبيرة – كما سبق وأوضحنا – إلا أن المشروعات الصغيرة حققت أنشطة ريادية لا تقارن بغيرها. فمعظم أنشطة انطلاق وبداية العديد من المشروعات الكبرى والناجحة تمت على مستوى المشروعات الصغيرة، فهذه المشروعات تمثل مصدرًا مهمًا للإبداع وتقديم المنتجات والخدمات الجديدة، كما تمثل عنصرًا أساسيًا للتنمية الإقليمية والتماسك الاجتماعي. بل إن محاولة تقييم دور المشروعات الصغيرة له علاقة بجذب الانتباه نحو أهمية دور ريادة الأعمال في التنمية الاقتصادية وتأثيرها الإيجابي على النمو والتوظيف، وكذلك دور رائد الأعمال في تنفيذ الأفكار المبدعة. وعلى ضوء هذه العوامل، أصبحت الحكومات والمنظمات الدولية تضع للمشروعات الصغيرة وريادة الأعمال كعناصر أساسية في أي خطة أو سياسة تسعى لتحقيق النمو الاقتصادي والتنمية. ويُعرف العديد من الباحثين مالك أو مدير المشروع الصغير على أنه رائد للأعمال – في بعض الأحيان – نظرًا للدور الذي يؤديه في بداية المشروع وإدارته، كما أنه يُعد المسئول الأول عن نجاح المشروع أو فشله. ويرجع ذلك لارتباط المشروعات الصغيرة بشخصية وإمكانيات ومهارات رائد الأعمال. من هذا المنطلق، ركزت دراسات اقتصادية وإدارية عديدة على تأثير خصائص رائد الأعمال على أداء المشروعات الصغيرة خلال مراحل دورة حياتها المختلفة منذ أنشطة تأسيسها ثم خلال حياتها وإدارتها ونموها.

المعوقات التي تواجه رائد الأعمال:

تتعدد المشكلات التي يمكن أن تواجه رواد الأعمال من الجنسين منذ بدء المشروع أو أثناء إدارته – وهم بالطبع قادرون على التعامل معها بكافة السبل – ولكن تيسيرها يمثل دافعًا أكبر للدخول إلى مجال العمل الحر. ومن أهم هذه المشكلات ما يلي: مشاكل تمويلية: تتعلق بكيفية الحصول على رأس المال وإدارة التدفقات المالية والعلاقات مع المقرضين وغيرها. مشاكل إدارية: مثل إدارة الوقت ووضع الأهداف وقياس الأداء والحصول على المعلومات التي يحتاجها المشروع وتوفير العمالة المؤهلة. مشاكل تسويقية: تتمثل في عدم القدرة على الترويج بفاعلية وتكلفة مناسبة وتطوير خطة تسويقية فعالة والتعرف على الفرص وتحديدها والمنافسة وتنفيذ الاستراتيجيات التسويقية وفهم العملاء وتطوير المنتجات والخدمات. مشاكل تكنولوجية: تتعلق باختيار أفضل الوسائل/ الأساليب التكنولوجية وإنشاء نظم معلومات جيدة.

التكنولوجيا في عالم الأعمال الصغيرة:

يُعد استخدام المشروعات الصغيرة لأحدث تطورات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICT) ممثلة في تطبيقات الحاسب الآلي والإنترنت والمحمول نقطة تحول وتطور جوهرية في شكلها وطبيعتها والفرص المتاحة أمامها. فاستخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة في المعاملات ربما لا يوجد العديد من الفرص لهذه المشروعات فقط، بل قد تمتد فوائدها لتتضمن الحد من العديد من التهديدات والقيود التي تواجهها. فالإنترنت لم يعد مجرد قناة توزيع، بل أصبح مجتمعًا متكاملاً ونمطًا للحياة العصرية.

وكما هو معروف أن لكل مجتمع قيمه التي تتحكم في سلوك أعضاءه ورغباتهم وفي نوعية الخدمات التي يرغبون فيها.. إلخ. لذلك فعلى رواد الأعمال التوجه نحو هذه المجتمعات كسبيل لنمو وتطور أفكارهم ومشروعاتهم. فنحن في عصر من أبرز سماته إضافة حرفي الـ (E) أو (M) كسابقة لأي مفهوم لنعبر بذلك عن عصر تكنولوجيا الإنترنت والمحمول، ولنعني أن المعنى الجديد لهذا المفهوم قد عُدل ليتم بسرعة عالية، وبشبكة رقمية متاحة في أي مكان وزمان.

ومجتمع الشبكات لم يعدّ بدعة كما اعتقد البعض عند بداية ظهوره، لكنه أكد بداية عصر جديد للنشاط الجماعي البشري الذي لم ولن يقلل من قيمة الوظيفة الفريدة للتفاعل البشري وجهًا لوجه في مكان مادي لكنه دون شك أثر فيها من خلال ظهور أنماطًا جديدة موازية لهذا التفاعل والتي لا يشترط أنها الأفضل لكن لا يجب إغفال أنها أصبحت واقعًا ملموسًا ونمطًا جديدًا للحياة أثر في عوالمها المختلفة ومنها عالم الأعمال الصغيرة والتي يناسب المجتمع الجديد طبيعتها وإمكانياتها.

في الحقيقة: تتنوع أوجه الاستفادة من التكنولوجيا وتتمثل تطبيقاتها في ثلاثة مجالات أساسية من الممكن أن ترفع قدرات الأعمال الصغيرة خاصةً ذات الفكر والمهارات الريادية، وهي: برامج الحاسب الآلي الجاهزة (Software): تساعد هذه البرامج على أداء العديد من أعمال المشروع بموارد وجهد ووقت وتكلفة أقل من الأداء اليدوي.

تطبيقات الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي: تتضمن العديد من المجالات كالأعمال الإلكترونية والتسويق الإلكتروني وعبر شبكات التواصل الاجتماعي.

تطبيقات المحمول: توفر تطبيقات المحمول (Mobil Applications)، والرسائل القصيرة (SMS) فرصًا للأعمال الصغيرة.

لقد استحق هذا الكتاب الفوز في الدورة الأولى (2016 – 2017) للمسابقة العالمية لتأليف كتاب في مجال تنمية الشباب، نظرًا لأنه يقدم إسهامًا مهمًا في التصدي لواحدة من المشكلات المعقدة التي تواجه الشباب العربي، وهي البطالة والفراغ وانعدام الثقة في المستقبل وإهدار القدرات

معلومات عن الكتاب:

الكتاب: المشروعات الصغيرة للشباب ما بعد عصر ريادة الأعمال

المؤلف: أ.د. هالة محمد لبيب – جامعة القاهرة

تاريخ النشر: 2017

الناشر: مؤسسة الأمير محمد بن فهد للتنمية الإنسانية – السعودية

عدد الصفحات: 309 صفحة

الرقم المعياري الدولي للكتاب: 133 4732 977 978



والطاقات الذاتية. ولا يقف الكتاب في تصديه هذا عند حد الرؤية النظرية، بل يطرح تجارب عملية، تتعدى مجرد تجهيز مشروعات صغيرة ومتوسطة للشباب، إلى حضهم على الابتكار والتفكير الخلاق في حل مشاكلهم، عبر "ريادة الأعمال"، وهو مسار غاية في الأهمية، والطلب عليه بات مُلحًا في حياتنا العربية المعاصرة.

ومما يحسب للكتاب أنه انحاز لفكرة أن الإنسان هو أهم عنصر من عناصر الإنتاج، ولذا فإن "دراسة جدوى الإنسان" في إطلاق المشروعات الصغيرة والمتوسطة مقدمة على "جدوى فكرة المشروع" أو النظر إلى الإمكانات المادية المتوفرة له. وقد عمدت صفحات الكتاب، بنجاح لافت، على تنمية القدرة الإبداعية لدى الشباب، كي يصبحوا رواد أعمال، عبر فتح آفاق جديدة أمامهم في مجالات حاضنات الأعمال، وخطط الأعمال، والأعمال الإلكترونية والمحمولة، ووسائل التواصل الاجتماعي، بما يسهم في جذبهم إلى عمل مفيد، بدلاً من إهدار طاقتهم في الإحباط واليأس والانفلات الأخلاقي.

وقد انتهجت الباحثة أسلوبًا سلسًا في عرض فكرتها، وقدمت تمهيدًا نظريًا لكل فكرة، أتبعته بتدريبات عملية غير تقليدية، وبعض الصور، بما جعل محتوى البحث أكثر عمقًا، ومناسبًا لتنمية طبقة رواد الأعمال في شتى البلدان العربية، ومواكبًا للغة العصر، وإضافةً لما تم كتابته ونشره في هذا التخصص الحيوي.

السرد الروائي بين التاريخي والتخييلي في رواية "قواعد العشق الأربعون"

أ.د. نادية هناوي سعدون

ناقدة من العراق - كلية التربية - قسم اللغة العربية - الجامعة المستنصرية بغداد

يشهد عالمنا المعاصر تقويضًا لكثير من المقولات والمفاهيم التي كنا قد اعتدنا على تداولها بدغماطية عالية واعتدادية لا تقبل الدحض ومن تلك المفاهيم مفهوم التاريخ كعلم له حقوله ونظرياته لكن هذا المفهوم تخلخل بفعل الفلسفة ما بعد الحداثية وتضعضع في ظل العولمة وأدبياتها التي فتّت علميته فأتاحت بذلك التعاطي معه مفهومًا معرفيًا قابلاً للتقولب في حقول الأدب أو الفلسفة أو الفكر أو النقد انطلاقًا من حقيقة أن كتابة التاريخ إنما هي كتابة إنسانية لأخبار جمعت ودوّنت لتكون في الأصل مسرودات أنتجتها ذهنية الإنسان وهذا ما يجعلها قابلة للتصديق والتكذيب وأنها ليست بمعزل تمامًا عن ثنائية الحقيقة/ الخيال.

ولهذا صار ممكنًا التعاطي مع التاريخ من باب أنه مسرودات إنسانية صغرى تضم أخبارًا ومرويات وسيرًا وشخصيات ووقائع وأحداثًا خلّدها التاريخ الرسمي ذاكرًا مآثر أصحابها ممركزًا بطولاتهم وساكتًا في مقابل ذلك عن كل ما هو ليس في صالح من يكتب هذا التاريخ أو من يكتب إليه وهكذا غيبت أحداث وأبعدت تفاصيل وهُمشت أناس وأنكر دورها..

وفي ظل حقبة ما بعد الحداثة انبرى الفكر الإنساني إلى إعادة كتابة ما دوّنه التاريخ الرسمي من مرويات لأجل إنتاج تاريخ جديد يحفل بالمسكوت عنه مهتمًا بالكشف عن أحوال الهامشيين وأخبار المقموعين ليعيد لهم مركزيتهم فيكون لهم فيه مكان ورتبة وهذا هو (محكي التاريخ)..

ومن هنا ما عادت مادة التاريخ الرسمي حكرًا على المؤرخين وعلماء الآثاريات وإنما هي مشاعة للفكر الإنساني انطلاقًا من رؤية نقد ثقافية ترى إمكانية أن يتولى مهمتها أي مثقف واع بالتنويرية ما بعد الحداثية وما تملكه من أدوات التفكيك والتقويض لأجل إعادة إنتاج المنتج من الفكر الإنساني وفي إطار مستجد وتحفيزي.

وللفنون الإبداعية السردية وفي مقدمتها الرواية دورها الجوهري والصميم في تحقيق هذه الرؤية وتبنيها ونقلها إلى أرض الواقع بفاعلية أدبية وفكرية نظرًا لما يتمتع به فن السرد من مقدرة على رصد الواقع بذهنية تخييلية لأجل كشف المخبوءات ووضع اليد على السلبيات وكشف مناطق الضعف فيه سعيًا نحو حياة توصف في أقل تقدير بأنها جمالية.

وقد لا يتحصل الكاتب الروائي بلوغ هذا المسعى ما لم يفتت زمنية السرد ويتعامل مع الأزمنة بتداخل وتمازج يوصف بأنه لا زمني ليغدو ذلك النهج واحدًا من وسائل التعامل مع التاريخ المدون باتجاه جعله متغلغلاً في الواقع عبر كتابة واقعية تعصرن المؤرشف وتؤرشف المعاصر والبغية استشراف رؤى مستقبلية أو تعميق رؤى الحاضر المعيش وكشف ملابساته أو إضاءة المناطق المعتمة فيه وتنسيق الفوضوي والمشوش منه..

ووفقًا لهذا التصور يصبح التاريخ حيًّا نابضًا بما يمنح الحاضر مزيدًا من الامتداد والعمق وهذا ما يحتّم على الروائي مهمة جديدة في كيفية الإفادة من التاريخ الرسمي مع الاستعانة بالمخيلة في صنع محكي تاريخي ينهض جنبًا إلى جنب التاريخ الوقائعي ليصنع سردًا تاريخيًّا وبذلك يناط بالروائي دور نهضوي جديد ينتظر منه أن يكون بحجم المرحلة التاريخية قادرًا على تأدية المهمة بفاعلية ليكون بديلاً عن المثقف العضوي الذي انزوى متجهًا صوب النهاية وربما مات بتعبير المفكر علي حرب (موت المثقف) الذي وجد أن "ما يجري الآن من تحولات في البنى والعقليات

يشهد على أن المثقفين والدعاة لم يعودوا يملكون مفاتيح النهوض والتقدم والتغيير"[1] مع أن حرب آمن أن" نهاية المثقف لا تعني موت الحلم .. ولا يعني نقد المثقف النخبوي أو العضوي أن البديل هو المثقف التقني المتعزل داخل دائرة اختصاصه .. بقدر ما يعني أن الدخول في عصر العولمة والوسائط المتعددة يخلق الإمكان لبناء نظام جديد من الوصل والفصل يجسد نمطًا جديدًا من أنماط التعايش والتداول بين البشر .. لتشكيل مخيال عالمي جديد أو لولادة فاعل بشري جديد"[2] .

وبهذا المخيال العالمي الذي هو ذاته المخيال الرمزي الذي دعا إليه المفكر الإسلامي الفرنسي محمد أركون يمكننا أن نتعامل مع التاريخ مستعينين بالسرد لإنتاج رواية لا توصف بأنها تاريخية وإنما رواية تاريخ تستحضر حدثًا تاريخيًا أو سيرة شخصية تاريخية، لتعالجها برؤية واقعية معاصرة مفيدة من تقانات السرد وإمكاناته التخييلية.

وهذا ما مثلته رواية (قواعد العشق الأربعون)[3] للكاتبة التركية أليف شافاق التي جعلت البنية السردية عبارة عن خريطة تم وضعها في إطار بنائي ذي رؤيتين إحداهما رؤية فلسفية ترى الوجود مبنيًا على العناصر الأربعة (التراب الماء النار الهواء) مضيفة إليها العدم لتكون الرؤية الثانية التي انبنت عليها الرواية رؤية مادية تاريخية تؤكد أن الزمن لا نهائي أو هو في الأصل تزامني باعتبار أن الوجود مبني على قانون ديالكتيك الأضداد فلا مجال للثبات إلا بوجود التغيير وهذا التضاد هو أساس الاستمرار ولهذا صارت الحياة صخبًا وهدوءًا حربة وهجودًا خيرًا وشرًا.. وعلى أساس هاتين الرؤيتين توزعت فصول الرواية في أجزاء خمسة تمثلها عناصر الكون الفيزيقية (الهواء/ الماء/ التراب/ النار) مضيفة إليها عنصرًا آخر هو العدم:

الجزء الأول: الأرض الأشياء التي تكون صلبة متشربة وساكنة.

الجزء الثاني: الماء الأشياء السائلة تتغير ولا يمكن التنبؤ بها.

الجزء الثالث: الريح الأشياء التي تتحرك تتطور وتتحدى

الجزء الرابع: النار الأشياء التي تدمر وتحطم.

الجزء الخامس: العدم الأشياء الموجودة من خلال غيابها.

ثم ينقسم كل جزء إلى فصول تحمل أسماء السراد أو المسرودين بالتناوب ما بين قصتين القصة الأولى تاريخية تستحضر سيرة المتصوف الإسلامي جلال الدين الرومي الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي ويعده بعضهم شكسبير العالم الإسلامي وأما القصة الأخرى فمتخيلة محورها مخطوط هو عبارة عن مسودة لرواية عن جلال الدين تحمل اسم (الكفر الحلو).

وسيكون هذا المخطوط هو الأمر الأول الذي منه تشرع الرواية في سحب التاريخ إلى منطقة الواقع بعد أن تتحدد مهمة بطلة القصة (ايلا) في تقييم هذا المخطوط وبيان مدى صلاحيته للنشر أما الأمر الثاني فهو الصداقة التي هي ثيمة مركزية مشتركة بين القصتين السيرية والتخييلية. والصداقة هنا ليست بمعناها الضيق وإنما بالمعنى

معلومات عن الكتاب:

الكتاب: "قواعد العشق الأربعون"

المؤلف: إليف شافاق

تاريخ النشر: 2012

الناشر: طوى للثقافة والنشر والإعلام

عدد الصفحات: 511 صفحة

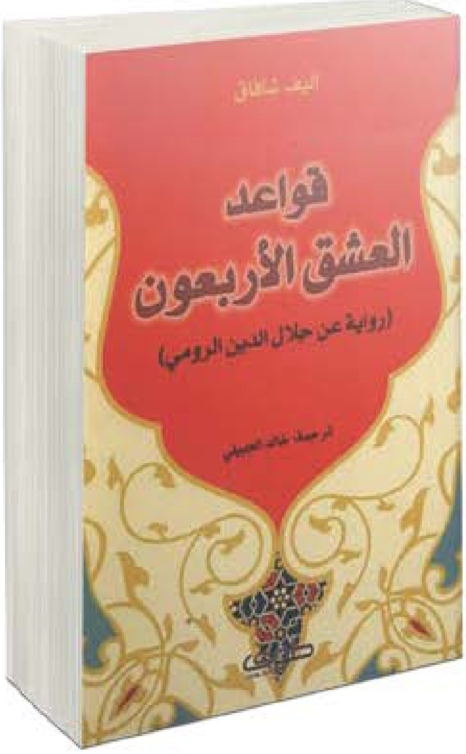
الرقم المعياري الدولي للكتاب ISBN: 13: 9786000274122

الشمولي المهتم بما وراء الوجودي الذي يتعدى حدود الجنوسة ومديات الأمكنة ومحددات الزمان .. لتغدو الصداقة هي تلك العلاقة النورانية الاشراقية بمعناه الفيزيقي والميتافيزيقي مجسدة في العشق الصوفي المتنزه عن الماديات والمحلق في اللامرئيات والمتعاطي مع الوجود والعدم بتجليات خاصة وعرفانية ترقى بالعلاقات الإنسانية ما بين (ايلا وازهارا) و(شمس التبريزي وجلال الدين الرومي) حيث لا فارق بين جنس وآخر وفئة وأخرى وهذا ما سيضيئ المناطق المعتمة داخل النفس ويشع على ما حولها بالعرفان" توجد في هذا العالم صداقات قد تبدو غير مفهومة للأشخاص العاديين لكنها في حقيقة الأمر تشكل قنوات تفضي إلى حكمة هي بصيرة أعمق". الرواية/ 307

ولو أن الرواية اقتصرت على سرد سيرة الصوفي جلال الدين الرومي لكانت رواية تاريخية وعند ذاك لن تتعدى مهمة السرد عملية اجترار السيرة التاريخية وتكراريتها وستكون المحصلة هي التمجيد أو التذكير بسيرة شاعر من القرن الثالث عشر الميلادي كأعظم زعيم روحي مبجل في التاريخ الإسلامي، لكن الكاتبة أليف كانت على دراية أن ما تريد طرحه في الرواية يتعدى حدود الفهم الكلاسيكي للتاريخ إلى فهم ما بعد حداثي يطرح المسلمات جانبًا ويتعامل مع التاريخ بوصفه مسرودًا مدونًا لا غير.

ولذلك وزعت خارطة السرد بين سرد ذاتي وآخر موضوعي مما جعل الرواية متعددة الصوت بوليفونية إذ ليس فيها بطولة فردية لأن كل سارد من السراد هو بطل مثل البغي وردة الصحراء وسليمان السكران وكيميا الفتاة الطيبة وحسن المجذوم والقاتل رأس الواوي والمقاتل بيبرس والتلميذ وسلطان ولد وعلاء الدين.. وكل هؤلاء السراد يتولون السرد بضمير الأنا ولا يتدخل أي راوٍ في ذلك بينما تسرد القصة المتخيلة بسارد موضوعي باستعمال ضمير الغائب من أول الرواية إلى آخرها.. وقد اسهم تداخل بنية المحكي المعصرن ببنية المحكي التاريخي في أن يصادر الساردان الذاتي والموضوعي دور المؤلف والمسرود له، فلم يظهر لهما دور البتة.

وهذه الأصوات الساردة والمسرودة ما كان لنا أن نراها ونشعر بمآسيها وهول أدوارها لولا محكي التاريخ الذي قلب هامشيتها إلى مركزية فكشف لنا حياتهم الهامشية وما كان يقع عليها من قمع الساسة وجورهم وحيف الحكام والسادة ومقدار المعاناة التي تحملوها لنعرف عندها كم أغمط التاريخ الرسمي حقهم وأقصاهم في مقابل تركيزه على



الشخصيات الحكيمة والمؤثرة اجتماعيًا وسياسيًا ودينيًا جاعلاً منها الأهم والأساس.

والرواية اعتمدت البناء الدائري فقد بدأت من النقطة التي انتهت بها وهي مقتل شمس التبريزي على يد رأس الواوي ليتم بعد ذلك استرجاع الأحداث "مضت الآن أربع سنوات منذ أن طعنته في ذلك الفناء وألقيت بجسده في البئر". الرواية/19

وإذا كانت الرواية قد اعتمدت سرد سيرة جلال الدين الرومي، فإنها كذلك تعدت السيرة التاريخية إلى ما يجاورها ويوازيها من أمور تاريخية تتعلق باطلاعنا على أساليب العيش وأنواع الغذاء وأنماط التنقل والتدريس والأزياء وأساليب مواجهة الأعداء وما كان الناس يخافونه ويثير قلقهم ويهدد حياتهم في ذلك العصر وغير ذلك من نواح تتصل بطبيعة الحياة آنذاك.

وهذه لوحدها فلسفة فليس المهم الحكام بل المحكومين وما كان للرواية أن تتجه صوب سيرة مريدي الصوفية إلا لأجل استطلاع واقع العوام من الناس وأحوالهم لا سيما المتسولين والمجاذين والبغايا والسكارى والمجذومين من ضحايا الحروب والفساد والظلم الذين لم يعطهم المجتمع آنذاك استحقاقهم الإنساني ولذلك لم ينصفهم التاريخ ولم يقر بدورهم في صنعه فقمعهم وسكت عن التوثيق لهم.

ولقد حاولت الكاتبة الدخول إلى تفاصيل حياتهم المعيشة فعرضت أخطاءهم التي انحدرت بهم إلى الحضيض وكيف أن الواقع لفظهم بدلاً من يقوم بإصلاحهم .. ولعلها نجحت في محاولتها، حين كشفت كيف استطاع شمس التبريزي إصلاح البغي وردة الصحراء كما رسمت الطريقة التي بها عقلن الرومي نهج سلمان السكران حتى عرف هذا الأخير حقيقة قدراته وإمكانياته كما كشفت عن البواطن النفسية للذات المؤنثة مثل كيميا الفتاة التي تتلمذت التصوف على

يد التبريزي فوقعت في حبه فكانت مأساتها ناتجة عن تعارض ماهية الحب وروحانيته وكذلك كيرا المرأة المسيحية التي تدخل في الإسلام لتكون الزوجة الثانية للرومي والتي تقع فريسة تخطي الهوية ما بين الديانتين وبذلك تكون الشخصيتان قد واجهتا الأزمة نفسها متمثلة في حلم الأنثى بالتحرر والمشاركة في ظل مجتمع يرفض هذا الحلم ويزدريه.

ومما عزز الفكر في أعماق الواقع للقرن الثالث عشر الميلادي فكرة أن التصوف لم يكن مجرد تأمل يوتوبي خارج إطار الواقع أو غوص حلمي في متاهات اللاوجود وإنما هو تحكيم العقل بالمنطق بهدف العودة بالمزيف إلى الأصل وتدعيم القلب بالعقل وهو ما عمل عليه التبريزي والرومي ومن قبلهم الفلاسفة والمتصوفة من أمثال ابن عربي ورحلته التي ما كانت لغاية فردية أو هدف شخصي وإنما كانت لأجل الإنسانية وتدعيم عرى جمالياتها..

ولعل هذا هو السبب الذي دفع التبريزي لأن يقصد الرومي كمريد على الرغم من إنه كان عنده شيخًا انطلاقًا من فكرة أن المؤمن مرآة المؤمن وأن المحبة أساس المؤمن وإن حقيقة الفلسفة ليست مثاليات بعيدة عن واقع الحياة بل هي الخوض في دنيا الوجود لكشف حضيضها ومعرفة حقيقتها..

ولا غرو أن هذه الرواية الفكرية توطن مفاهيم التسامح والانفتاح والتعايش الحر والتفاعل الخلاق والحوار المتبادل فالإذعان مثلاً ليس ضعفًا والبحث عن مريد هو الرغبة في المعرفة حتى وإن تطلب ذلك أن يصبح المعلم مريدًا لتلميذه وهذا ما جعل شمس التبريزي خادمًا للرومي "وهو الذي أراد أن يكون خادمه" وهو الذي أدرك أن رحلته للرومي ستنتهي بفنائه مثل دودة القز التي عليها أن تقتل نفسها لتنتج حريرها "أن دوره في هذه القصة يشبه دودة القز وينسحب هو والرومي إلى شرنقة العشق الإلهي ولن يخرجا منها إلا عندما يحين الوقت وينسج الحرير الثمين لكن في النهاية لكي يعيش الحرير يجب أن تموت دودة القز". الرواية/122

حتى إذا تمكن التبريزي من اصطياد قواعد العشق الأربعين تأكد له أن الرومي ليس فيلسوفًا عقلانيًا حسب وإنما هو شاعر "لقد أصبح لديك قلب يترنم بدلاً من عقل خطيب". الرواية/ 302 وهكذا صار الرومي شاعرًا له ديوان شعر معروف بالمثنوي..

ليغدو الشعر هو الخيط الذي يوصل إلى المحبة والجمال ومع موت كل شمس تبريزي يظهر شمس جديد في عصر مختلف باسم مختلف فالأسماء تتغير وتأتي وتذهب لكن الجوهر يبقى ذاته "يظن الرومي إنه لا يمكن أن يكون شاعرًا لكن يوجد شاعر في داخله شاعر رائع وقد برز ذلك الشاعر الآن نعم إن الرومي على حق فهو ليس من الشرق ولا من الغرب إنه ينتمي إلى مملكة الحب إنه ينتمي إلى المحبوب". الرواية/270

أما الرقص فهو الآخر لن يخلص النفوس من آلامها فكانت الرقصة التي ابتدعها الرومي هي الرقصة التي ما

أما غايتها من الجمع بين قرنين مختلفين الثالث عشر الميلادي والحادي والعشرين الميلادي فكانت تصوير كيف أن الصراعات الدينية وسوء الفهم الثقافي الذي تجسد في احتلالين شهدتهما بغداد الأول مغولي والآخر أمريكي لن يتحقق لهما الإصلاح إلا بالرجوع إلى النفس وتهذيبها بالعشق

زال الدراويش يمارسونها في جميع الأزمنة وهي الرقصة التي ستؤديها ايلا لتنتهي الرواية بتوكيد لازمنية العشق ولا نهائية تمثيله، وأن لا حدود للإيمان لتكون القاعدة التاسعة والثلاثون "مع إن الأجزاء تتغير فإن الكل يظل ذاته .. لأنه مقابل كل صوفي يموت يولد صوفي آخر في مكان ما من العالم. فإذا انفصلت حلقة منها حلت محلها حلقة أخرى في مكان آخر ومع موت كل شمس تبريزي يظهر شمس جديد في عصر مختلف باسم مختلف إن الأسماء تتغير تأتي وتذهب لكن الجوهر يبقى ذاته". الرواية/492

وبذلك نجح شمس في أن ينقل التصوف إلى واقع عملي ينزل إلى الأسواق والحانات مصلحًا حال البغايا والشحاذين واللصوص والمومسات ومؤديًا غرضًا قد لا تؤديه المثالية بطريقة عملية وواقعية من على المنابر أو الصوامع.

وقليلاً ما تستدعي الكاتبة في سردها التخييلي وثائق من التاريخ المروي تدعم بها محكي التاريخ ولكنها اعتمدت التأرخة كمنزع مذكراتي عنياتي تفتتح بها كل فصل بالتاريخ الميلادي بالشهر والعام لكنها نسيت أن التقويم الإسلامي كان هجريًا قمريًا لا شمسيًا كما وردت في تضاعيف السرد ألفاظ لم تكن متداولة زمن الرومي مثل الحشاش والذكورة والأنوثة "توجد في داخل كل رجل درجة من الأنوثة". الرواية/290

وقد أفادت من السرد بطريقة الرسائل الإلكترونية متلاعبة بالزمن والتضافر السردية ولم تخل الرواية من الاستباق الزمني "ذات يوم ستعرف بصوت الحب في الشرق والغرب سيجد الناس الذين لم يروا وجهك قط إلهامًا في صوتك .. ستكون يا صديقي أحد أجمل الشعراء الذين سيعرفهم العالم". الرواية/304

أما غايتها من الجمع بين قرنين مختلفين الثالث عشر الميلادي والحادي والعشرين الميلادي فكانت تصوير كيف أن الصراعات الدينية وسوء الفهم الثقافي الذي تجسد في احتلالين شهدتهما بغداد الأول مغولي والآخر أمريكي لن يتحقق لهما الإصلاح إلا بالرجوع إلى النفس وتهذيبها بالعشق فهل يعني هذا إن الخانقاه هي المخرج؟ أو إن التكايا والتصوف وحلقات الرقص والدروشة هي التي ستحل أزمة الوجود؟.

إن ما أقدم عليه شمس الدين التبريزي في رحلته من بغداد إلى قونية بحثًا عن مريد جليل لم يكن بحثًا عن مزيد من التأمل والتصوف بقدر ما كان بحثًا عن مخلِّص يخرج العالم من الظلام إلى النور وتوكيد لدور المعرفة التي ستظل في حلقتها دائرية لا نهاية لها ولا رأس لها ولا ذيل إذ لا نقطة فيها للابتداء أو الانتهاء.

وهذا ما حدسته ايلا أيضًا حين أهداها زوجها بطاقة عيد الفالانتاين قرأتها أشبه بنعي "فأنت تنسيها هذا ما سيكتبونه عني عندما أموت". الرواية/10 .. إنها عرفت إن الثبات والحياة العادية لن تديم الحب بل تقتله وإن لا بد من المجاهدة في سبيل قيم الحب والعشق الحقيقي وفي هذا تلاق مع ما رآه جلال الدين الرومي عن الجهاد الداخلي الذي فيه تستعيد الحياة توازنها وقد غالبت النفس والهوى "في واقع الحال لم تكن هناك نهاية فبعد مضي زهاء ثمانمائة سنة لا تزال روح شمس وروح الرومي تنبضان بالحياة حتى يومنا هذا تدوران في وسطنا في مكان ما". الرواية/32

وبهذا انبعث ايلا نداء القلب لتصل إلى الحكمة التي لا تترشح بضغط الواقع ومنغصاته فوقعت في علاقة حب من نوع خاص مع كاتب مخطوطة سيرة جلال الدين الرومي متأثرة بطريقته الصوفية في العيش التي نقلته من حياة الرذيلة إلى فضاء الفضيلة ومن الإيمان إلى التعرف ومن اللافاعلية إلى الفاعلية الاجتماعية ومن بوهيمية العيش ولا أدريته إلى حياة الإشراق الذي هو بوابة الصدق والحقيقة.

وكأن الفلسفة ما عادت هي المنطق بل هي اللامنطق في التحرر والخلاص .. وهذا ما خلصت إليه القاعدة الأربعون "لا قيمة للحياة من دون عشق لا تسأل نفسك ما نوع العشق الذي تريده روحي أم مادي إلهي أم دنيوي غربي أم شرقي فالانقسامات لا تؤدي إلا إلى مزيد من الانقسامات ليس للعشق تسميات ولا علامات ولا تعاريف إنه كما هو نقي وبسيط العشق ماء الحياة والعشيق هو روح من النار يصير الكون مختلفًا عندما تعشق النار الماء". الرواية/500

وبهذا تكون (قواعد العشق الأربعون) قد جمعت العناصر الأربعة الطبيعية في رواية ما بعد حداثية، استعانت بمحكي التاريخ، واعتمدت تعددية الصوت السردي مع تناوب السرد الذاتي والموضوعي وهذا ما سمح بالمشاركة السردية بين شخصيات العمل الروائي التاريخية والمتخيلة معًا، ومن منظور ليبري مدّ التاريخ إلى الواقع، كما جعل الواقع متصلاً بالتاريخ.

المراجع:

1 - حديث النهايات فتوحات العولمة ومأزق الهوية، علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 19/2004

2 - المرجع نفسه/190

3 - قواعد العشق الأربعون رواية عن جلال الدين الرومي، أليف شافاك، ترجمة خالد الجبيلي، دار طوى للثقافة والنشر والإعلام، لندن، طبعة أولى، 2012

هذا الربيع

تماضر بنت عبدالله الحمد

السعودية

وتأت إلينا مُحمَّلةً
كفوفَكَ بالزهر والزنجبيلْ

تقولُ: أتيْتُ وراح الشِّتا،
أقولُ: فداكَ الربيع الجميلْ!

سنشرب شايًا وننشدو معًا
ونعجن كعك الغياب الطويلْ

سنذكر جفو الشتاء المْضى،
وأقسمُ أن الشِّتا سلسبيلْ!

وَإذْ جئتَ لا وقت إلاكَ، ما
يكونُ العِشا؟! ما يَكُونُ الأصيلْ؟!

سننهض في مشْرقِ الذكريات
ونغفو على مْغربِ الألف قيلْ

وشمسكَ غيداء! هلْ قلتَ لي،
خيال اللِّقا؟ أم لقاء الخليلْ؟

على كل قلب تميل النجوم
إلى الشمسِ قلب الندامى يميلْ

موت الحكاية في حكاية الموت:

"ذات فقد" لأثير عبد الله أنموذجاً



عبد الله زمزكي

المغرب

أثير عبدالله النشمي كاتبة سعودية شابة، حققت شهرة مستعجلة في غضون ثماني سنوات، بعد أن صدرت لها عن دار الفارابي ببيروت أعمال روائية عديدة؛ كان أولها رواية "أحببتك أكثر مما ينبغي" سنة 2009، التي تجاوز عدد طبعاتها تسع عشرة طبعة، تلتها رواية "في ديسمبر تنتهي كل الأحلام" سنة 2011، التي طُبع منها ما يناهز عشر طبعات، وبعدها أصدرت رواية "فلتنفري" سنة 2013، وتجاوزت أيضًا عشر طبعات، ثم رواية "ذات فقد" سنة 2016 في طبعتين اثنتين. وصدرت لها عن دار الساقي رواية واحدة هي "عتمة الذاكرة" في طبعة رابعة سنة 2016. هذا الانتشار الواسع الذي حققته أعمال هذه الكاتبة هو ما دفعنا إلى وقفة موضوعية مع إحدى هذه النصوص، لملامسة سر هذه الشهرة مقارنة مع قيمة أعمالها.

تحكي الكاتبة في روايتها "ذات فقد" عن قصة امرأة اسمها "ياسمين" عانت اليتم والفقد منذ طفولتها، بسبب موت والدها فجأة إثر حادثة سير، وتعيش بعد ذلك في عزلة وتعاسة مستمرتين مع أمها وشقيقتيها بمدينة الرياض، إلى أن تزوجت بـ"مالك" الذي تعرفت عليه بشكل عابر. لكن سرعان ما تعود بها الأقدار إلى دوامة الفقد والتعاسة، لتفقد هذه المرة حب زوجها الذي يخونها مع نساء أخر أكثر من مرة، فتقرر ياسمين بعد ذلك الرحيل من بيته تاركة إياه. لكن القدر أرادها عكس ذلك، إذ ستكتشف قبل رحيلها بقليل أنها حامل من "مالك"، وتضطر للبقاء معه واجترار المهانة في سبيل ابنها "نهار" الذي أحبته، لكنه يتركها هو الآخر في أشهره الأولى ليموت غرقًا في مسبح الدار.

هكذا يمكن تلخيص أحداث الرواية بعد جهد كبير لجمع أشتاتها في ثنايا النص، فهي ضائعة بين كثرة التأملات المستفيضة حول الموت والحب والألم والأمومة وغيرها من الموضوعات، وبين استطرادات جانبية لا علاقة لها -أحيانًا- بالأحداث التي تقع في النص. وقد تبين لنا أن النص فاقد لكثير من مظاهر الجودة، ويرجع ذلك إلى مستويات أربعة، هي: غياب الانسجام بين الأحداث، وانعدام التفاعل بين الشخصيات وبين ما يقع من أحداث، وعدم تأثير البعد الزماني والمكاني في مسار الأحداث، ثم افتقار النص إلى لغة فنية مهيمنة تشد القارئ إليها.

تنافر الأحداث:

إن رواية "ذات فقد" تفتقر إلى انسجام الأحداث وتضيدها وتناسقها في ما بينها، إذ النص الروائي عادة ما يعج بأحداث وتفاصيل كثيرة متداخلة ومترابطة فيما بينها يؤدي بعضها إلى بعض بشكل يصعب معه الاستغناء عن أي حدث كيفما كان في القصة، فأي تغيير في أي حدث يؤدي حتما إلى انهيار بناء القصة أو تشوهه. وهذا أمر لا نجده نهائيًا في رواية "ذات

فقد".

ويمكن حصر مضمون هذه الأخيرة في أربعة أحداث رئيسة تشكل عمود القصة، وهي حسب ترتيبها الزمني في النص:

- موت أب "ياسمين"، وهي ما زالت طفلة، بسبب حادث سير مفاجئ.
- لقاء "ياسمين" بـ "مالك" في بيروت صدفة، وزواجهما المباغت.
- حمل "ياسمين" بابنها الذي فاجأها وزوجها، وولادة "نهار" الغير منتظرة.
- موت الصغير "نهار" فجأة بعد أن غرق في مسبح الدار.

فهي أحداث رئيسية مفرقة، يسرد كل حدث منفصلاً عن الآخر، بل إن الصدفة والمفاجأة هي التي تصنع الأحداث، وليس الأحداث هي التي تتفاعل ويتنج بعضها بعضًا. فكل حدث تفصله عن حدث آخر تأملات مستفيضة في موضوع الموت، أو الحب، أو الأمومة، أو غيرها.

وبين الفينة والأخرى تقحم الكاتبة أحداثًا جزئية لا دور لها في البناء السردي للنص، فبشكل مفاجئ تحدثنا "ياسمين" عن ولهها بالموسيقى ورغبتها الشديدة في امتلاك جهاز "بيانو"، ثم عن رغبتها في اللقاء بصديقاتها في الدراسة ودعوتهن للعشاء في أحد المطاعم في نفس الآن.

فأي علاقة إذن بين حديث "ياسمين" عن إخبارها لأمها بحملها من مالك، وبين شراء زوجها لها "البيانو" الذي أصرت على امتلاكه، وبين دعوة صديقاتها للعشاء خارج المنزل، سوى أن الكاتبة تكتب فقط من أجل الكتابة، وتجعل الصدفة والمفاجأة سببًا لكل أحداث روايتها.

تفاعل الشخصيات:

ترسم الكاتبة أثير عبد الله، شخصيات روايتها وتوزعها في ثنايا النص بشكل عشوائي، حيث لا تفاعل لهذه الشخصيات مع ما يقع في محيطها، فالأحداث التي جرت في الحكاية إنما وقعت بمحض الصدفة ولم تساهم الشخصيات في إيجادها أو تغيير مسارها، ولم تؤثر في وقوعها أو تتأثر بوقوعها، باستثناء "ياسمين" الساردة التي تسافر وتفكر وتعزف وتنام وتستيقظ وتخرج وتدخل ويؤثر فيها كل شيء.

إن شخصيات النص لا تأثير لها في ما يقع، فكلها ظهرت مرة واحدة في النص كله من خلال ورود أسمائها على لسان الساردة دون أن تعطيها ولو وصفًا واحدًا، باستثناء الأم و"مالك"، اللذين ظهرا بضع مرات، عن طريق إقحامهما في حوارات مقتضبة، سرعان ما تنتهي دون سبب أو نتيجة. فالرواية انتهت دون أن نعرف شيئًا عن أي شخصية، فحتى زوجها "مالك" لا نعرف ما كانت وظيفته، وما علاقته بأسرتها، وأين يقضي وقته خارج العمل، وغير ذلك.

جدوى الزمان والمكان:

تكاد الكاتبة أثير عبد الله تستغني في روايتها "ذات فقد" عن عنصري الزمان والمكان، فأقل ما يمكن قوله في هذا الجانب أن القصة جرت في اللازمان واللامكان، حيث تحس، وأنت تقرأ الرواية منذ بدايتها حتى نهايتها، وكأن الساردة تتذكر ما جرى في حياتها وتتأمله وهي تلازم مكانًا واحدًا في زمن واحد، لولا بعض الحوارات التي تجريها مع "مالك" أو مع أمها بين الفينة والأخرى، التي توحي لك بأن هناك تحول ما في زمن وقوع الحدث أو مكانه.

معلومات عن الكتاب:

الكتاب: "ذات فقد"

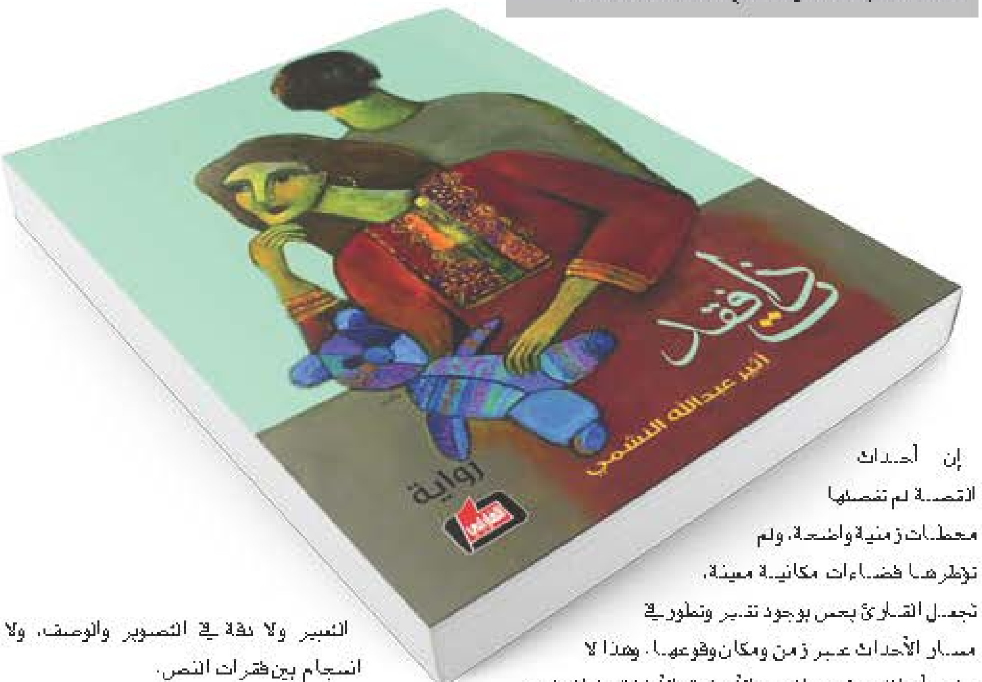
المؤلف: أثير عبد الله النشمي

تاريخ النشر: 2016

الناشر: دار الفارابي للنشر والتوزيع

عدد الصفحات: 164 صفحة

ISBN الرقم المعياري الدولي: 9786144325377



إن أحداث القصة لم تفصلها محطات زمنية واضحة، ولم تؤطرها فضاءات مكانية معينة، تجعل القارئ يحس بوجود تغير وتطور في مسار الأحداث عبر زمن ومكان وقوعها. وهذا لا يعني أن النص كله خال من الأزمنة والأمكنة، بل إنه ليس هناك أي تحول زماني أو مكاني في القصة، ولا تؤثر هذه الأمكنة والأزمنة في أحداثها ولا في شخصياتها، إنما ذكرت اعتباطيًا على لسان الساردة.

فإذا تتبعنا المسار الزمني لحياة "ياسمين" مثلاً نجد فراغات شاسعة في حياة هذه الشخصية، يصعب معها فهم القصة وتتبعها، فـ "ياسمين" طفلة فقدت أباها فجأة، وتزوجت "مالكًا" فجأة، وأنجبت "نهارًا" فجأة وفقدته فجأة. فهل الطفلة قضت بقية طفولتها في المزرعة أم عادت إلى بيت أبيها في الرياض، ومتى عادت إن كان الأمر كذلك، هل كانت تدرس وأين كانت تدرس، متى تزوجت من "مالك" وأين، وكم كان عمرها عند الزواج، والقارئ يعرف أن لقاءهما في بيروت كان عابرًا، ثم هل "مالك" يقطن ببيروت أم بالرياض أم بمكان آخر، كم كان عمرها لما أنجبت "نهار"؟

وبالتالي فالزمان والمكان في نص "ذات فقد" لا جدوى منه، ما دام لم يوظف بشكل يؤثر في مسار السرد وتحولاته، ولهذا فالنص يظهر كأنه مقطع سردي واحد، يغيب فيه التعاقب والترابط الزمنيين بين الأحداث، وتغيب فيه الفضاءات المكانية التي تؤطر النص وتمنحه وجوده الفعلي، وتساهم في تحريك وتوجيه الشخصيات والأحداث وفق مسارها السردي.

اللغة والأسلوب:

لم تقتصر العشوائية والارتجال على طريقة بناء القصة وسرد أحداثها واختيار شخوصها في رواية "ذات فقد"، بل طال ذلك أيضًا لغة النص وأسلوبه، فقد وظفت الكاتبة لغة جافة مبتذلة لا لذة فيها ولا متعة؛ خالية من أي جمالية في التعبير ولا دقة في التصوير والوصف، ولا انسجام بين فقرات النص.

وتختلف تجليات رداءة لغة هذا النص من ركاكة في التعبير، وغياب وصف دقيق لفظًا ودلالة، ووجود أخطاء لغوية أحيانًا، ناهيك عن غياب انسجام وتناسق بين فقرات النص الناتج عن "سوء التخلص" من موضوع لآخر، وتكرار عبارات محددة في بداية أغلب فقرات النص. فقد كان من المنتظر أن نقرأ لغة شعرية جميلة تتلألأ روعة ورونقًا، خاصة وأن النص يتناول موضوعات نفسية وجدانية، لكن الأمر لم يكن كذلك.

إن المطّلع إذن على الروايات الثلاث "أحببتك أكثر مما ينبغي" و"فلتغفري" و"ذات فقد"، سيدرك لا محالة أن الكاتبة أثير عبد الله النشمي تزداد كتاباتها السردية رداءة كلما تقدمت في الكتابة، ويظهر ذلك جليًا في روايتها الأخيرة "ذات فقد" على مستويات عدة؛ إن على مستوى أحداث القصة أو عناصرها السردية على مستوى اللغة، إلى درجة تجعلك تشك أحيانًا أن التي كتبت هذا النص قد حققت أعمالها هذا الصيت الواسع.

فيكفي القول إن لغة هذا النص لا ترقى إلى اللغة الأدبية المعهودة في النصوص الروائية، إذ يبدو أن الكاتبة أثير عبدالله إنما تطلق الكلام على عواهنه، وتكتب كل ما يخطر لها على بال، دون أن تكلف نفسها عناء تنقيح نصها وصقل لغة كتابتها، وإزالة ما يعكر رونقها وجمالها من شوائب التكرار والاستطراد والأخطاء أحيانًا، لكن كيف وهي التي وصفت جنينًا صغيرًا ولد لتوه في الصفحة (84) بقولها: "كان جميلاً بشعره الأدكن الكثيف، وبفمه الصغير وحاجبيه الرفيعين".



تأملات في رواية "على هامش السيرة" لطه حسين



د. علي بن محمد العطيف

أستاذ الحديث والدراسات العليا
بجامعة الملك خالد

يُعد طه حسين[1] من أوائل من سلك مسلك القصة والرواية إبان مطلع النهضة الحديثة في كتابه على "هامش السيرة" بأجزائه الثلاثة في النصف الأول من القرن العشرين، مبتغيًا توضيح بعض الجوانب في التراث الإسلامي، وإثراء الذوق الفني لدى المتلقي العربي.

مصادره:

اعتمد طه حسين فيما قدمه على قراءاته في سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد، وتاريخ ابن جرير الطبري، وغيرها من المصادر التي يمكن أن تعينه على ذلك.

وربما كان اختياره على "هامش السيرة" عنوانًا لهذا العمل دالاً على كيفية تأليفه له، فهو لا يريد أن يتعمق في السيرة وأحداثها، كما لا يريد أن يفصل فيها، لأنه كما يقول لا يريد أن يقدم علمًا ولا تاريخًا[2]، وإنما هي صورة انطبعت في نفسه فأراد أن يقدمها للقارئ [3].

جاءت هذه الرواية في ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول منها: استغرق معظمه في الحديث عن زمن الجاهلية، وانتهى بالحديث عن اليتم والحاضنة والمراضع، وقد جاء في ذلك ما يمكن أن يكون موضع نقاش ورد، وسببه:

جهله الكبير بطرق إثبات الأخبار، والنظر في المرويات، وكأن عنده: صح ما اشتهر، ولذا نجد كتابه مشحونًا بالمرويات والأخبار الباطلة والمكذوبة.

ومنها: خياله الواسع، وشغفه لربط الأحداث بعضها ببعض بأي وجه كان.

ومنها: وهو يعتبر نتيجة للسابق، أنه انتحل شخصيات وهمية، وغير موجودة في الروايات التي اعتمد عليها.

أما الجزء الثاني: من الرواية فجاء حافلاً بالحديث عن الأدب اليوناني، ويبدو أن انبهار طه حسين بالأدب اليوناني انعكس في هذا الجزء من روايته، فعرض لآلهة اليونان، وتحدث عن (أبولو) و(المريخ) و(أرتيمس) وغيرها، فقد كان الكاتب يعتقد أن الأدب العربي مدين للأدب اليوناني، فضلاً عن أنه قد ترجم بعض نصوصه إلى العربية (أوديب ملكًا).

وبداية ستجد طه حسين يكتب أحداث السيرة ومواقفها في شكل قصة يختار لها عنوانًا من عنده لافتًا للنظر، مثل: حفر زمزم، والفداء، والإغراء، والبر، وذو الجناحين، والوفاء المر... وغيرها.

ثم يصوغ المواقف والأحداث صياغة قصصية في تصاعد ونمو، حتى آخر موقف وآخر كلمة في هذه القصة.

وقد ضربت صفحًا عن هذين الجزأين من كتابه والتي تعد مثار جدل ونقد عقدي كبير ليس هذا مجاله، ولكن رأيت أن الجزء الثالث الأجدر بالبحث والدراسة، ووجدت أنه الأقرب إلى الحديث عن السيرة النبوية، وأنه يمهد لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم وبزوغ نور الرسالة.

ومن هنا ركزت على الجزء الثالث من هذه الرواية فجعلته مدار الدراسة...

بدأ الكاتب الجزء الثالث من روايته بحوار مطول بين الوليد بن المغيرة وبين ابن أخيه الفتى عمرو بن هشام ليظهر ما كانت عليه حال قريش من الاضطراب والفوضى والفساد، وليمهد لبزوغ نور النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جاء ليخلص القوم مما عصف بهم.

الاهتمام البالغ بالشخصيات والأحداث:

الشخصية الأولى:

ويمكن أن نضرب مثالاً يوضح ذلك: وهي قصته "صريع الحسد" التي يتناول فيها شخصية عمرو بن هشام بن المغيرة المسمى بأبي الحكم، والمشهور بأبي جهل، وقد كان مشركًا وذا بأس في الجاهلية، وكان راغبًا في المعرفة، متطلعًا إلى مكانة بين قومه، ولذلك فقد حسد محمدًا صلى الله عليه وسلم وحقد عليه حقدًا شديدًا، لما كان يتمتع به في قومه من مكانة وحب وتقدير حتى لقبوه بالأمين.



إن حالة (عمرو) النفسية مزيج من المتناقضات: خيلاء وغرور مع قومه، وتواضع وإنصات مع الغرباء والحلفاء، يغشى دار نسطاس الرومي[4] للسكر والمجون حتى آخر الليل، ثم يذهب إلى دار ورقة بن نوفل في الصباح يستمد منه ما يجده من السمت وحكمة الكبار، وعلوم الأديان السابقة، وسمر العرب.

ولما سأله الوليد: "ما الذي يعجبك من نسطاس ومن ورقة؟"[5].

قال: "إني أجد عندهما الراحة من اللذة والألم جميعًا!"[6].

قال الوليد: "لقد شب عمرو على الطوق إني لأعرف فيك أنفة مخزوم وكبرياءها"[7].

بداية فيها من التشويق ما فيها، وقد أجاد الكاتب إذ جعلها مقدمة هذا الجزء.

التمهيد لنور محمد:

عمرو بن هشام يظهر حسده وكرهه لمحمد صلى الله عليه وسلم لحادثة وقعت بينهما (مزاحمة النبي صلى الله عليه وسلم له عند ابن جدعان)، وورقة بن نوفل ونسطاس يتهيآن لمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم، وورقة باق في مكة ليهيئ أهلها، ونسطاس يرحل عن مكة ليهيئ قومه الرومان. وفي الطريق إلى حانته في قريش عرض له شيخ أعرابي سمى نفسه (أبا مرة)[8]، لفت نظر الفتى عمرو، ويبدو أن (أبا مرة) هذا، جاء به في وقت اضطربت الحالة النفسية للفتى عمرو، فكانت مهيأة لاستقبال مزيد من التحريض على شخص محمد صلى الله عليه وسلم، وكان (أبو مرة) هو أداة التحريض، واستغلال اضطراب عمرو ابن هشام، حيث قال له: "وأما الأمر الذي أحببته منك أشد الحب، فبغضك لابن عبد المطلب، هذا الذي يسميه قومك (الأمين) ضعفًا منهم وخرقًا، وإنه لهم لمصدر البلاء كل البلاء، والشر كل الشر، والمحنة كل المحنة"[9].

وكأني بالكاتب يشعل نار الغيرة المقيتة، ويؤجج فيه حالة نفسية عارمة، تبدى ذلك في هذا الحوار المحتدم بين الشيخ

"الجزء الأول منها: استغرق معظمه في الحديث عن زمن الجاهلية، وانتهى بالحديث عن اليتم والحاضنة والمراضع، وقد جاء في ذلك ما يمكن أن يكون موضع نقاش ورد، وسببه: جهله الكبير بطرق إثبات الأخبار، والنظر في المرويات، وكأن عنده: صح ما اشتهر، ولذا نجد كتابه مشحونًا بالمرويات والأخبار الباطلة والمكذوبة."

والفتى، وحتى وصل الأمر بالفتى أن يقول للشيخ: "أبينك وبينه دم"؟[10].

حتى وصل الأمر بالفتى إلى أن يقول: "فأما الآن فلا والله ما أبغض أحدًا كما أبغض بني هاشم، ولا أجد من الضغن على أحد كما أجد على فتاهم هذا الذي يسمونه (الأمين)!"[11].

ويستمر مشهد قذائف النار: "هون عليك أبا الحكم؛ فإنك لم تبلغ من بغض هؤلاء الناس إلا أهونه وأيسره، ولتبلغن العداوة بينك وبينهم أقصاها، فإذا بلغت ذلك فاذكر أن صديقك أبا مرة ليس منك ببعيد"![12].

مشهد الحوار هذا، أبدع فيه الكاتب، فقد أجج حالة من البغض والحقد لا مثيل لها على لسان أبي مرة، إذ لم يترك للفتى فرصة لالتقاط أنفاسه، من وقع الضربات النارية التي ألقيت على رأسه، كلمات نارية تتلوها كلمات، في مشهد لا يهدأ.

هذا الذي بدر من الفتى، ذهب أدراج الرياح بفعل ذلك الشيخ (أبو مرة)! وكأني بالمؤلف يريد أن يقول: إن هذا الشيخ هو الشيطان عينه، نفث سمومه في هذا الفتى.

إن مما يلفت النظر في هذا الحوار، هذا السبك الفني الجميل، واللغة القوية في وصف الحالة النفسية لكلا الطرفين: الفتى والشيخ؛ فبعد كل جملة نارية يمليها الشيخ على الفتى، يقول له: اشرب! يسقيه لذة جسده، ليشبع نهمه، كما يسقي عقله بكلماته المحرضة.. فماذا سيكون يا ترى.. حال الفتى؟!

وهو بهذا يخط طريقة فنية خاصة به، يخرج فيها من أسلوب سرد بعض أحداث السيرة النبوية إلى جو آخر، ويوحي للقارئ بما أفرزته هذه الأحداث من شخصيات أثرت في هذه المسيرة المباركة، بل وصنعتها هذه السيرة العطرة.

وهي طريقة فيها انتقال مفاجئ، انفرد فيها عن باقي الروايات، فكانت نمطًا مختلفًا، خرج فيه عن الأسلوب التقليدي في التعريف بهذه السيرة النبوية.

الشخصية الثانية:

شخصية نسطاس الرومي يضاف إلى ذلك من الشخصيات الوهمية التي أوجدها طه حسين، ليساعد بها في إبراز جانب الشر في عمرو بن هشام، وفي الوقت نفسه يربط بين نسطاس وورقة بن نوفل كاشفًا عن تجاوبهما في معرفة أخبار الرسول المنتظر، تلك الأخبار التي كان يتصل عمرو بن هشام ببعضها فيتضاعف الحسد والحقد في نفسه ضد محمد.

ويدخل عليه شيخ رومي، يلقي عليه تحية الإسلام، مما يستثير خالدًا. ويطلب منه أين وكيف تعلم العربية؟

فيخبره الشيخ أنه يعرف أقرباءه، والده وابن عمه عمرو بن هشام.

فيقول له خالد: لقد صرعه الحسد والبغي وغرور الشيطان.

وفي الوقت ذاته يحمل إليه عكرمة بن أبي جهل شهيدًا، وبذلك يجتمع انتصار الحق، وانهزام الباطل، ويشهد الشيخ

"شخصية نسطاس الرومي يضاف إلى ذلك من الشخصيات الوهمية التي أوجدها طه حسين، ليساعد بها في إبراز جانب الشر في عمرو بن هشام، وفي الوقت نفسه يربط بين نسطاس وورقة بن نوفل كاشفًا عن تجاوبهما في معرفة أخبار الرسول المنتظر، تلك الأخبار التي كان يتصل عمرو بن هشام ببعضها فيتضاعف الحسد والحقد في نفسه ضد محمد."

الرومي هذا الانتصار العظيم للإسلام، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[13]، كما يرتبط ذلك بترديد الملائكة تحية لمن استشهدوا في سبيل الله قائلين لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[14].

وهكذا يوظف طه حسين آيات من القرآن الكريم في دعم بنائه القصصي للسيرة، وكذلك يتصل نسطاس الرومي مؤمنًا مسلمًا مذكرًا صديقه عمرو بن هشام الذي صرعه البغي والحسد والشيطان، كما تكون تلك نهاية منطقية فنية لقصة "صريع الحسد".

وقد حاول طه حسين فيها أن يتتبع نمو الحدث، وتصاعد خط الصراع الدرامي خلال عمله كاشفًا عن انتصار الحق، وانتصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفاع راية الإسلام، ونكوص راية الحسد والبغي والظلم والشرك.

الشخصية الثالثة في الرواية:

أما من الشخصيات التي احتفى بها الكاتب: حمزة (سيد الشهداء) رضي الله عنه، وحوار عن حمزة جعله الكاتب بين (الأمير) و(صاحب الأمير) وبين (الشيخ) الذي أحسن في الوصف حين تحدث عن استشهاد حمزة رضي الله عنه، حيث قال: "كان إسلامه عنيفًا، وكان بلاؤه في الإسلام عنيفًا، وكان مصرعه في الله عنيفًا، وكل ما ترك من حزن عليه ووجد به وحب له عنيفًا أيضًا"[15].

على أن أهم ما يمكن أن نستنتجه من قصة حمزة رضي الله عنه، التي ذكرها الكاتب على لسان الشيخ، ما قاله الأمير للشيخ في نهاية الحوار "بدأ أمر حمزة بالعنف، وانتهى إلى الرحمة واللين.. رحم الله حمزة؛ فما ينبغي أن يثير ذكره شرًا، وما ينبغي أن يثير ذكره إلا المودة والرحمة والنصح للمسلمين ولأمير المؤمنين"[16].

وهذا استنتاج جيد من الكاتب، تعليمًا لأمة الإسلام أحكام الله في هذا الموضع.

الشخصية الرابعة في الرواية:

ساق الكاتب في حديثه عن جعفر الطيار (ذي الجناحين) رضي الله عنه، مقدمة أدبية راقية، تنضح بالشوق والحنين، كأنها قطعة من شعر:

"أقبلت تسعى رويدًا رويدًا مثل ما يسعى النسيم العليل، لا يمس الأرض وقع خطاها، فهي كالروح سرى في الفضاء.

نشر الليل عليها جناحًا فهي سر في ضمير الظلام.

وهبت للروض بعض شذاها، فجازاها بثناء جميل."[17].

إلى أن قال: "ونفوس العاشقين كرات يعبث اليأس بها والرجاء، كحياة الدهر تأتي عليها ظلمة الليل وضوء النهار"[18].

ويبدو أن هذه المقدمة تناسب المقام.. فها هو جعفر رضي الله عنه، صاحب النفس الحلوة الهادئة - كما وصفه -، شارك أصحاب الدين الجديد المحنة والعناء... تجشم الأهوال، وأبى إلا أن تكون له أسهم في حسن البلاء واحتمال أثقال الجهاد.

إنها مؤتة.. المعركة الفاصلة.. فإذا جعفر رضي الله عنه يستلم الراية فيقاتل حتى تقطع يداه، وينبئه النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قد عوضه عن يديه جناحين مخضوبين بالدماء يطير بهما في الجنة.

جناحان طاهران مختلفان يناسبان ما بدأ به الكاتب مقدمته.. في الجنة كأن نفسه تغنى: أقبلت تسعى رويدًا رويدًا مثل ما يسعى النسيم العليل...

وهذا من جماليات الربط التي تناسب مقام هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه.

وعلى الرغم من إجادة الكاتب في هاتين القصتين، إلا أنهما لا تخلوان من إسهاب، وإن كان إسهاب جميل، ظهرت فيه قدرة الكاتب اللغوية على أن يكسو معانيه بألفاظ بديعة وجمل متناسقة السبك والربط.

الشخصية الخامسة في الرواية:

عداس النصراني، حيث أورد الكاتب بشأن حديث عداس[19] مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما دار بينهما من الكلام بعد عودته صلى الله عليه وسلم من الطائف[20].

وكما تقدم معنا في أكثر من موضع قلة بضاعة طه حسين في تصحيح الأخبار والآثار وتضعيفها، يجعله يورد مثل هذا، بل وأكثر، حيث يوجد في إسناد القصة ابن إسحاق، وابن إسحاق مدلس – كما هو مقرر عند علماء الحديث ونقاده – وقد عنعنه[21]، وبالتالي القصة بهذا الإسناد ضعيفة.

الشخصية السادسة في الرواية:

وحشي الحبشي رضي الله عنه[22]، قاتل حمزة -: وقد أورد بشأن نهاية وحشي الحبشي رضي الله عنه استقراره أخيرًا في حمص الشام، وأنه ختم حياته في شرب الخمر، على الرغم من أنه كان مسلمًا[23].

وقد بين العلماء ضعف قصة وحشي وتماديه شرب الخمر في آخر حياته بحمص، مع تصحيحهم لباقي القصة.

الشخصية السابعة في الرواية[24]:

حنظلة بن عمير الخزاعي، وفي مقام الحديث عنه، وفي معرض حديثه عن موت إبراهيم ابن محمد صلى الله عليه

وسلم، يورد هذا القول منسوبًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، على لسان الأمير الذي كان يتحاور معه حنظلة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي) [25].

الأدوات اللغوية والفنية التي استخدمها طه حسين في روايته:

أما لغة طه حسين القصصية: فهي السهل الفصيح، وهي الكلمة الشعرية كما يراها باختين.

كما يضاعف من أثر هذه اللغة في المتلقي استثمار أجزاء من ألفاظ القرآن الكريم فيها استثمارًا فاعلاً، ومثاله:

عندما يصف عمرو بن هشام وقد هدأت نفسه مع صاحبيه: شيبة بن ربيعة وعلي بن أمية فيقول: "حتى ثابت إليه نفسه، وسكت عنه الغضب" [26].

وكذلك وهو يصف حال عمرو بن هشام في أحد لقاءاته بورقة بن نوفل، وقد أخذ يخفي عنه بعض ما يعلم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول طه حسين: "فلما رأى الفتى منه ذلك سيء به وضاق به ذرعًا، وقال في شيء من الحدة: ويحك أيها الشيخ! إنك لشديد الكآبة منذ اليوم..." [27].

كما يجعل أبا مرة "يساقيه البغض والحسد والحقد لمحمد صلى الله عليه وسلم" [28].

ويتميز أسلوبه:

بالتصوير الفني، الذي يقرب السيرة للمتلقين، وييسر استيعابهم لها، ويستقر أثرها في نفوسهم، وقد تتضمن من العبارات ما يعد مصدر إثارة في رسمه للشخصية القصصية.

ويقدم طه حسين السيرة للمتلقين ميسرة جامعًا بين التأريخ والفن، ومحققًا للمتلقين بعض القيم الأخلاقية الإسلامية في بناء قصصي جذاب ومشوق.

وما ذكرته من هذه الروايات وأسلوبه الماتع في سوقها، لا يمنع من بيان وقوع الكاتب في مصيدة (الإسرائيليات)، فإنه لم يدقق فيما يورده من نصوص حديثية، وهو ما يعد من سلبيات هذه الرواية، إذ أن مثل هذه النصوص يمكن أن ينبني عليها أعمال فنية، أو درامية، أو سينمائية، لذا كان أجدى بالكاتب أن يتحرى الدقة والصحة في ذلك.

فضلاً عما أثير من انتقادات لهذا العمل الأدبي من احتفال بغيبيات، ذكر أن العرب قد آمنت بها قبل الرسالة النبوية، ومن هنا فقد غمز الباحثون مثل هذا العمل لهذا السبب.

المراجع:

(1) ولد طه حسين يوم الجمعة 15 نوفمبر سنة 1889م، في قرية الكيلو قريبة من مغاغة إحدى مدن محافظة المنيا في الصعيد الأوسط المصري وما مر على عيني الطفل أربعة من الأعوام حتى أصيبتا بالرمد ما أطفأ النور فيهما إلى الأبد.

وفي سنة 1902م دخل طه الأزهر للدراسة الدينية، والاستزادة من العلوم العربية، ونال شهادته التي تخوله التخصص في الجامعة.

ولما فتحت الجامعة المصرية أبوابها سنة 1908م كان طه حسين أول المنتسبين إليها، فدرس العلوم العصرية، والحضارة الإسلامية، والتاريخ والجغرافيا، وعددًا من اللغات الشرقية، وظل يتردد خلال تلك الحقبة على حضور دروس الأزهر والمشاركة في ندواته اللغوية والدينية والإسلامية.

ودأب على هذا العمل حتى سنة 1914م، وهي السنة التي نال فيها شهادة الدكتوراه وموضوع الأطروحة هو: "ذكرى أبي العلاء" تزوج من سوزان بريسو الفرنسية السويسرية. وكان لطه حسين اثنان من الأبناء هما: أمينة ومؤنس. وعيّن سنة 1925م بوزارة المعارف أستاذًا فيها للأدب العربي، فعميدًا لكلية الآداب في الجامعة نفسها، وذلك سنة 1928م.

وفي عام 1934م أعيد طه حسين إلى الجامعة المصرية بصفة أستاذًا للأدب، ثم بصفة عميد لكلية الآداب ابتداء من سنة 1936.

منح لقب الباشوية سنة 1951م، وبعد أن وجه كل عنايته لجامعة الإسكندرية، وعمل رئيسًا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضوًا في العديد من المجامع الدولية، وعضوًا في المجلس العالي للفنون والآداب. وفي سنة 1959 عاد طه حسين إلى الجامعة بصفة أستاذ غير متفرغ، كما عاد إلى الصحافة، فتسلم رئاسة تحرير الجمهورية. توفي يوم الأحد 28 أكتوبر سنة 1973م.

(2) ينظر: على هامش السيرة، المقدمة.

(3) ينظر: المرجع السابق ص ل .

(4) ونسطاس هذا شخصية خيالية استحدثها الكاتب، ضربًا من الإثارة والتشويق.

(5) ينظر: المصدر السابق، ج3، ص 18.

(6) ينظر: المصدر السابق.

(7) ينظر: المصدر السابق.

(8) والمراد به نسطاس الرومي الشخصية الخيالية المتقدمة.

(9) ينظر: المصدر السابق، ج3، ص65.

(10) ينظر: المصدر السابق.

(11) ينظر: المصدر السابق، ص 71.

(12) ينظر: المصدر السابق.

(13) سورة آل عمران، الآية 169.

(14) سورة الزمر، آية 73، وينظر المرجع السابق، ص 110.

(15) المصدر السابق، ج3، ص 114.

(16) المصدر السابق، ج3، ص121.

(17) المصدر السابق، ص125.

(18) المصدر السابق.

(19) عَدّاس بفتح العين وتشديد الدال المهملة وفتحها فهو عداس النينوي كان نصرانيًا من أهل نينوى: قرية من قرى الموصل، ولقي النبيّ صلى الله عليه وسلم بالطائف في قصّة ذكرها ابن إسحاق في السيرة، وفيها أنّ شيبة وعتبة كانا بالطائف، فشاهدا ما ردّ أهل الطائف على النبيّ صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى الإسلام، فقالا لعدّاس: خذ هذا القطف العنب فضعه بين يدي ذلك الرجل، ففعل، فلما وضع يده فيه قال: «باسم الله» فتعجّب عدّاس، وقال له: هذا الكلام ما يقوله أحد من أهل هذه البلاد؛ فذكر له أنه رسول الله، فعرف صفته فانكب عليه يقبّله. فلما رجع عداس قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفك عن دينك.

وذكر سليمان التّيميّ في السيرة له أنه قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: أشهد أنك عبد اللّٰه ورسوله، روى حديثه موسى بن عقبة عن ابن شهاب.

ينظر: الإصابة لابن حجر (485/4)، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (1447/4).

(20) رواه عروة في المغازي-117 119، وابن هشام السيرة (1/ 419)، وابن سعد1/ 236-237-238، والبلاذري في أنساب الأشراف1/ 227. وغيرهم

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّه في الحديث رقم 2933 من السلسلة الضعيفة: وهذا إسناد ضعيف رجاله ثقات، وعلته عنعنة ابن إسحاق عند الجميع؛ وهو مدلس، ولم يسق إسناده في "السيرة" وإنما قال (61/2): "فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - فيما ذكر لي - : اللهم إليك أشكو". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، (486/6، 487).

(21) أي لم يصرح بالتحديث أو السماع.

(22) هو وحشي بن حرب الحبشي، أبو سلمة، ويقال: أبو حرب، مولى بني نوفل، له صحبة، كان عبدًا أسودًا من سودان مكة، وهو قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم، قتله يوم أحد، وكان ممن خرج مع خالد بن الوليد إلى اليمامة، وقدم معه الشام، وعاش إلى خلافة عثمان، وروى أنه شارك في قتل مسيلمة الكذاب. شهد اليرموك، وسكن حمص، ومات بها. الإصابة 601/6، تهذيب الكمال 429/30.

(23) رواه أبو داود الطيالسي (649/2، برقم1410) قال: حدثنا عبدالعزيز بن أبي سلمة، قال: حدثنا عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن سليمان بن يسار، عن عبيدالله بن عدي بن الخيار، قال: أقبلنا من الروم فلما قربنا من حمص..

ومن طريقه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني(484)، والبيهقي في السنن الكبرى 97/9.

قلت: وهذا حديث صحيح. وفي هذا الإسناد شذوذ، فكل الروايات الأخرى لم تذكر قصة الخمر وإدمان وحشيٍّ الْخَمْرَ، ولهذا: فالإسناد المحفوظ:

رواه أحمد في مسنده، برقم (16121)، والبخاري في صحيحه، برقم (4072) من طريق حُجَيْن بن المثنى، عن عبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون، عن عبدالله بن الفضل، عن سليمان ابن يسار، عن جعفر بن عمرو الضمري، قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار..

(24) ينظر: على هامش السيرة، د. طه حسين، (243/3).

(25) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (144/1) قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ يُحَدِّثُ عَمِّي. يَعْنِي الزُّهْرِيَّ. قَالَ: قَالَ رسول الله ... الحديث مرسلاً.

وأبو نعيم في معرفة الصحابة (205/1) حرف الألف، بدءٌ بمن اسمه إبراهيم إجلالاً للخليل صلى الله عليه وسلم. عقيبًا لذكر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم (674)، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، ... مرسلاً. ورمز له السُّيوطي بالضَّعف. الجامع الصغير بشرح فيض القدير 321/5.

وقال عنه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: حديث موضوع (318/5) (2293).

(26) المرجع السابق، ص 41، وينظر سورة الأعراف، آية 154.

(27) المرجع السابق ص 21، وينظر سورة هود، آية 77.

(28) المرجع السابق، ص

مراجعة كتاب:

تحفظات المملكة العربية السعودية على المعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان "دراسة مقارنة"



مراجعة: عمر عثمان جبق

محاضر في كلية المجتمع بالرياض

الكتاب عبارة عن رسالة أعدها الباحث صغير بن محمد الصغير لنيل درجة الدكتوراه في السياسة الشرعية، ونال الدرجة العلمية سنة 2016. تعد هذه الدراسة رائدة من حيث العنوان والمضمون على المستوى العربي والسعودي خاصّة؛ إذ تسلط الضوء على بعض المعاهدات والاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان المزعومة، وتقارنها بشريعة الإسلام السمحة فيما يتعلق بمضمونها و بنودها، ومن ثم تقدم تحفظات المملكة العربية السعودية على تلك المعاهدات والاتفاقيات وبنودها في ضوء الشريعة السمحة.

تتألف الدراسة من مقدمة و فصل تمهيدي وبابين وخاتمة بالإضافة إلى بعض ملاحق والفهارس.

تعرض مقدمة الكتاب تصميم البحث من حيث أهمية موضوع الدراسة وأسباب اختياره والدراسات السابقة في هذا الصدد ومشكلة البحث وتساؤلاتها ومنهجية البحث بالإضافة إلى تركيب الدراسة وبناءها.

يلي المقدمة الفصل التمهيدي، وهو مدخل تأصيلي إلى الدراسة يتطرق الباحث فيه إلى مصطلحات البحث وتعريفها لغة وقانونًا وفقهًا، ومن هذه المصطلحات التعريفية مصطلحات التحفظ والمعاهدة وحقوق الإنسان التي تعدّ مصطلحات مفتاحية رئيسية للدراسة. يستعرض الباب الأول للدراسة أسباب تحفظات المملكة العربية السعودية على المعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان؛ سيما المعاهدات التي تخالف النصوص القطعية للشريعة، والتي تخالف النصوص الظنية. وينتقل الباحث بعد ذلك لتوضيح مسألة تحفظات المملكة التي تعدّ "ممارسة لحقوقها السيادية"، ويسلط الباحث الضوء على بعض أسباب التحفظات التي تمسّ السيادة، ومنها تعارض المعاهدات مع مصالح المملكة العربية السعودية وأعرافها الاجتماعية.

ويمثّل الباب الثاني من الدراسة "تطبيقات على معاهدات حقوق الإنسان التي تحفظت عليها المملكة العربية السعودية وأحكامها وآثارها"، ويفصّل الباحث في هذا الباب التحفظات على بعض المعاهدات وبنودها. يتناول في البدء "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" من حيث المضمون والتحفظ عليه؛ سيما المادة السادسة عشرة المتعلقة "بالزواج بين مختلفي الأديان" ويركز على زواج المسلم من كتابية، وزواج المسلمة من كتابي، وزواج المسلم من غير كتابية، وزواج المسلمة من غير كتابي. ويذكر الباحث المستند

القانوني في التحفظ على هذه المادة. ويلي هذه المسألة الحساسة والدقيقة الحكم الشرعي في التحفظ على المادة الثامنة عشر من الإعلان ذاته المتعلقة "بحرية تغيير الدين وممارسة الشعائر الدينية". ويستعرض الباحث أيضًا المستند القانوني في التحفظ على هذه المادة.

ومن ثم يتطرق الباحث في هذا الباب أيضًا إلى تحفظات المملكة على "الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري" المبرمة عام 1965م. ويسلط الضوء فيها على أربع مسائل وردت في الاتفاقية السابقة وهي "الكفاءة والزواج وحرية ممارسة الشعائر الدينية وفي الاجتماع السلمي وتساوي الأجور عند تساوي العمل ومماثلته". من ثم يقدم الباحث المستند القانوني في هذه التحفظات المتمثل في العرف الدولي وحق السيادة للمملكة العربية السعودية على أنظمتها الداخلية والمتعلق. ثمّ ينتقل الباحث في نفس الباب إلى الحديث على الحكم الشرعي في تحفظ المملكة على المادة الثانية والعشرين من الاتفاقية السابقة والمتعلقة بعرض النزاع على محكمة العدل الدولية، ويبين حكم التحاكم إلى غير شريعة الإسلام موضحًا أيضًا المستند القانوني للمملكة في هذا التحفظ على هذه المادة من الاتفاقية. ويتابع الباحث في هذا الباب سرد تحفظات المملكة العربية السعودية على "اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري ضد المرأة" المبرمة عام 1979م. ويسلط الضوء على المواد الواردة في الاتفاقية السابقة التي يفهم منها مخالفة الشريعة الإسلامية ومنها المادة الخامسة "الإلزام بتغيير الأنماط والعادات الثقافية" والمادة العاشرة "تشجيع التعليم المختلط" والمادة السادسة عشرة "ولاية المرأة والولاية على المرأة". ومن ثم يستعرض الباحث المستند القانوني في تحفظات المملكة العربية السعودية العامة على هذه الاتفاقية، سيما المتعلقة بالمواد السابقة. ويتابع الباحث استعراض تحفظات المملكة الخاصة على هذه الاتفاقية سيما المادة التاسعة من الفقرة الثانية المتعلقة "بنقل أطفال المرأة المتزوجة من أجنبي إلى جنسيتها" والمستند القانوني لهذه التحفظات.

وينتقل الباحث بعد ذلك للحديث على "اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة" المبرمة عام 1984م، ويسلط الضوء على الأمور التي تخالف الشريعة الإسلامية في هذه الاتفاقية من حيث مضمونها وبعض موادها، كالمادة الرابعة عشر التي ترد فيها مسألة "عدم وجوب القصاص للمجني عليه" وغيرها من المسائل التي تعدّ مخالفة للشرع. ومن ثم ينتقل الباحث للحديث على التحفظ العام للمملكة على "اتفاقية حقوق الطفل" المبرمة عام 1989م من حيث مضمونها والمواد التي تخالف الشريعة: ومنها المادة الأولى "سن الطفل" والمادة العشرون والمادة السابعة والعشرون "الولاية على الطفل وحضانة الطفل" والمادة الحادية والعشرون "التبني" والمادة السابعة والثلاثون "عقاب الطفل". ويستعرض المستند القانوني في تحفظ المملكة العام على هذه الاتفاقية. ويختم الباحث هذا الباب مبينًا آثار تحفظات المملكة على المعاهدات الخاصة بحقوق الإنسان من حيث العلاقات الخارجية والسلطة الداخلية للدولة المتمثلة في السلطة التنظيمية (التشريعية) والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية.

ويستعرض الباحث في نهاية دراسته المثيرة أهم النتائج والتوصيات. ومن أهم النتائج ما يتعلق بمعنى التحفظ لغة وهو الاحتراز: فالمملكة إذ تتحفظ على معاهدة أو اتفاقية أو بنود إنما هي تحترز من آثارها ونتائجها. والنتيجة الأخرى المهمة تتعلق بالمعاهدات والتي هي بالأصل نوع من أنواع "العقود" المتبعة في الإسلام. ومنها أيضًا أن الشريعة سبقت كافة المواثيق والاتفاقات والمعاهدات الدولية في تأصيل حقوق الإنسان، والشارع- جلّ وعلا- ضبط انتهاكات حقوق الإنسان، واعتبر هذه الانتهاكات والاعتداء عليها جريمة وإثمًا. و"حقوق الإنسان في الإسلام ملزمة ديانة" وتأديتها "جزء من دين المسلم وعبادته، وأي إخلال بها يترتب عليه جزاء في الآخرة". ومن أبرز النتائج أيضًا أن "العدل غير المساواة التي ينادي بها بعض شرّاح القانون الدولي من غير ضابط، فالمساواة قد تجلب الظلم". ومنها أيضًا أن "أنظمة المملكة العربية السعودية الداخلية والخارجية، لا سلطان عليها غير سلطان الشريعة الإسلامية، ومع ذلك فإنها تحترم القوانين الدولية، وتبين تحفظها منذ البداية على كل ما يخالف الشريعة الإسلامية". ومن النتائج أيضًا أن "انتقاد بعض الباحثين لأنظمة المملكة فيما يخص التمييز في عدم المساواة بين الرجل والمرأة وهضم حقوقها في الإجراءات النظامية والقانونية ونحو ذلك .. غير دقيق". ومنها أيضًا "يجب على كل كافر الدخول في الإسلام (التوحيد) الذي هو دعوة الأنبياء عليهم السلام، ومع هذا الوجوب الذي نعتقده في حقه، رحمة به في الدنيا والآخرة، فإنه ليس على الدولة الإسلامية إجبارهم للدخول فيه ما داموا قبلوا الجزية أو التزموا بالعهد". و"لغير المسلم الحق في ممارسة تعبده في أماكنه الخاصة في الدولة المسلمة ما لم يكن داعية لذلك". ومنها أيضًا "أنظمة المملكة العربية السعودية تتوافق في مجملها مع أحكام اتفاقية مناهضة التعذيب، فمنع التعذيب واحترام حقوق الإنسان ومعاملته هو مبدأ من المبادئ الشرعية السامية".

ومن أهم التوصيات التي خلص إليها الباحث "على الباحثين في مجال السياسة الشرعية الاهتمام بتحرير الألفاظ والمصطلحات خاصة ما يتعلق بالقانون الدولي، نظرًا لما تحدثه في الاتفاقيات من آثار". و"ينبغي أن لا ينظر الباحث في مجال السياسة الشرعية في المسائل التي تتعلق بالقانون الدولي من منظار الشرّاح العرب فقط، بل ينبغي لأن تكون نظرته شاملة متوازنة ليخرج بتصور أدق، ومن ثم يضفي عليها الحكم الشرعي". ومن المواضيع التي يجب أن تحرر وتبحث برسالة خاصة في مجال القانون الدولي تعارض القانون الداخلي للدول مع الاتفاقيات والمعاهدات الدولية" و"على الشرّاح في المملكة العربية السعودية في مسائل النظام والقانون أن يُرجعوا الأحكام الشرعية إلى ما تفتي به هيئة كبار العلماء فيها، لأنها هي المخولة نظامًا أن تفتي في مثل هذه المسائل".

وتتألف الملاحق المدرجة في آخر البحث من الوثائق والنصوص المتعلقة بالاتفاقيات والمعاهدات التي تمت دراستها ونقدها. ومن ثم فهناك الفهارس التي ضمت فهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث والآثار وفهرس الأعلام وفهرس المصادر والمراجع وأخيرًا فهرس الموضوعات. ومختصر القول إن هذا الكتاب جديد من حيث موضوعه ومعالجته الأكاديمية لهذا الموضوع الحساس، وعلى المهتمين بالسياسة الشرعية والقوانين الدولية قراءته قراءة متأنية لما فيه من جوانب سياسية وشرعية تتعلق ببعض المعاهدات والاتفاقيات والإعلانات الدولية المبرمة التي تزعم صيانة حقوق الإنسان والسعي للتخلص من التمييز العنصري بكافة أشكاله ومكافحة الاضطهاد والتعذيب والدفاع عن حقوق الطفل وغيرها من المسائل الإنسانية الحساسة أيضًا.

معلومات عن الكتاب:

الكتاب: "تحفظات المملكة العربية السعودية على المعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان" دراسة مقارنة"

المؤلف: صغير بن محمد الصغير

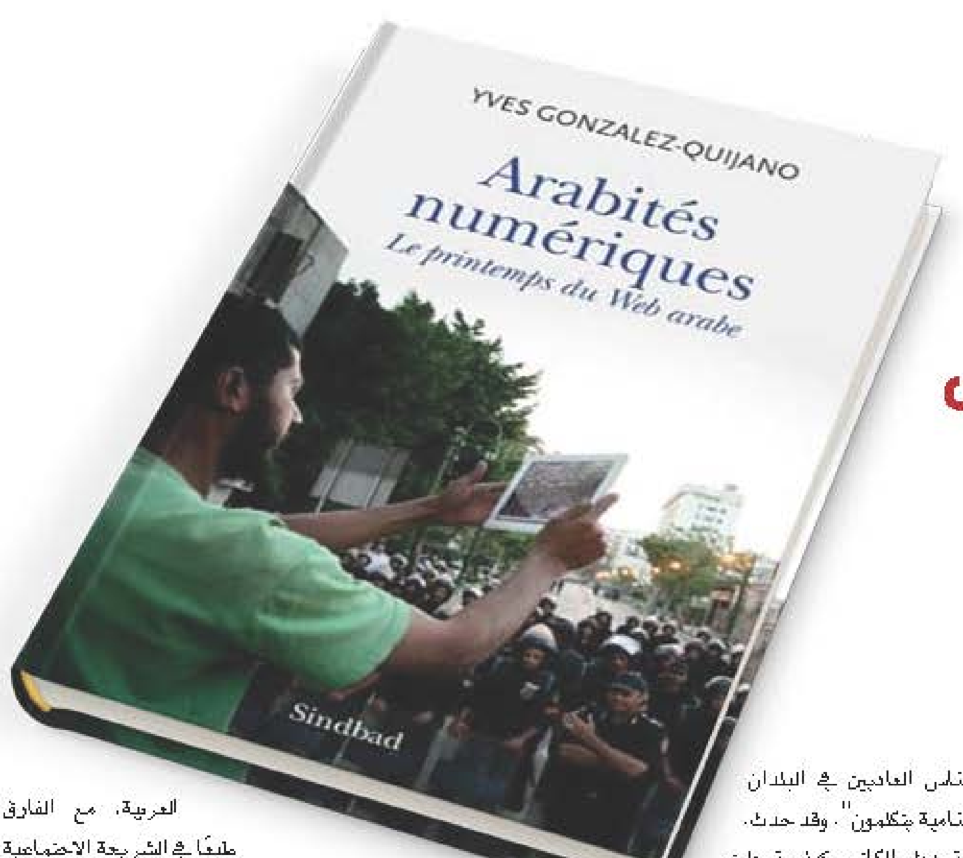
تاريخ النشر: 1438

الناشر: دار الألوكة للنشر - الرياض

عدد الصفحات: 656 صفحة

الرقم المعياري الدولي للكتاب: 9780745336220





العروبة الرقمية
ربيع الانترنت العربي

معلومات عن الكتاب :

الكتاب: "العروبة الرقمية، ربيع الانترنت العربي"
المؤلف: إيف غونزاليس كيخانو
تاريخ النشر : 6 أكتوبر 2012
الناشر : SINDBAD , ACTES SUD
المعيار الدولي للكتاب ISNB : 13: 978- 2330013172

شهد العام 2011 ما شهد من مظاهرات وثورات اجتاحت العالم العربي. ومن نافلة القول إن تلك الأحداث قد وجدت في تقنيات الاتصال والتواصل الحديثة حاملاً رائقًا لرياحها التي فاجأت العالم بأسره. فما مدى ارتباط "الربيع العربي" بثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في العالم العربي؟ وما هي العلاقة الحقيقية بين الثورات العربية والإنترنت والشبكات الاجتماعية؟

وهل ساهمت هذه الأخيرة في رسم حدود جديدة للسياسة وللمجتمع على ساحة الوطن العربي الشاسعة؟ وهل ما حدث كان ثورة فعلاً؟ وما هو دور المؤسسات غير الحكومية "الأجنبية" في تعبئة دور تلك التقنيات؟ ولماذا فشل الشباب الثائر فيما بعد مرحلة صناديق الاقتراع (ممن تمكن من الوصول إلى تلك المرحلة)؟ كل هذه الأسئلة وغيرها الكثير يجيب عنها بعمق وبتحليل إحصائي مؤلف كتاب "العروبة الرقمية، ربيع الانترنت العربي" إيف غونزاليس كيخانو. مؤلف الكتاب من الفرنسيين المستعربين الذين عشقوا العالم العربي، فعلاقته معه تعود لأكثر من 30 سنة قضاها في التدريس والبحث والترجمة والتفاعل مع الشارع الثقافي العربي أخذًا ومنحًا.

قبل سنة 2011، لم يكن الغرب يرى في الإنترنت العربي سوى وكرًا للإسلام المتشدد وللإرهاب الدولي؛ وندرة من المراقبين من استشف مستقبل المنطقة العربية بما امتلكه شبابها من تكنولوجيا رقمية، ومنهم Jimmy Wales من موقع الويكيبيديا إذ أعلن في أحد المؤتمرات سنة 2008 أننا سنرى قريبًا "المنطقة تحت منظور مختلف كلية، ليس كعقدة متشابكة من المشاكل، بل مكانًا مثل أي مكان آخر، بنقاط قوته ونقاط ضعفه ومئات الملايين من الناس الباحثين عن حياة أفضل لا أكثر ولا أقل (...) سنسمع قريبًا الناس العاديين في البلدان النامية يتكلمون". وقد حدث.

تحدث الكاتب كيف تحولت نظرة العالم إلى الربيع العربي وكيف تطورت ردة فعله من الاندهاش من تلك الثورات بدون قائد، ومن أصالة الشعارات وغياب الإيديولوجيات عنها، ومن الحراك العفوي للناس بعيدًا عن أي تكتل أو تحزب، ومن تهميش النخب التقليدية لا سيما الثقافوية، ومن قدرتها على تجاوز الحدود... إلخ، إلى نظرة إعجاب إذ كان العالم الغربي يتساءل: "منذ متى أصبح العالم العربي متصلاً بالإنترنت؟ وهل بإمكان المستخدم العربي فعلاً تصفح الإنترنت واستخدام الفيسبوك وتويتر باللغة العربية؟ وهل هناك شبكات اجتماعية في العالم العربي؟". لقد قفزت اللغة العربية لتحتل المركز السابع في عدد المستخدمين على شبكة الإنترنت بأعلى معدل نمو (2500% بين 2000 و2011).

هل دخل العالم العربي بعد أحداث سنة 2011 مرحلة جديدة من تاريخه؟ نعم. فالواقع أن تلك الأحداث لم تهز فقط القوى السياسية، بل هزت وشككت وثارت على كل ما هو سلطوي وكل "القوالب التي شكلت حتى الآن الهوية المحلية". لقد غيرت تلك الثورات من واقع "الحوار في مجتمعنا" العربي اليوم، فبعد أن كان حوارًا "عاموديًا" بين الحيّز السياسيّ والمواطن وفق قوالب قومية في الماضي، أصبح حوارًا "أفقيًا" بين الشباب العربي أنفسهم يعرّفون فيه عن أنفسهم ويتفاعلون فيه: "لقد جعل هؤلاء الشباب الصحراء الرقمية تُزهر".

وهل يمكن أن نقارن بين عصر الثورة العربية الرقمية وعصر النهضة العربية في نهاية القرن التاسع عشر التي لعبت فيها المطبعة دورًا جوهريًا في تطوير المجتمعات العربية، مع الفارق طبعًا في الشريحة الاجتماعية واتساعها التي طالتها كلا النهضتين؟ فهل هذه "نهضة" جاءت تتمة لحركة القرن 19 أو لتجديدها؟ وماذا عن لورنس العرب "الإنكليزي" الذي قاد "الثورة العربية" منذ حوالي قرن من الزمان، هل هو أمريكا اليوم التي تقود العالم "الحر" بتشجيعها لحرية الإنترنت وتغنيها "بمعجزة الربيع العربي"؟ وبما أن الثورات العربية تدين بنجاحاتها لتلك التقنيات التي اخترعها ونشرها العقل الأمريكي!

لا يعتقد غونزاليس- كيخانو، المطّلع جيدًا على تاريخ المنطقة، أن الثورة الرقمية وليدة اليوم أو أنها وحيدة، بل سبقتها ثلاث أو أربع مراحل متتالية ومترابطة. فعلاوة على دخول المطبعة وتطوير المجتمع نهاية القرن 19، هناك الصحافة العربية العابرة للقارات التي انتشرت في نهاية القرن 20 (مثل جريدة الحياة والشرق الأوسط) وكانت من أول من استفاد من تطور التقنية الرقمية، ثم يأتي انطلاق القنوات الإخبارية الفضائية التي افتتحت في الوقت نفسه تقريبًا مواقعًا لها على الإنترنت، ثم جاء زمن المدونات، ثم تلتها الشبكات الاجتماعية (انطلاق فيسبوك رسميًا كان سنة 2004). وكانت تونس أول بلد عربي تدخله الإنترنت (1991) وأول بلد عربي تنشأ فيه معارضة رقمية (مجموعة Takriz ، 1998) وفيه سقط أول "شهيد سيبراني" (زهير يحياوي الذي اعتقلته سلطات بن علي في ظروف مهينة لأكثر من عام ثم خرج ليموت بسكتة قلبية سنة 2005).

وينظر المؤلف إلى أحداث قرن كامل نظرة ثاقبة، يتابع التجديد الذي طرأ على اللغة العربية حيث نلمسه فيما نقرأه من مقالات ثورية وشعارات كتبها ونشرها عبر العالم شباب يافع وجعلوها سائغة مقبولةً (مثل كلمة "يكسلها") في حين كان يتم الأمر "من فوق" سابقًا عبر مَجامع اللغة العربية

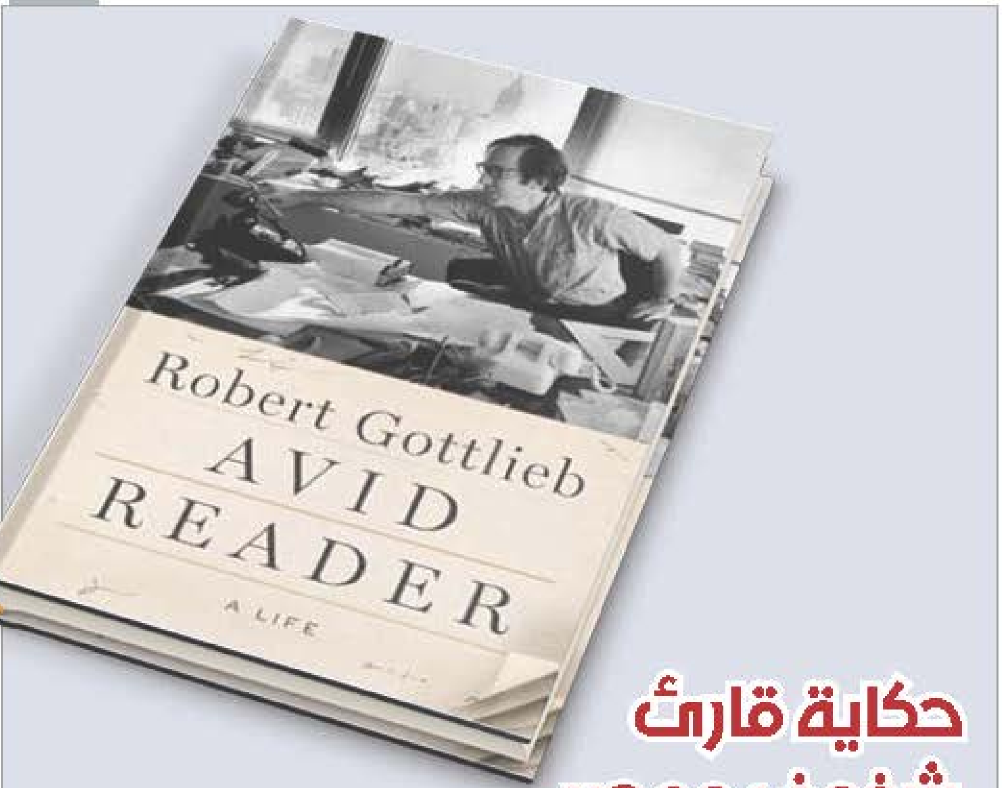
مثلاً: علمًا أن أول مُجمع لغة عربية قد أسسه الأمير فيصل في دمشق سنة 1918 والذي كان يقود في الوقت نفسه الثورة العربية الكبرى!

ويلقي المؤلف نظرة تحليلية محايدة على اختلاط مشهد الثورات بتكنولوجيا الاتصالات. أين الواقع وأين الصورة؟ من الثائر ومن المصور؟: "عندما يتحول المتظاهرون إلى كتلة من العدسات التي تخلّد اللحظة الثورية (...) حتى في أكثر الحالات مأساوية". كما تشكل تلك الأحداث، بلغة الأرقام، مصدرًا هائلاً للمعلومات لمؤسسات مثل DARPA (وكالة مشاريع البحوث المتطورة الدفاعية) التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية ومهمتها منذ تأسيسها في ستينيات القرن الماضي استشفاف كل ما قد يمنح الولايات المتحدة وقتًا متقدمًا على الأحداث العالمية لفرض استراتيجيتها. وقد ضُخت بالفعل ملايين الدولارات لتطوير أجهزة إنذار مبكر بل تكهن تكون بمثابة "رادارات للشبكات الاجتماعية" من شأنها التنبؤ بدرجة عالية بالتطورات السياسية. استفادت منها MITRE وهي مؤسسة "غير ربحية" متصلة جدًا بالأجهزة الأمنية الأمريكية.

والهمُّ واحد بطبيعة الحال لدى الأنظمة العربية من قبل هبوب رياح الربيع. فتناول الكتاب بالتحليل كيف تعاملت تلك الأنظمة مع تقنية الإنترنت في بداياتها، وتحدث عن مبادرات حقيقية قامت بها حكومات تلك الأنظمة لسد الثغرة الرقمية مع باقي دول العالم إما مع وصول الجيل الشاب من الحكام أو بضخ الكثير من الأموال في دول الخليج: لكنها كانت تفعّل وتعزّز في الوقت نفسه آليات الرقابة وكثيرًا ما كانت تُمرّره تحت غطاء المحافظة على الأخلاق ومحاربة المواقع الإباحية (مُنع الفيسبوك واليوتوب والتويتر في كل الدول تقريبًا وما سُمح بها عشية الحراك الشعبي إلا لتشجيع المعارضين على استخدامها لتسهل مراقبتهم ومن ثم القبض عليهم).

كما تحدث الكتاب عن قناة الجزيرة ودورها في كل ما حدث، وعن قناة الدنيا السورية و"كذبها" المفضوح وكيف "سرقت" أغاني الثوار وألحانهم في محاولة لتجيير سلاحهم الثقافي التقني الثوري نفسه ضدهم.

كتاب العروبة الرقمية كتاب غني ومثقّف بما يحمل من معلومات وتواريخ وتحليلات.



حكاية قارئ شغوف ومحرر «محترف»

يسرد كتاب "حكاية قارئ شغوف (محترف)"، لمؤلفه روبرت غوتليب، خبايا واستنتاجات كاتب/مثقف، وقارئ نهم، أمضى 60 عامًا يقرأ ويبحث، ويفتش بين الأغلفة والصفحات، في سائر الحضارات ومختلف الثقافات، إذ يبين أن النصيحة التي تتردد عبر العصور والأزمان تلخصها بداهة عبارة الحضّ على الاطلاع، ومفتاحها البديهي، الذي يتمثل في القراءة.

وقد استخدم المؤلف في كتابه، وصفًا للقارئ باللغة الإنجليزية مفاده: (avid)، وهي كلمة مشتقة من أصول اللغة اللاتينية، حيث تشير إلى معاني الحرص الشغوف والاهتمام الفائق والتوق المتواصل- بل والطلب إلى حد الاشتهاء.

يبدأ المؤلف من مرحلة طفولته المبكرة: اختار جده أن يعلمه القراءة في سن الرابعة، فكان أن أمضى سائر مراحل حياته، من المدرسة إلى الجامعة، في محالة.. قراءة، لدرجة أنه كانت تفوته مواعيد حصص الدراسة أو المحاضرة، إذ يكون غارقًا وقتها بين دفتي كتاب ما. وكان يضيف إلى هذا الجانب محاولة استخدام أو استثمار دراهمه القليلة، كما يعترف في سطور الكتاب، من أجل شراء بطاقات المسارح، كي يشهد عملاً دراميًا أو ينال متعة الإصغاء إلى إبداع موسيقي مجدد: بين إبداعات الكونشيرتو وتنويعات موسيقى السيمفوني.

ويحكي مؤلف الكتاب أن هذه البدايات هي التي دفعته إلى أن يطرق أبواب العمل لدى مؤسسات الطباعة والنشر، وعلى رأسها دار سيمون آند شوستر، الشهيرة في أمريكا. وكان قد أمضى معظم سنوات العمر، متنقلاً بين دور النشر والإصدار العديدة.

وعلى مدار أكثر من 60 سنة، كما يؤكد في فصول هذا الكتاب، ظل منكبًا على تحرير، الكتب، التي يضعها كبار المؤلفين.

وتقول كلمات ميشيل دين: إن قلمه كونه محررًا ترك بصماته على المخطوطات والنصوص الأصلية لمعظم المؤلفين والكتّاب الأمريكيين والإنجليز في القرن العشرين، ذلك ابتداء من الكاتبة- الشاعرة الأمريكية توني موريسون، مرورًا بالمبدع، أديب كتب الجاسوسية الأشهر، جون لوكاريه، وليس انتهاء بنجمة السينما كاترين هيبورن، بل والرئيس الأمريكي بيل كلينتون شخصيًا.

المؤلف يستخدم فعل مبتهم، عندما يتكلم عن عاداته في مطالعة الكتب سواء تلك التي اختارها شغفًا وتفضيلاً، أو تلك التي يكلفونه بمراجعتها وتحريرها وتقويم أسلوبها، بحيث يقدمها إلى جماهير القارئين في أدق صياغة وأبهى صورة، يقاسم مؤلفيها الأصليين بطبيعة الحال.

معلومات عن الكتاب:

الكتاب: "حكاية قارئ شغوف (محترف)"

المؤلف: روبرت غوتليب

تاريخ النشر: 26 يناير 2017

الناشر: فارار وشتراوس وجيرو

عدد الصفحات: 352 صفحة

8 كتب علمية مثيرة للاهتمام

الكثير من الناس يظنون أن الكتب العلمية هي أكثر أنواع الكتب مللاً، ما يجعلهم ينظرون بدهشة إلى أي شخص يقول أنه يفضل هذا النوع من الكتب. فالآباء يشترون لأطفالهم الروايات التاريخية والبوليسية والرومانسية، دون أن يقتربوا في العادة من ركن هذه الكتب. لكن المشكلة ليست في الكتب العلمية، المشكلة أحيانًا في طبيعة هذه الكتب.

1
"شرح شيء"
Thing Explainer
المؤلف: راندال مونروي

احتل هذا الكتاب المراكز الأولى في أفضل الكتب مبيعًا في 2014 و2015، وهو كتاب يقوم على تبسيط الأمور للجمهور بالرسومات والكلمات البسيطة.

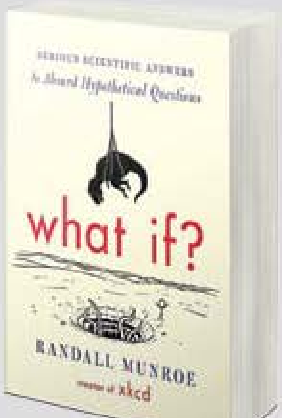


ما قرره راندال هذه المرة، هو أن يشرح أعقد الأشياء العلمية والتكنولوجية بأبسط مما تتخيل، وهو ما كان على حد تعبير أحد القراء "لقد وجدت أحدهم كي يشرح لي أعقد الأشياء كأني طفل في الخامسة، هذا شيء لا يصدق".

راندال قرر ألا يخرج في شرحه عن أشهر ألف كلمة في اللغة الإنكليزية، ولهذا، فإنه سيكون سهلاً عليك حتى إن كانت إنكليزيتك سيئة ولم يسبق لك أن قرأت كتبًا بها، كما أنه سيكون مناسبًا جدًا للترجمة.

2
الكتاب: "ماذا لو"
What If?
المؤلف: راندال مونروي

كتاب "ماذا لو"، لراندال مونروي السابق ذكره، في قراءتك للكتاب، تتأرجح بين حيرتك ما إن كان هذا الكتاب غريب الأطوار، يفتح الباب للجنون أم للعقل. ماذا سيحدث إن ذهب القمر بعيدًا؟ ماذا إن فقدت خلايانا القدرة على الانقسام فجأة، كم نستطيع أن نعيش بعدها؟



نحن لا ننسى أن واحدة من أهم نظريات العالم، وهي نظرية الجاذبية لنيوتن، كانت إجابة على سؤال بالغ الجنون آنذاك عندما سقطت التفاحة على رأس العالم النائم تحت الشجرة ليتساءل فجأة: لماذا سقطت التفاحة إلى الأسفل وليس إلى الأعلى؟

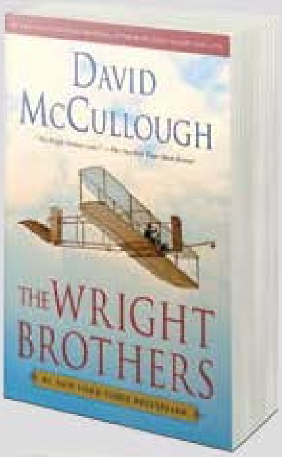
راندال مونروي، برسوماته الساخرة التي تعلق في الذاكرة على الفور، هو فيزيائي عمل سابقًا في ناسا، وهو صاحب موقع الكوميكس الشهير xkcd، الذي وصلت إحصائيات زواره إلى نصف مليون أو مليون تقريبًا في اليوم الواحد، وقد بدأ تساؤلاته المثيرة على الموقع ثم حولها إلى كتاب نجح أن يبقى في صدارة الكتب الأكثر مبيعًا لعامين متتاليين.

3
الكتاب: "الأخوين رايت"
The Wright Brothers
المؤلف: دافيد ماكولو

يسرد دافيد ماكولو في هذا الكتاب قصة الأخوين رايت، التي لم يتح لأحد أن يراها بهذا الوضوح من قبل، وقد سبق وصفه بـ "سيد فن التاريخ السردي" من قبل، وقد فاز بجائزة بوليتزر مرتين، وبجائزة الكتاب الوطني مرتين أيضًا، وقد عَدّ القراء أن رائعته "الأخوين رايت"، كانت الأفضل في كتبه على الإطلاق.

الأخوين رايت، ويلبر وأورفيل، ولدا في دايتون بولاية أوهايو، وكانا متميزين في الميكانيكا، للدرجة التي تشعرك أنهما يستطيعان إصلاح أو صناعة أي شيء، حلم الأخوين الذي فتح الباب لعصر الطيران، بدأ، بشغفهما بالطائرات الدمى!

الأخوين، اللذان اعتمدا في التمويل على عوائد محل الدراجات البسيط الخاص بهما، قاما بقراءة كل شيء عن الطيران، وتعمقا في دراسة الطيور، مدركين أن هذا هو التصميم الطبيعي الذي عليهما أن يضعاه في الاعتبار، لتحقيق الحلم المستحيل.



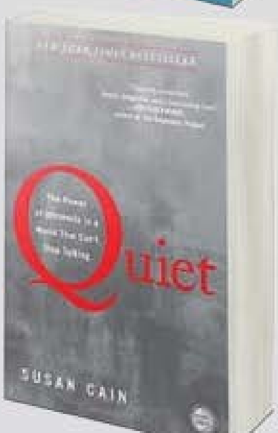
الكاتب، ضم في كتابه الذي بقي في المراكز الأولى في قائمة الكتب الأفضل مبيعًا، مئات من الرسائل والمذكرات الشخصية للأخوين بفضل مجموعة أرشيف مكتبة الكونغرس، قائلاً إن هذه المستندات كان لها دور عظيم، في تحويل ما هو تاريخي، إلى حياة معاصرة وقريبة من القارئ.

في العام 1969، بعد ما يزيد على الستين عامًا، من رحلة طائرة الأخوين رايت الأولى، كان هناك صاروخ يهبط على القمر، ليخرج منه رجل ولد في المكان نفسه الذي أتيا منه، اسمه نيل آرمسترونغ، ويضع قدمه على سطح القمر، ليكون الرجل الأمريكي الأول الذي يصل إلى هذا المكان، حاملاً معه حملاً صغيرًا من الموصلين، من جناح طائرة الأخوين رايت التي حلقت العام 1903، كتكريم وامتنان، للشخصين اللذين قاما بالخطوة الأولى الحقيقية، في هذا الحلم المستحيل.

4
الكتاب: "الهادئ"
Quiet
المؤلف: سوزان كاين

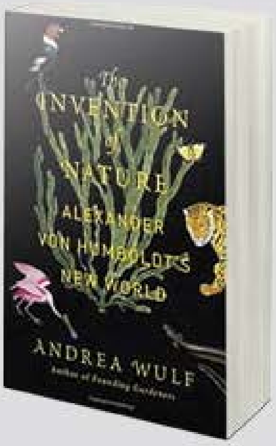
ثلث الأشخاص الذين تعرفهم على الأقل، هم من الانطوائيين، أشخاص يفضلون الاستماع عن التحدث، والقراءة عن حضور حفلة مع صديق مثلاً، ومع إننا نطلق عليهم اسم "الهادئين"، إلا أنهم ثوّروا العالم، بداية من لوحات فان جوخ، إلى اختراع الحواسيب الشخصية.

في هذا الكتاب، الذي ما يزال في قائمة أفضل الكتب مبيعًا منذ عام 2012، تأتي سوزان كاين بأمثلة عن أشخاص "انطوائيين" غيروا العالم، للمجتمع يحتاج لأولئك المفكرين، المستمعين، أولئك الذين ينظرون، قبل أن يقوموا بالقفزة، في قائمة طويلة بداية من ألبرت أينشتاين، إسحق نيوتن، جورج أورويل، جي كي رولينج مؤلفة هاري بوتر، وغيرهم كثيرون، مضيفة إلى ذلك الفروق العلمية السيكولوجية والعصبية بين الأشخاص المنفتحين والانطوائيين، مع إرشادات بخصوص فهم الآخر، موجهة اهتمامًا خاصًا للوالدين حال كان لديهما طفل كذلك.



شريحة لا بأس بها من جماهير الكتاب انتقدته بأنه شديد الملل، وأن نقطة الكاتبة في البداية كانت جيدة، لكنها أغرقت في التحدث عن الأشخاص، ولم تضف لفكرتها، فارئة كتبت تنتقد التنميط والقولبة في الكتاب، قائلة إنها انطوائية، لكنها لا تكره المنفتحين، وهي ليست زهرة حساسة تحتاج تعاملاً رقيقًا وإلا "انكسرت"، وأنه ليس جميع المنفتحين "متنمرين".

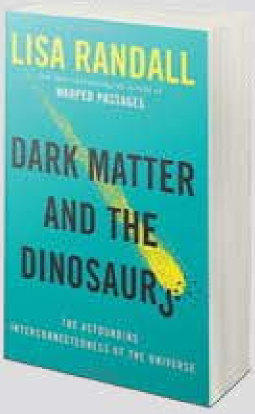
5
الكتاب: اختراع الطبيعة
The Invention of Nature
المؤلف: أندريا وولف



نجحت الكاتبة في تعريف قرائها بـ"ألكسندر فون هومبولدت" الذي وصفه تشارلز داروين بأنه "أعظم عالم رحال على وجه الأرض"، الرجل الذي كان الأكثر شهرة في العالم، والذي أطلق اسمه على عدد من الأماكن في مختلف الأنحاء، إلى درجة أن وجوده طغى على معظم مشاهير عصره، مثل غوته، سيمون بوليفار، تشارلز داروين، وقد كان أول شخص يصف شبكة الحياة على الأرض، وأول من وصف أثر النشاط البشري على المناخ في العالم، حتى إن الناس كانت تدفع ما يشبه الرشوة لباعة الكتب في عصره، كي يكونوا أول من يحصلون على النسخ الأولى من كتبه.

لا بد أنك مندهش لأنك لم تسمع عنه من قبل، لكن ألكسندر فون هومبولدت، قدم لنا مفهومه عن الطبيعة ذاتها، وكان أول شخص يصف "التغير المناخي" عام 1800، وقد اشتهر بكونه عالم طبيعة، ومسافرًا للعالم، حتى إنه وصل في رحلاته عبر أمريكا الجنوبية والوسطى وسيبيريا، بينما تم منعه من زيارة الهند بسبب خوف البريطانيين من فكرة كتابته لشيء حرج حول تفاصيل استعمارهم للبلاد، وبالرغم من أن رحلته الأولى اكتشفت ما كان المواطنون الأصليون يعرفونه بالفعل، إلا إن تصويره للحياة في الطبيعة، ووصفه للحياة كنظام مترابط معقد، وقدراته الخارقة في ربط اكتشافاته المختلفة، كان عملاً عظيمًا لدرجة أن الناس اعتبرته كبديهيات فيما بعد، ونسيت صانعه الأصلي.

6
الكتاب: "المادة المظلمة والديناصورات"
Dark Matter and the Dinosaurs
المؤلف: أندريا وولف



مازال سر اختفاء الديناصورات من على وجه الأرض أحد أهم الألغاز العلمية التي تحير العلماء، بين نظريات عن العصر الجليدي الأول والثاني، وبين نظريات أخرى عن أنشطة بركانية ضخمة أدت إلى تغيير بيئة الأرض البيولوجية تمامًا.

في الناحية الأخرى، مازال سر المادة المظلمة أحد أهم الأسرار التي تحير العلماء، فالمادة المظلمة هي مادة افترض وجودها للوصول إلى أقرب تفسير منطقي لكتلة الكون، وعلى الرغم من أنه لا يمكن رؤيتها باستخدام التلسكوبات، حيث إنها لا تبعث ولا تمتص الضوء أو أي إشعاع كهرومغناطيسي من أي نوع، إلا أن العلماء يستدلون على وجودها من آثار الجاذبية التي تمارسها تلك المادة على بنية الكون الكبيرة.

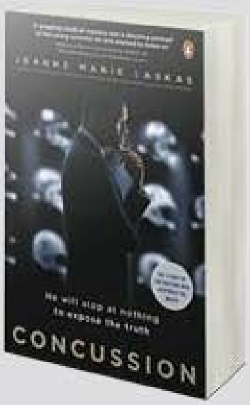
في هذا الكتاب تقوم الباحثة في الفيزياء الفلكية ليزا راندال بربط النظريتين الغامضتين في نظرية واحدة بشكل علمي مثير، فالمادة المظلمة قد تكون أتت بشكل غير مباشر إلى انقراض الديناصورات!

وعلى الرغم من أن النظرية لها مصداقية عالية علميًا، إلا أن العلماء نوهوا إلى حاجة تلك النظرية للمزيد من الأدلة العلمية لاعتمادها تمامًا.

راندال افترضت أنه أثناء حركة الشمس في مدارها حول مركز المجرة، فإنها مرت من خلال المادة المظلمة، الأمر الذي أدى إلى حدوث اضطرابات في الجاذبية أدت بدورها إلى زعزعة استقرار الأجسام الموجودة في سحابة أورط مما تسبب في تأثيرات أرضية مهولة، كحدوث ما يعرف بانقراض العصر الطباشيري الثلاثي، أو كما نعرفه نحن: انقراض الديناصورات.

الكتاب قد يكون صعبًا قليلًا من الناحية العلمية، إلا أنه مهم للغاية لأنه يتناول موضوعات هامة ولكن برؤية مختلفة قليلًا عما اعتدنا عليه.

7
الكتاب: "ارتجاج"
Concussion
المؤلف: جين ماري



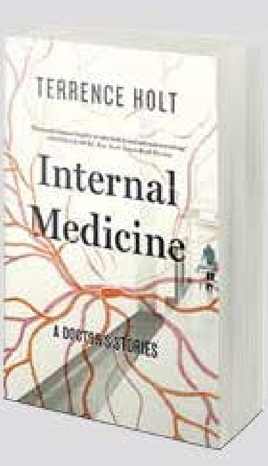
يحكي الكتاب قصة الدكتور بينيت أومالو، الطبيب الشرعي وعالم الأمراض الذي قام بواحد من أهم الاكتشافات الطبية التي حدثت في القرن الواحد والعشرين على الإطلاق، وهو الاكتشاف الذي يعلن الحرب على رياضة الولايات المتحدة المفضلة، كرة القدم الأمريكية، ويهدد وجودها، ويضع مكتشفها في مرمى النيران.

التقت مؤلفة الكتاب جين ماري، بالشاب الطبيب الهارب من جراح الحرب الأهلية في نيجيريا في 2009، في بداية كتابتها للكتاب الذي سيتحول إلى فيلم فيما بعد، وقد أخبرها عن ولادة هذا الكشف في مشرحة حقيرة مهملة في وسط مدينة بطرسبرج، على طاولة مسجاة عليها جثة رجل خمسيني، اسمه "مايك ويبستر"، "مايك الحديدي" سابقًا، بعد أن تدهورت حالته، وعرف عنه تدهور غريب في العقل، والذاكرة والتركيز، الآلام المستمرة، وأنه وصل في غرابة الأطوار إلى أن يثبت أسنانه في مكانها بالصمغ، إلى درجة أن امرأته طالبته بالانفصال، حتى مات وهو يسكن في شاحنة على الطريق.

مايك ويبستر كان أحد أشهر لاعبي كرة القدم الأمريكية، وقد أثار السؤال الملح لدى الطبيب: كيف يمكن لرجل شاب مثل ويبستر أن ينتهي نهاية مزرية كهذه؟ إجابة هذا السؤال التي كانت تختفي في مخ اللاعب المتوفى، سوف تغير حياة الطبيب للأبد، وتضعه في مرمى نيران واحدة من أشد التحالفات ضراوة في الولايات المتحدة، عندما يكتشف أن موت اللاعب لم يكن حادثًا أو صدفة، وإنما بسبب الصدمات المتكررة للرأس التي تحتمها اللعبة الخطرة، وهو ما عرضه لحملات التجاهل، والهجوم، ثم تم فتح هذا الملف ثانية بعد موت لاعب آخر في السادسة والعشرين من عمره في ظروف غامضة، واكتشاف أن المشكلة نفسها هي التي قتلته، مرض ضموري عصبي في المخ، أول من وصفه هو الطبيب أومالو، بسبب الاصطدامات المتكررة، وهو نفس الدمار المخي الذي يلاحظ في مرضى الزهايمر والعته، وبعض الملاكمين المتقاعدين.

هذا الكتاب هو قصة اكتشاف طبي يقف خلفه رجل واحد، بوجه صناعة تقدر بمليارات الدولارات، لكي يخبر العالم بالحقيقة التي يحاولون إخفاءها مهما كلف الثمن.

8
الكتاب: الطب الباطني
Internal Medicine
المؤلف: تيرنس هولت



درس تيرنس هولت الأدب، لكنه علم أنه لن يستطيع أن يعيش من هذه المهنة وقرر التحول إلى الطب، ليخرج بهذا الكتاب الذي وصفته النيويورك تايمز بأنه "عمل عبقري"، واحتل مركزًا بين أفضل 10 مجموعات قصصية قصيرة على موقع أمازون، وقد قدم فيه منظورًا فلسفيًا وإنسانيًا لحياة طبيب مقيم.

في تسع قصص، يقول الكاتب إنها خيالية، توجد كثافة، وانعكاسات فلسفية شخصية على قصص المرضى الغريبة، التي تبدو كـ"متحف للبؤس البشري"، مجمعًا، "يجعلك تتوقف بعد كل قصة مفكرًا بعمق" كما تعلق قارئة.



3

أوجاع تعليمية

وجع المنهج (بين التطوير والتضليل)



د. محمد شوقي شلتوت

أستاذ تكنولوجيا التعليم المساعد ومدير مركز التعلم الإلكتروني بكليات الشرق العربي للدراسات العليا السعودية
واستشاري التعليم الإلكتروني والفنون البصرية

/http://www.shaltot.com

@drshaltout



لقد بدأت سلسلة أوجاع تعليمية بوجع المعلم ثم وجع الطالب والآن سأنتهي بالوجع الأكبر وهو وجع المنهج الذي يعد العمود الثالث في العملية التعليمية وهو الذي إن صلح سيصلح معه أشياء كثيرة في العملية التعليمية .... وسوف أتناول هذا الوجع بطريقة مختلفة عن الطرق التي تناولت بها الأوجاع السابقة حيث سيكون هناك حديث بيني وبين المنهج، وسيتهمني الكثيرون بالجنون لأنني أتحدث إلى المنهج وسأجيبهم قائلاً تحدثي معه لأعرف أكثر ما بداخله من عبئ وتعب فهيا بنا تنطلق سويًا في رحلتي في الحديث مع المنهج.

في البداية سألت المنهج عرفني بنفسك فأجابني ...

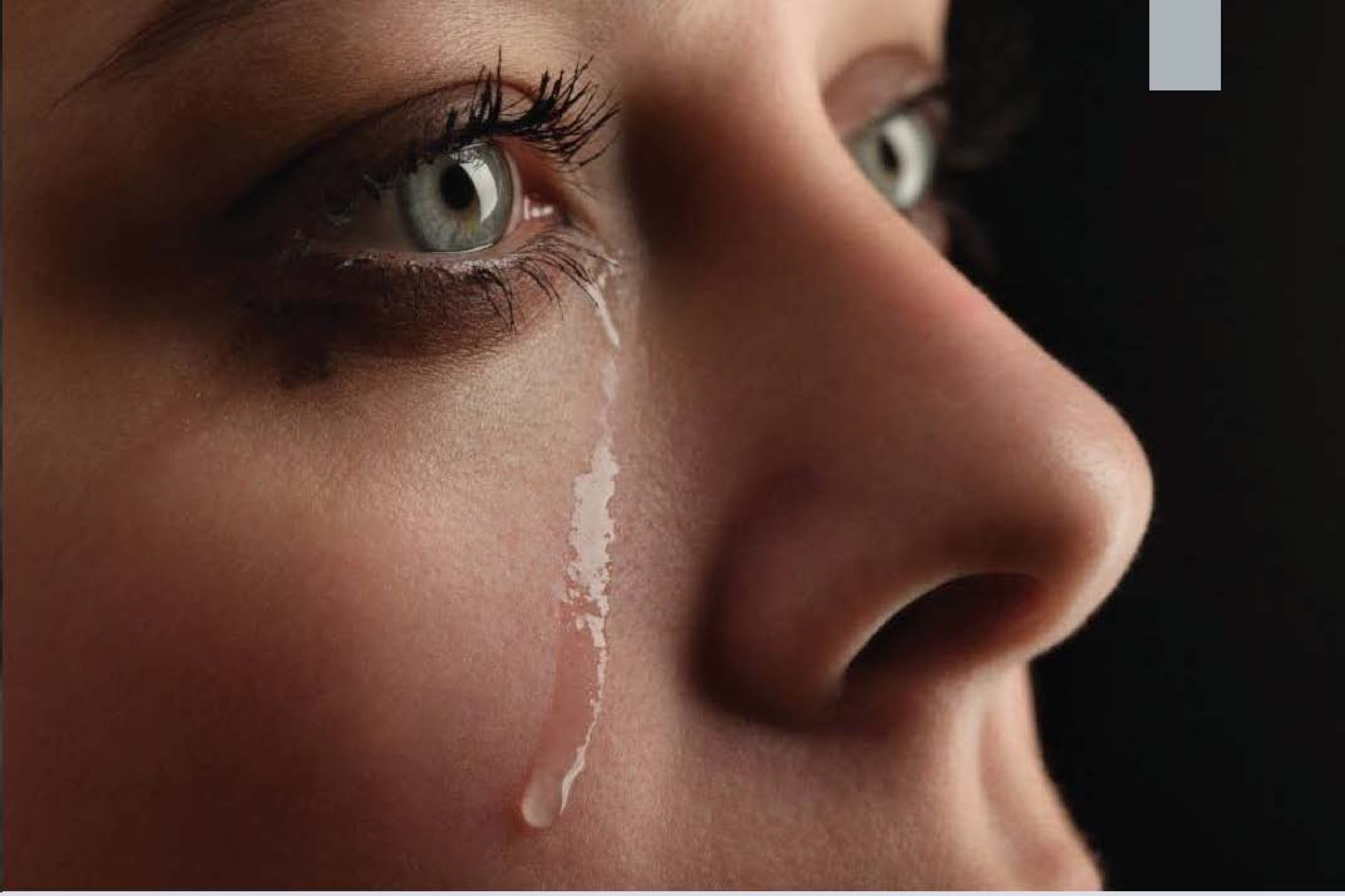
قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ المائدة: 48، وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله (مرعي، 2004: 21): "لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترككم على طريق ناهجة" إن كلمة المنهاج والطريق الناهج تعني الطريق الواضح، ويعزز هذا المعنى ما جاء في المعجم الوسيط: أن أصل كلمة المنهج هو نهج، ويقال: نهج فلان الأمر نهجًا: أي: أبانه وأوضحه، ونهج الطريق: سلكه، والنَّهْج- بسكون الهاء -: سلك الطريق الواضح أما ابن منظور في لسانه فقد أورد: أنهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجًا واضحًا بيّنًا والمنهج عنده- بفتح الميم وكسرها- هو النهج والمنهاج: أي: الطريق الواضح والمستقيم.

وتقابل كلمة المنهج في اللغة الإنجليزية كلمة Curriculum، التي تعود إلى أصل لاتيني، هو Currere، التي تعني مضمار السباق: أي: هي المسار الذي يسلكه الإنسان لتحقيق هدف ما.

وبعد ما أوضح لي ما هو المنهج قمت بطرح سؤال آخر عليه وهو: لماذا يتهمك الناس بأنك تحتاج إلى تطوير دائمًا وأنك لا تحقق مخرجات تعلم جيدة؟

فتنهد قائلاً .... كما ذكرت لك سابقًا إن المنهج "الطريق الواضح والمستقيم. أو هي المسار الذي يسلكه الإنسان لتحقيق هدف ما" لذلك إذا كان الطريق غير واضح ولا يحقق هدف فقد احتاج إلى تطوير ولكن إذا انظرنا لعدد ليس بالقليل من القائمين على إعداد المناهج والمتخصصين بها فهم لا يضعوا المناهج بشكل واضح لتحقيق أهداف واضحة مما يؤدي إلى الاحتياج لتطوير هذا الطريق الغير واضح، فسألته كيف تتهم متخصصين بهذا الاتهام فأجاب قائلاً اعطني فرصة للدفاع وتقديم إثبات على ما ذكرته من أقوال على القائمين على إعداد المناهج، حيث إنهم يعدوا المناهج بشكل معرفي جميل كمعرفة ولكن يحمل الكثير من الغموض حيث يعتمد أكثر على إكساب الطالب معلومات كثيرة خلال مراحل دراسته وتكون معلومات جيدة وجميلة ولكن يجدها الطالب غامضة ولا يظهر المنهج له كيفية الاستفادة منها وتطبيقها في الحياة الواقعية فيكون هناك فجوة بين ما يدرسه الطالب وما يواجه في الحياة فيرى الطالب إن ما درسه في المناهج لا يفيد إلا في الحصول على الشهادة فقط إنما الحياة لها مهارات وأدوات أخرى يكتسبها من خلال احتكاكه بالحياة بعد الانتهاء من الدراسة، لذلك طرق إعداد المنهج بها خلل كبير فهو معد جيدًا معرفيًا ومعلوماتيًا ولكنه بعيد كل البعد عن حياة الطالب وما يحتاجه، فرددت عليه قائلاً إنه يتم تطوير المنهج بشكل مستمر لكي يصلح المتخصصون هذه الأمور فأجابني قائلاً: عندما يتم التطوير لا يتم إلا على الشكل فقط، ولا يتم بما يفيد الطالب ويربط ما درسه من معلومات بما سيواجه في الحياة أثناء الدراسة وبعد التخرج ..... ثم أفحمني بكلمات أخيرة جعلتني أسكت بشكل نهائي عن الأسئلة عندما أخذ الخاتمة التي ختمت بها مقالي وجع الطالب "إذا لم نجد كتب ممزقة وأوراق مبعثرة في باحات مدارسنا وخارجها، مع الانتهاء من كل فصل دراسي ستعرف وقتها إن المنهج أصبح شيء أساسي في حياة الطالب يستفيد منه"

انتظروني إذا كان في العمر بقية ... مع مقالات أخرى تنفعكم وتكون لبنة في تطوير التعليم في وطننا العربي الجميل.



هل البكاء مفيد لصحتنا بشكل عام؟

كان البكاء دائمًا يوصف بأنه طريقة مفيدة لتخفيف حدة التوتر لدينا، فهل هناك حقائق علمية تدعم هذا الاعتقاد؟

حتى وقت قريب، كان العلماء والكتاب في خلاف حاد حول موضوع البكاء. وفي كتاب الملك هنري السادس، كتب شيكسبير: "أن تبكي هو أن تخفف من عمق الأحزان".

ويقول الكاتب الأمريكي ليموني سنيكيت: "إذا لم تكن محظوظًا جدًا، فإنك تعرف أن جلسة طويلة وجيدة من البكاء يمكنها في الغالب أن تساعدك على الشعور بالراحة، حتى لو لم تتغير ظروفك قليلاً".

وفي المقابل، كان تشارلز داروين يعتقد أن إنتاج الدموع ما هو إلا مجرد أثر جانبي لا فائدة منه للطريقة التي تعمل بها العضلات حول منطقة العين.

ومن وجهة نظره، ينبغي أن تنقبض هذه العضلات من وقت لآخر حتى لا تمتلئ بالدماء. لذا، فإن طرد الدموع من العين هو ببساطة نتيجة غير مقصودة لهذه العملية الفسيولوجية المتطورة. (وهو يقر أيضًا أن البكاء يمكنه أن يساعد الأطفال الصغار في جذب انتباه الآباء).

ونحن الآن نعلم أن عملية البكاء لدى البالغين تعد استجابة نفسية أكثر تعقيدًا لنوع ما من المثيرات العاطفية.

وتعد الميزة الأكثر وضوحًا بالطبع خلال البكاء هي عملية ذرف الدموع، لكن البكاء يتضمن أيضًا تغيير في تعبيرات الوجه، وطريقة التنفس. فالبكاء بصوت مسموع على سبيل المثال يشير إلى سرعة الشهيق والزفير اللذين يصاحبا البكاء في غالب الأوقات.

ومن وجهة نظر علمية، يعني هذا أن البكاء يختلف عن عملية إنتاج الدموع كاستجابة لمثير كيميائي خارجي، مثلما يحدث عندما تفرك عينيك بيدك بعد تناول طعام مليء بالتوابل.

وحتى الدموع نفسها تختلف من موقف لآخر. ففي عام 1981، اكتشف الطبيب النفسي "وليام إتش. فراي الثاني" في ولاية مينيسوتا الأمريكية أن الدموع التي نذرفها عند مشاهدة أفلام حزينة، تحتوي على نسبة أكبر من البروتين، مقارنة بالدموع التي نذرفها كاستجابة تلقائية لشرائح البصل التي تقطع بجوارنا.

ولا تقتصر الدموع العاطفية على مشاعر الحزن فقط، فربما يذرف أحدنا دموعه عند مشاهدة عرض كوميدي ساخر.

وفي حين أننا جميعًا على معرفة بالمشاعر التي ترتبط بالبكاء، سواء كانت مشاعر حزن أو فرحة عارمة، ليس هناك الكثير من الأمور التي نعرفها عن السبب الذي يجعلنا نبكي نحن البالغين، ولكن هناك عدة أفكار وتفسيرات ربما توضح حقيقة البكاء.

أحد هذه التفسيرات هو أن بكاء البالغين لا يختلف كثيرًا عن بكاء الأطفال، على الأقل عندما يتعلق الأمر بالطبيعة



لا تزال الأسباب المتعلقة بالبكاء يكتنفها الغموض بشكل كبير

الاجتماعية للبكاء. وبمعنى آخر، ربما يكون البكاء مجرد صرخة حرفية لجذب الانتباه، أو وسيلة لطلب الدعم والمساعدة من أصدقائنا عندما نكون في أمس الحاجة لهما.

وهذا يعني أن البكاء وسيلة للتعبير عن حالتنا العاطفية في وقت قد لا نكون فيه قادرين على التعبير عن تلك الحالة بصورة كاملة من خلال الكلمات.

وقد يفسر هذا أيضًا بعض أنماط البكاء، فقد توصل العديد من الباحثين إلى أن البالغين يبكون في الغالب عندما يكونون بمفردهم تمامًا.

وهناك تفسير آخر يقول إن البكاء ربما يعمل على مساعدة الناس على إدراك مدى ضيقهم أو انزعاجهم من أمر ما، وبالتالي يكون البكاء هنا وسيلة لمساعدتهم على فهم مشاعرهم هم.

وهناك تفسير آخر لعملية البكاء يقول إنه وسيلة للتنفيس عما بداخلنا. فالبكاء هنا هدفه تخفيف حدة المواقف المليئة بالضغوط العاطفية.

وهذا التفسير لا يتوافق مع كلمات شيكسبير التي ذكرناها فحسب، لكنه يتوافق أيضًا مع كلمات الشاعر الروماني أوفيد، الذي كتب ذات مرة عن البكاء قائلاً: "إنه أمر مريح أن نبكي؛ فالحزن (حينها) يمكن تهدئته، ويمكن للدموع أن تحمله بعيدًا". كما كتب الفيلسوف اليوناني أرسطو أن البكاء "ينظف العقل".

> في دراسة نشرت عام 1986، توصل أحد علماء النفس إلى أن 94 % من المقالات التي تناولت البكاء في الصحف والمجلات الشهيرة في الولايات المتحدة ذكرت أن البكاء ساعد في تخفيف العديد من التوترات النفسية.

وفي دراسة نشرت عام 1986، توصل أحد علماء النفس إلى أن 94 % من المقالات التي تناولت البكاء في الصحف والمجلات الشهيرة في الولايات المتحدة ذكرت أن البكاء ساعد في تخفيف العديد من التوترات النفسية.

وتوصلت دراسة أخرى أُجريت عام 2008، وشملت نحو 4,300 شخص بالغ من 30 دولة، إلى أن معظم هؤلاء الأشخاص حققوا تحسنًا في الحالة النفسية والبدنية لديهم بعد مرورهم بنوبة بكاء.

ولم يسجل عدد قليل من مجموع هؤلاء الأشخاص أي تغيير لديهم بعد الانخراط في البكاء، بل قال آخرون إنهم شعروا بأنهم أصبحوا في حالة أسوأ من تلك التي كانوا عليها قبل الانخراط في البكاء.

ويبدو أن هذا الاختلاف يكمن في السياق الاجتماعي الذي جرت فيه نوبات البكاء تلك. فإذا كان الشخص يشعر بحرج من البكاء على الملأ، فإنه ربما يشعر أنه أقل تصميمًا على البكاء أمام الناس، مقارنة بما إذا كان بمفرده أو برفقة صديق حميم.

وتوصلت تلك الدراسة أيضًا إلى أنه عندما حاول بعض الناس كبت أو إخفاء الرغبة في البكاء لديهم، فإنهم شعروا بأنهم أقل ارتياحًا بعد ذلك.

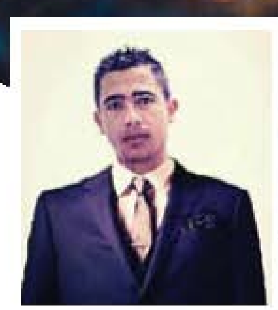
لذا، فإن الدخول في نوبة من البكاء له عدة فوائد، لكنه يتطلب على ما يبدو النوع الصحيح من الدعم الاجتماعي ليكون ذلك البكاء فعالاً. وهو ما يعني في نهاية الأمر أن البالغين قد يبكون أيضًا لنفس السبب الذي يجعل الأطفال يبكون، وهو الحصول على دعم ومساعدة العائلة أو الأصدقاء.

المصدر: BBC

الرقمنة في الفن المعاصر



يمثّل الأثـر الفنّي بمختلـف تجلياته ومعطياتـه الشـكلية والمضمونيـة، مقوما أساسـيًا مـن مقومـات تفاعليـة الـذات، فهـو يعد نتاجا تترسـخ فيه لغة الفكر والمادة مترجمة بذلك موقـف الفنان ورؤيته تجاه السـياقات الحسـية والوجدانيـة. فالفـن بوصفه نسـيجا حسـيًا وماديًـا يتوق إليه الفنان المبدع كسـبيل يفرض بواسطته قاموسـا تشـكيليًا يتسـنى له من خلاله بنـاء فعل الخلـق والإبـداع الـذي يحيطه التآلف داخل العلاقة الجدلية بين سياقي الفكر والمادة.



د. نجم الدين الدرعي
أستاذ بالمعهد العالي للفنون والحرف بسيدي بوزيد
تونس

ولكن سؤال ما الفن؟ هو سؤال يبحث في ماهية الفن وفي سبيل تطويره ابستيمولوجيًا وماديًا بحسب رهانات العصر. حيث طرأت العديد من التغيرات والتحولات في مستوى الإطار المفهومي والاصطلاحي (المصطلحات الحضارية والسياسية ...). ولا يمكن المخاطرة أو التغاضي عن هذه التفصيلات والتفريعات التي سايرت وواكبت الفن المعاصر والفن الرقمي خاصة بما هو مجال استقى أبعاده ودلالاته من منظومة "الحداثة البعدية" أو "ما بعد الحداثة" والتي تمثل في حد ذاتها هدفًا من أهداف المجال الفني القائم على التواصل الفكري والبصري. حيث "استطاع العلم والفن أخيرًا أن يصلا إلى قمة درجات الامتزاج ليحققا أجمل صورة، لتعانق نتاج العقل وثمار الوجدان في سبيل الارتقاء بالقيم الحضارية الإنسانية، وتحقق حياة أفضل للإنسان على هذه الأرض"[1].

لم يعد الفنان التشكيلي بمنأى عن التطورات والتحولات المعاصرة، بل أنه سعى جاهدًا ليلتحق بالركب ويطوع هذه التقنيات لخدمة أفكاره، ليخاطب إبداعهُ إنسان عصره بلغة مرادفة للثقافة السائدة، ليتخرط المبدع التشكيلي مع المبتكر العلمي لأجل تقديم أعمال فنيّة تقرأ بلغة عصرها، وأحيانًا يستغل هذا وما توصل إليه ذاك ليكمل رحلة الإنتاج، الحقيقة الفنّية إذن قد لا تكتمل بالنسبة لهؤلاء بدون اللجوء إلى مثل هذه الأدوات التقنيّة والتي تساعد في البحث وتطوير لغة الخطاب فيه، والتي من ضمنها يمرر أفكاره حول العالم والأشياء. وفي هذا طوع الاستراتيجيات الرقمية لتحمل فكرة ممارسته وتكون وسيطًا للتعبير وحاملة لمنظومة فكرية استطيقية مزاوجة بين المادة الفنيّة الانشائية والأسلوب العلمي التقني. وما قدمه هذا المد العلمي من أساليب وأفكار للبناء الإنشائي والجمالي لفضاء العمل وهو ما سنلاحظه من خلال الوقوف على أحد الفنون المعاصرة، والتي اقتبست تسميته من الرقمنة، وهو الفن الرقمي الذي يعني مجموعة الوسائل التي يستعمله الإنسان للوصول إلى نتيجة فنيّة باستعمال الحاسوب وذلك بمساعدة عدة برمجيات رقمية أو انطلاقًا من مصدر خارجي مثل الصور الفوتوغرافية أو الرسوم التي تستعمل خلالها الآلة لتمريرها على شاشة الحاسوب. وما يميز هذا الفن (الرقمي) هو اللجوء إلى المعالجة التقنيّة للأثر الفنّي من خلال مجموعة المفاهيم التي تتعلق بأساس الموضوع الفنّي، هذه المفاهيم تجتمع في ستة أقسام عملية (الوسطية . المفهمة . التوليد . النتائج

> “ مثلت الرقمنة في الابداع التشكيلي عنصراً أساسيًا لدى بعض الفنانين مثلما كان الشأن بالنسبة للريشة والألوان الزيتية... بمعني آخر رصد تأثير التقنيات العلمية والتقنية في توجيه ملامح التفكير والكيفية التي تغيرت فيها معطيات التعبير من نقل الواقع الطبيعي إلى التعبير منه ”

القياسية . التجربة . عمل لذاكرة). فقد أصبحت الرقمنة كتقنية في الفنون التشكيلية تقوم على مواد رقمية غير ملموسة، وتمثل في حد ذاتها حدثًا مصطنعًا من مادة غائبة، حيث يصفها "بيار لفي" "تراكمات رقمية كامنة حسية وإخبارية التي لا تفعل إلا إذا دخلت في علاقة تفاعلية مع الإنسان"[2].

كيف يمكن للفن الرقمي أن يصور المادة بطبيعته غير المادية؟ أو بمعنى آخر كيف يمكن للأثر الرقمي أن يعبر عن الفكرة بدون اللجوء إلى استعمال المادة؟

تساؤلات عديدة من هذا القبيل هي التي جعلت تاريخ الفنون التشكيلية المعاصرة يولي أهمية كبيرة لموضوع تبني التكنولوجيات الرقمية في الممارسات التشكيلية، حتى أصبحت مسألة محورية في الفنّ، تواصل في إحداث وإثارة جدل حاد، بين المؤيد والمندد...

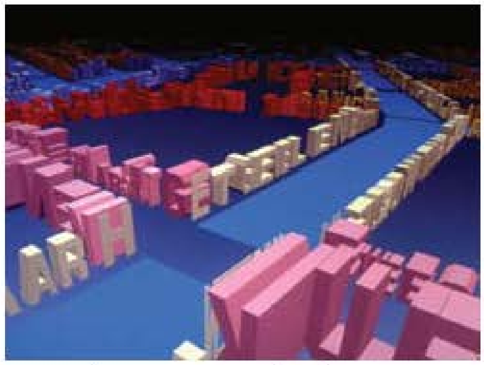
لقد تأسست مع هذه المتغيرات في حياتنا عادات ثقافية جديدة مختلفة عن سابقاتها تنبني على علاقات ومفاهيم جديدة في عالم من الآلات، الأرقام، الافتراض والخيال...

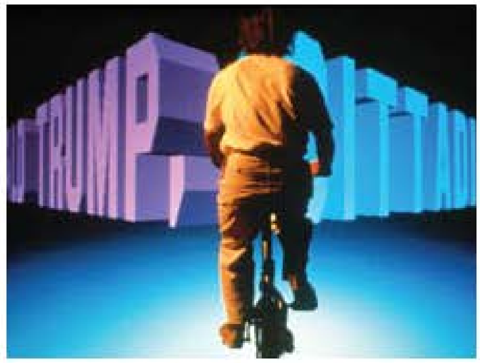
وكما هو حال ثقافتنا، شهد الفعل الفنّي في عصرنا هذا تحولات هامة. فأمام هذا التحول الجذري الذي تشهدهُ علاقتنا التواصلية بعالمنا الخارجي، لم يعد بإمكان الفنان أن يكتفي بتجاهل هذا التغير الذي أدى إلى طرح إشكاليات زادت من الإبهام والالتباس الذي يكتنف موضوع الفنّ، زيادة على هدم كل ما هو كلاسيكي من القيم بفعل هذه الوسائل الرقمية. وبتنا نتوقع التخلي عن الورشات التقليدية لفائدة ممارسات تشكيلية تجعل الفنان في تفاعل مباشر مع الآلة خلال إنجازه لأثره الفنّي الذي يمكنه التحكم فيه وتطويعه وتغييره.

مثلت الرقمنة في الابداع التشكيلي عنصرًا أساسيًا لدى بعض الفنانين مثلما كان الشأن بالنسبة للريشة والألوان الزيتية... بمعني آخر رصد تأثير التقنيات العلمية والتقنية في توجيه ملامح التفكير والكيفية التي تغيرت فيها معطيات التعبير من نقل الواقع الطبيعي إلى التعبير منه. في زمن تعودنا فيه أن يكون تلقي العمل الفنّي يدويًا يكون فيه جمع بين ملكتي العقل واليد وقدرتها على تحويل ما في حيّز الفعل وهو ما نفتقد إليه اليوم في الممارسات المعاصرة التي تحولت إلى إنتاج صور رقمية متطورة تقنيًا رهانها فاعلية الابتكار العقلي. في زمن فقد فيها اللون أهميته من حيث كونه ممارسة يدوية تمتزج فيها القيم اللونية وتصطبغ ببعضها لتقديم اللون الأمثل، إذ لم يعد الفنان ذلك الملهم المتزوي في إعداد خلطاته وألوانه وعجائنه ومعداته المحسوسة، وكأنه ذلك الخيميائي الذي يسعى، وعبر جملة من التكهنات والطقوس إلى تحويل المواد الخسيسة إلى أخرى نفيسة كالذهب والفضة... بل دأب الفنان على تأهيل عتاده المعرفي وتنمية مدركاته العلمية والتكنولوجية لتحقيق هذا الحوار وهذا التكامل بين الفن والمعرفة، ليشيد بذلك معالم وملامح فن راهن على التكنولوجيا الحديثة والمتطورة، فألفى كما صرح علي نبيل "خطوط التماس الفاصلة بين التخصصات المعرفية بكل ما يعنيه ذلك من مجازفة ومسؤولية مضاعفة لإرضاء أهل التخصص على جانبي خطوط التماس هذه"[3].

حيث صرنا اليوم، ولا ريب في ذلك نشهد تجسد وتشكل ظاهرة جديدة تحمل في طياتها جمع شمل كل من الفنان، المهندس، والتقني... في الأثر الواحد، لتعكس بالتالي علاقة تكامل، تأثر وتأثير أساسها الأخذ والعطاء بين الأبعاد الفكرية والتشكيلية والضوابط التقنيّة والتكنولوجية، لتسجل بالتالي معالم شراكة وتواشج قد تصل بعض الأحيان إلى حد الاندماج والتماهي بين الفن وتلك التكنولوجيات ذات الذكاء الاصطناعي، إذ أصبحت هذه الأخيرة بمثابة الذات الأخرى أو الذات القرينة للفنان يشكلان ويبنيان الأثر الفنّي معًا على أسس التبادل والتفاعل بين الفكر والتقنية، حيث تذهب "آن ماري دبقات" للإقرار بـ"أن الخاصية (الظاهرة) الرئيسية لهذه الآثار الفنية تكمن







جافراي شاو: المدينة المقروءة (1989)، تنصيبة تفاعلية اعتمادًا على صور توثيقية



"أندموند كوشو"، "ميشال برات"، "ماري هيلان ترامبس": أثر في كل الرياح (1996)

في طبيعة منتوجهم الذي غالبًا ما يكون جماعيًا"[4]، ولعل التعاضد والتشارك بين فنانين أقبلوا من حقول ومجالات مختلفة قد تضاعف في بداية السنوات الستين، وخاصة في الولايات المتحدة حول الرقص الجديد و"الهابنينغ" إضافة إلى الالتفاف حول مشاريع متضمنة لأساليب وأنماط مختلفة للتكنولوجيا"[5]، واستيعاب ما يمكن أن ينتج عن هذا التزاوج الفكري والتطبيقي بين تلك المجالات التي تبدو وللوهلة الأولى متعارضة ومختلفة كل الاختلاف لكنها في الأصل متكاملة ومتناسقة مع بعضها البعض.

لقد أصبحت الألوان اليوم شأنًا رقميًا تقنيًا تلاحظه العين وتعوزهُ اليد كملمس، فالألوان لم تعد شيئًا ملموسًا بل إنها أصبحت كلها موجودة ومخزنة في الآلات وحتى الأشكال كلها متوفرة بالدقة المطلوبة وبفرضيات متعددة تحضر وتتمثل للعين بمجرد الضغط على زر ما، إذ يكفي تجهيز جهاز الحاسوب ببرمجة متخصصة حتى نمتلك اللون و نوزعه دون أن تختلط أيدينا به.

فمادة الأثر الفنّي الرقمي هي مادة نظرية على عكس ما نجدهُ مثلاً في العديد من الاتجاهات والتيارات الفنّية على غرار التكعيبية التي استعملت المادة باعتماد على تراكم الأشكال (الكولاج)، فكل مادة رقمية تبرز المفاهيم التي تستند عليها لأنها تنشأ عن طريق التكرار على مستوى الأشكال وأيضًا المعنى الذي يكون العمل الفنّي، إذ يقول "جيل دولوز" في هذا الصدد "ينتمي التكرار إلى عناصر مختلفة ومع ذلك فهو يحمل نفس المعنى"[6].

يأتي الفن الرقمي كفن لمفهوم معين، لا يدرك انطلاقًا من الخطاب الذي يحمله كالفن المفهومي بل من خلال التحليل المفهومي لنظام الرموز التي يستعرضها كموضوع. فهو فن تجسيدي لنموذج مجسم في معناه الخاص بالرياضيات، وللوصول إلى الموضوعية لابد من تصور تجريدي تشكيلي ينتج فيه كل إمكاناته الإبداعية.

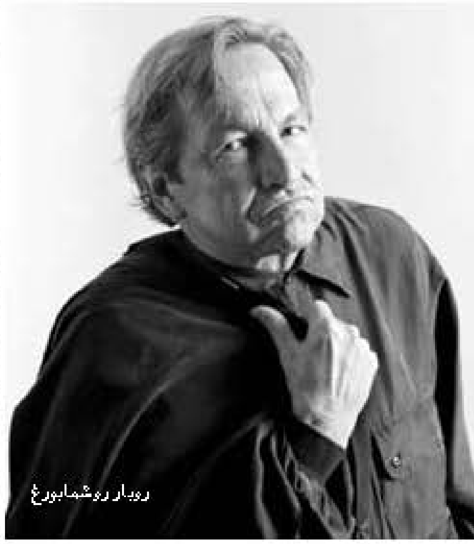
لقد أصبح الفنان التشكيلي في السنوات الأخيرة بين فكي التجديد والتراث، خاصة في ظل التغيرات الحاصلة نتيجة التطورات المذهلة في العلوم والتقنيات المرتبطة بمجالات الفن التشكيلي والمؤثرة فيه. إذ جعلت كل هذه التحولات محاولة الفنان في استيعاب وتمثل تلك الأساليب المستحدثة وذلك من خلال بروز عدة توجهات وتجارب تحمل في طياتها تشكيلات توحي لنا بميلاد نمط أو بالأحرى عصر جديد في الفن، تجاوزت فيه أساليب وآليّات الفعل والتشكيل من المواد المختلفة والتقنيات المتعارفة إلى أطوار وأنماط أخرى عمقت تلك الشراكة وذلك التلاقح بين الفنان من جهة والمهندس والتقني والعالم من جهة أخرى. ولعل الفنان "روبار روشمابورغ" (Robert Rauschenberg*) هو خير دليل على هذا التمشي إذ رسم لنفسه توجهات تأخذ بعين الاعتبار هذا الأخذ والعطاء بين المجالات المختلفة حيث قام بإنجاز أثر فنّي تفاعلي بمعية المهندس "بيللي كليفار" (Billy Klüver)، ارتكز بالأساس على استثمار التقنيات التكنولوجية وخاصة منها المرتبطة بالصوت لإدماجها بالتالي ضمن المنظومة الإبداعية لإخراج المتلقي من مجال السلب ليصبح عنصرًا مساهمًا ومشاركًا في صياغة الأثر وتشكلهُ، بل إن الأثر في حد ذاته هو ترجمة وانعكاس لإيقاع التنفس ودقات القلب وتدفق الشرايين المنبعثة من المتلقي الموصول بأجهزة إلكترونية تقوم برصد الدقات والنوتات الفيزيولوجية والتي للمتلقي حرية تغيير نسقها ولو جزئيًا كأن يتحكم في إيقاع ومعدل تواتر تنفسه... وتخضع هذه الآليات بدورها إلى معالجات ومضخمات صوتية لتنعكس في الأخير في شكل بيانات وتعرجات ونوتات وألوان متدفقة ومناسبة في حركة دائمة وغير مستمرة على شاشات كبيرة مصحوبة بإيقاع ورنات صوتية غريبة وغامضة هذا إن لم نقل هجينة. ولنا في هذا الصدد أن نتطرق إلى التنصيبات الصوتية لصاحبها "ماكس نيوهاوس" حيث يصفها "بول أردان" كالآتي: "تتكون هذه التنصيبات في الغالب من انتشار وإشعاع ضجيج ذي ترددات وتوترات منخفضة استنادًا إلى آليات كهربائية والكترونية. هي منحوتة صوتية؟ استحضار للشكل. إجراء يكشف بصفة أولية ومسبقة رغبة جامحة للتدخل؟"[7]

كما دأب في بداية الستينيات الفنان "نام جون بايك" وهو أحد رموز وأقطاب "فن الفيديو" وأبرز دليل على بداية تموضع الرقمنة في الفن إذ "تعود التجارب الأولى في فن الفيديو إلى سنة 1962 و1965 في التيار الفني فلوكسيس... متمثلة بالتحديد في مجموعة من شاشات التلفاز المنصبة في شكل عمل فني للفنان نايم جون بيك."[8] حيث أصبحت هذه التقنية تمثل عنصرًا أساسيًا في أعمال هذا الفنان وهو ما نستنتجه من ضمن مستجدات عمله المعنون Distorted TV. ففي هذا العمل عمد الفنان "جون بيك بتنصيب ثلاثة عشرة شاشة تلفاز تذيع نفس الصور، يرنو من ضمنها الفنان إلى كسر النظام الكلاسيكي لتقبل الصورة من خلال إدخال التلفاز كوسيط فنّي بين المشاهد والأثر الفني.

إن تموقع الرقمنة في الفن يجعله أكثر حداثة مما سبق، هذا التحول الجديد في أدوات واستراتيجيات التعبير والمواد المستعملة، يضعنا أمام تعدد محاولات التعبير والابداع التي من ضمنها تذهب بنا بعيدًا عما ترسخ لدينا من رؤى فنيّة تتعلق بماهية الفن. "فعمل الفيديو لفنان "جون بيك"، إذ كان ينفتح على رؤى ترتكز بالتحديد على التقنيّة وعلى علم الجماليات (الصور المحرفة Distorted image)... فذلك يعني السعي وراء عملية تشكيلية تركيبية ترتكز على التقنيّة الرقمية."[9] ويبرز ذلك حين يعتمد الفنانون التشكيليون أسلوبين متباعدين نسبيًا، أحدهما يشدّ العمل الفنّي إلى ما هو حداثي من حيث الفكرة والمضمون والتقنيات والوسائط المعتمدة. أما الثاني فيتجه إلى إحياء الأشكال الفنيّة التي رسخت في ذهننا في الفترة الكلاسيكية وذلك من خلال إعطاء العمل الفنّي شكلاً جديدًا.

تتجه الممارسات الفنيّة المعاصرة إلى البحث عن التجديد، وذلك بتوليد أشكال واستراتيجيات فنيّة تستخدم التقنيات الحديثة كالفيديو والحاسوب وغيرها مما ترسخ في وسط المجتمعات الصناعية المتطورة والتي تولدت من حيثياتها مفاهيم متجددة على غرار الصورة الرقميّة التفاعليّة. "فالعوالم الجديدة الناتجة عن الفن الافتراضي ولدت لغة جديدة انصهرت في الفن."[10] وعكست عالم جديد غير مألوف أنبنى وتشكّل من عوالم افتراضية وخائلية محتملة الوجود تارة رغم النسق الغرائبي الذي يسودها ويكتنفها، وكثيرة الشبه والمطابقة والواقع الحقيقي والمتعيّن تارة أخرى رغم أنها سليلة الأرقام المجرّدة والرموز البيانية، تسمح للمتلقي بأن يخترق واقعه الفيزيائي ليجوب ويغوص في تلك المعالم الافتراضية متفاعلاً معها ديناميًا نتيجة خداع


جافراي شاو


روبار روشنبورغ


بيللي كليفار

الحواس أولاً وما تولده الصورة التأليفية ثانيًا من خداع وإيهام ومحاكاة اصطناعية.

ولعلّ من أبرز الناشطين الذين ساهموا في إثراء ونشأة هذا الفن، نجد أيضًا الفنان الأسترالي جافراي شاو وهو أحد أبرز الطلائعيين هذا الفن كشفت أعماله عن أسبقية في السلم الزمني ولعلّ من أبرز أعماله "المدينة المقروءة" "The legible city" سنة 1988 "حيث تشكّل الطرقات من هندسة الحروف بل الكلمات والجمل... ثم إن وضعيّة (المدينة المقروءة) تستوجب ضرورة تدخلاً ونشاطًا فيزيائيًا لولوج ذلك الفضاء المجازي والاستعاري. ولكن ما يحدث يخضع ويتوقف بدوره وبصفة قطعية على تدخلات وقرارات المستعمل إذ يستطيع أن يقود بسرعة أو أن يقود ببطء أن يدور ويلتف ذات اليمين وذات الشمال أو يأخذ مختصرات"[11].

هذا إضافة إلى أثره المعروف "المتحف الافتراضي" (The virtual Museum) سنة 1990، حيث يعتلي المتلقي كرسيًا دوارًا له حرية التحكم في سرعته وسط غرفة تحيل جدرانها على غرفة متحف، يعايش فيها هذا المتلقي ولوج واختراق تلك الجدران ليتخرط بالتالي في حقل دلالي واستعاري تكثفه الأحرف والرموز المتحركة لتبرز تارة وتختفي طورًا آخر.

ويستدرجنا هذا التمشي للوقوف على أبرز الفاعلين في الفن الافتراضي ألا وهم الفنان "أدموند كوشو" و"ميشال برات" المختص في البرمجيات و"ماري هيلان ترامس" المختصة في دراسة تلك الممارسات والأعمال للاطلاع على أساليبها التقنية وأبعادها الإستطيقية والتقصي في مدى فاعليتها ومدى تواصلها التفاعلي مع المتدخلين في عملهم الجماعي "أنثر في كل الرياح" "je sème à tout vent" سنة 1996، حيث يعايش المتلقي في هذا الأثر تفاعلات جديدة قوامها النفخ كفعل يؤتيه المتدخل على جهاز صغير مرتبط بشاشة الحاسوب لخوض التجربة الإبداعية التي تجعل من المتلقي عنصرًا فاعلاً ومساهمًا في تشكّل هذا الأثر لتنفتح وعلى هذا الأساس تلك الزهرة البريّة المتشكّلة من جزئيات صغيرة ومتماسكة والتي تتشتت وتنتشر على كامل مساحة الشاشة في تدفق واسترسال غنائي وفق تكوينات مختلفة ومتشعبة ومتجددة نتيجة لاختلاف طبيعة النفخ الذي يخضع إلى آليات رقمية وأجهزة تكنولوجية ذكية تفككه إلى رموز وبيانات حسب القوة والمدّة، ليحوّل آنيًا إلى معلومات رقمية مطابقة له ترسي مبادئ تلك الحركة والتغيّر الذي تعيش أطواره الزهرة البريّة الماثلة على شاشة الحاسوب. ويعلل جون لويس بواسياي أهمية تدخل المشاهد الذي أضحى عنصرًا مكملاً للأثر بقوله "أنفخ في كل الرياح تشير إلى نوع من الصور التي تستدعي بصفة جوهريّة وأساسية لتوجد وتتمظهر تدخل الجمهور. إن نفخ ونفس المشاهد يصبح جزء من الصورة، وهو ضروري لها مثل ضرورة الضوء للوحة، ومثل ضرورة المترجم لتقسيم الموسيقى"[12].

لقد بينت هذه الممارسات الفنّية مدى قدرة الرقمنة على الارتكاز كوسيط فنّي تحديثي تستدعي عدة مفاهيم لها قراءتها التشكيلية الخاصة، هذه المفاهيم المستحدثة شكلت معظم محتويات الأعمال التشكيلية الرقميّة، بوصفها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بأدوات وتقنيّات تحول الصورة في شكلها من التبسيط إلى التعقيد والتركيب التكنولوجي وعلى منظومات متداخلة ومؤثرة في الممارسات الفنّية. "فإلى حدود ظهور الفن الرقمي، كان الفنانون يستعملون مواد وتقنيّات تنتمي إلى العالم الحقيقي، يعني محسوسة وفيزيائيّة وخاصة بالمواد الطاقيّة. أما المواد الرقميّة، في العموم مختلفة، فالرسام أو المصور... لا يعمل عن طريق الأقلام والريشة واللوح والحديد والإضاءة وإنما عن طريق الرموز التي تكون البرمجيات الرقمية."[13] وهو ما جعل التحول لا يخص جوهر الصورة، بل تعداه ليشمل صناعة الأثر التشكيلي، حيث اندمجت الوسائط الجديدة لتقلب قواعد الإنتاج وترسي خطابًا تشكيليًا يقطع مع التقليد، تكشف عن توق الفنان لاستثمار تلكم الإمكانات التكنولوجية في سياق جمالي وتشكيلي مغاير لضوابط الفعل والإبداع المتعارف عليه، متيحة بذلك للفنان والعمل الفنّي على حد السواء الانفتاح على مجالات أوسع كفيلة بطرح رهانات ودلالات تشكيلية عميقة والانخراط بالتالي في مدار لغة تشكيلية مستفيضة المعاني والمضامين المضمرة فكرًا وشكلاً قطعت خطوط التماس ونقاط التواصل مع التقاليد السائدة، باعتبار أن تأثر الفنون التشكيلية بالمعطيات والمضامين الجديدة كان واضحًا على امتداد التيارات الفنيّة السالفة، وهو ما نستشفه من ضمن تأثر فنان مدرسة النهضة بالجمال الرياضي للمنظور وبداية توظيف نقاط التلاشي والأدوات الهندسية في أعمالهم التشكيلية. وهو الأمر الذي أدى لظهور قواعد ومعايير دقيقة في مجال الفن.

المراجع:

1 - حسني إيناس :"الأندلس الحضاري الأوروبي " – سلسلة عالم المعرفة العدد 366، الكويت، أغسطس 2009، ص 119.
2 - Lévy Pierre, Cyberculture (Rapport au conseil de l'Europe) Ed. Odile Jacob, Paris, 1997 p173.
3 - نبيل علي، المرجع المذكور، ص 8.
4 - Duguet (Anne-Marie), Déjouer l'image, créations électroniques et numériques, Critiques d'Art, éditions Jacqueline Chambon, Nîmes, Mai 2002, p128.
'Un aspect essentiel de telles œuvres est la nature souvent collective de leur production'
5 - Duguet (Anne-Marie), Ibid, p128.
'La collaboration entre artistes venant de champs différents se multiplie au début des années 60 et particulièrement aux Etats-Unis autour de la nouvelle danse et du Happening, ainsi qu'aux travaux de projets impliquant de diverses manières les technologies'.
6 - Deleuze Gilles, Différence et répétition, Ed. Minuit, Paris, 1968 p26.
* Robert Milton Ernest Rauschenberg (1925-2008) est un artiste plasticien américain. Il appartient au mouvement Neo – Dada est le précurseur du Pop Art. ses réalisations vont de la peinture à la gravure, en passant par la photographie, la chorégraphie et la musique.
7 - Paul Ardenne, l'âge de l'art contemporain une histoire des arts plastiques à la fin 20 siècle, Edition du Regard 14, Paris 1997 p243.
'Les installations sonores de Max Neuhaus, consistant le plus souvent en la diffusion d'un bruit de basse fréquence au moyen d'appareils électriques et électroniques. Sculpture sonore ? Evocation de la forme-limite ? Procédure relevant en priorité d'une volonté d'intervention? "
8 - Paul Ardenne, l'âge de l'art contemporain une histoire des arts plastiques à la fin 20 siècle, Edition du Regard 14, Paris 1997 p262.
9 - Op. cite, p263
10 - Op. cite p271
11 - "Cet espace est une ville lisible (The legible city) dont les rues forment une architecture de lettres. Voire de mots et de phrases… le cas de la "ville lisible" nécessite du reste une activité physique pour pénétrer dans l'espace figuré. Mais ce qui s'y passe dépend lui aussi totalement de l'intervention et des décisions de l'utilisateur. Il peut rouler vite. Il peut rouler lentement, tourner à droite. A gauche ou prendre des raccourcis". Fricke (Christiane), Cité in: Ruhrberg. (Manfred) Schneckenburger (Christiane) Fricke (Klaus) Honnef in L'art au XX ème siècle. Volume II, sous la direction de Ingo F. Walther, éditions Taschen, 1998, p.616.
12- "je sème à tout vent" désigne un type d'images qui appelle fondamentalement pour exister l'intervention du public. Le souffle du spectateur fait partie de l'image, il lui est nécessaire comme la lumière sur un tableau, comme l'interprète pour la partition musicale". Boissier (Jean-Louis), l'interactivité comme perspective, publié dans les traverses de l'image, Art et littérature, Cité in: Annick Bureaud, Les basiques: Art multimédia, Leonardo olats et Annick Bureaud, Avril 2004, Cité in : http://www.olats.org/livresetudes/basiques/6_basiques.php
13 - Couchot et Hillaire ; l'art numérique comment la technologie vient au monde de l'art ; Edition Flammarion, Paris 2003, p 25.



أصوات النهامين تخفت فوق سفن البحارة في الخليج

يُعد فن "النهمة" من أهم أنواع الفن الشعبي البحري المعروفة منذ القدم في منطقة الخليج العربي، حيث كان النهام يطلق من على سطح السفينة العديد من الأنغام والألحان البحرية تحت ظلال شراع السفينة وكانت همة البحارة تزداد وهم ينصتون إلى صوته الشجي عندما يردد المواويل الشعبية التي تهزهم عند سماعها فتحرك شجونهم وتمدهم بالطاقة والحيوية اللتين تساعدانهم على إنجاز المهام الموكلة إليهم في رحلة البحر المحفوفة بالمخاطر.

وفن "النهمة" أحد الفنون الشعبية البحرية القديمة التي كانت مقتصرة على البحر والبحارة في سواحل الخليج ما بين البصرة وسلطنة عمان، تغنى بها البحارة حينما كانوا يجوبون البحار بسفنهم للغوص أو التجارة سعياً وراء قوتهم.

والنهمة (بتشديد النون وتسكين الهاء) تعني بلوغ الهمة أو الصوت الزجر وقد تحولت بمرور الزمن من لهو بحري تشجيع البحارة على القيام بأعمالهم إلى فن بحري خالص له قواعد ثابتة بالأداء وإلى لون من الغناء الجماعي الفلكلوري يصاحب البحارة منذ بدء رحلتهم في عرض البحر ومقارعة الأمواج والعواصف والعمل الشاق.



"وتغنى بهذا الفن الخليجيون القدامى وصدحوا بـ"اليامال" متأثرين بخليط من الفنون العدنية والخليجية والهندية والأفريقية نتيجة اتصالهم بتلك الشعوب مستلهمين من أصوات الموج وهدير البحر وصرير الصواري في تشكيل غنائهم البحري."

لا سفينة بلا نهام

يُعد النهام البحري الركيزة والمحور الذي يقوم عليه الغناء وهو الاسم الذي يطلق على مغني السفينة ويتجاوب البحارة مع ما يصدر عنه من أغان تعبر عما في صدورهم من ألم الفراق والبعد عن الديار كما كان يشجع بغنائه كل من على السفينة على تحمل المشاق والصبر بالابتهالات والدعاء كنوع من بدايات العمل.

وللنهام عدة صفات يجب توافرها أبرزها قوة الصوت وطبقاته كي يزود البحارة والنواصين بالطاقة حيث كانت الأغاني تبدأ دائمًا بذكر الله.

وتعد مهمة النهام أساسية في أي رحلة ولا تكاد تخلو سفينة من نهام إلى ثلاثة نهامين يتقاضون أضعاف ما يتقاضاه البحارة.

وتغنى بهذا الفن الخليجيون القدامى وصدحوا بـ"اليامال" متأثرين بخليط من الفنون العدنية والخليجية والهندية والأفريقية نتيجة اتصالهم بتلك الشعوب مستلهمين من أصوات الموج وهدير البحر وصرير الصواري في تشكيل غنائهم البحري.

ويقول الباحث والفنان فتحي الصقر لوكالة الأنباء الكويتية (كونا)، إن "فن النهمة متشابه في الخليج ليست فيه اختلافات إلا في التنازيل (أي الأغنية) أو الشيلات إذ تكثر الشيلات في البحرين والإمارات وعمان مقارنة بالكويت".

وأشار الصقر إلى أن "الاختلاف أيضًا في السرعات وفي أداء الغناء (المد) ونوعية الغناء"، مسترشدًا بالاختلاف بين فن الدواري في البحرين والكويت.

وذكر أن الاختلاف يكون أيضًا في طريقة العزف وفي أداء الخطفة (وهي من الأغاني التي تؤدى أثناء رفع الأشرعة أو خطف الشراع)، فرغم أنها من نفس الميزان إلا أنها تختلف في الأداء إذ أن أهل البحرين أسرع في أدائها. كما يعرف عنهم أنهم يعدون في غنائها. أما أهل الكويت فإنهم يأخذون الطابع الثقيل والسهل الممتنع في أداء الفنون البحرية ولا تغلب عليهم السرعة في أداء الأغاني البحرية بل إن سرعتهم تعد متوسطة.

وأوضح الصقر أن "أهل الكويت تميزوا بفن الصفقة الذي يعد قويًا وكانوا لا يفضلون السرعة فيه. في حين أن أهل البحرين مثلاً وفي فن الحدادي (وهو من أغاني الترفيه والسمر والترويح عن النفس وليس العمل) يدخلون الصفقة في أي وقت وتستمر للحظات وتنتهي" وغناؤهم دائمًا سريع الوتيرة حتى في الفنون الأخرى كـ"الحماري".

ويتفرد أهل الكويت عن سائر دول المنطقة بفن السنكني، بكسر الكاف، نتيجة لأسفارهم خلافًا لأهل البحرين الذين كانوا يمارسون الغوص فقط.

ومن خلال ما سمعوه في أسفارهم من إيقاعات وأصوات لأجراس الكنائس خرج الكويتيون بفن السنكني وهي كلمة تعني ثقيلاً، فكأن اسمه الفن الثقيل وهو فن يحتوي على أجزاء كبيرة ومعقدة في الإيقاعات والأداء والرقص وهو الوحيد الذي يحتوي على آلة نفخ (الصرناي) أو المزمار.

وفي هذا الإطار يقول الباحث علي صالح الرومي إن فن "السنكني يمارس أثناء الاحتفال بترميم السفينة بعد الانتهاء من تصليحها وسد الفتحات وصبغها لتصبح جاهزة للإبحار".

مدارس مختلفة في الأداء

يقول الرومي إن "كل دولة في الخليج لها مدرسة مختلفة في أداء النهمة وذلك بحسب الأغاني الخاصة بالعمل. فأهل البحرين تميزوا بـ"اليحلة" وهي نوع من الفخار واستخدمت كإيقاع ثم أخذها أهل الكويت منهم".

ولكون البحرينيين والقطريين من أهل الغوص فقط فإنهم يقضون مدة أقل في البحر، لذا انتشرت فنون الترفيه والسمر عندهم أكثر من فنون العمل، فتميزوا بـ"الدور" المنتشر على ساحل البحر حيث يتجمع فيه البحارة لأداء جلسات يطلق عليها اسم الأنس يتسامرون فيها ويغنون العديد من الفنون مثل الحدادي والفجري.

ويعد فن الفجري من الفنون التي انطلقت أساسًا من أهل البحرين والمتعارف عليه لديهم بأنه يكون فقط في حال وجدت معه عدة آلات.

أما فن الحدادي الذي وصل إلى الكويت من البحرين أيضًا فهو من "الحداي" ويبدأ بـ"الزهيرية" قبل بداية الغناء ويطلق عليه أهل الكويت اسم "الجرحان" وتعني اشرح وقيل اجرح، والحدادي دائمًا يبدأ بزهيرية لا بموال.

وتميز أهل عمان والإمارات بالشيلات ويعتمدون عليها أكثر من "النهمة" وغلب عليهم هذا الطابع لعدم توفر الوقت الكافي للسمر لأن منطقتهم أقصى من باقي دول المنطقة وذلك لبعد مغاصات اللؤلؤ.

ولم يكن في رحلات غوصهم الكثير من عدة الفنون كالطبول وغيرها ونتيجة لذلك اعتمد الإماراتيون أكثر على الأداء الصوتي والضرب بالأقدام على سطح السفينة. في حين استخدم الكويتيون الإيقاعات في سفنهم. كما اختلفوا أيضًا عن الكويت والبحرين وقطر في اللحن لأن معظم غنائهم "سواحلي" من زنجبار وأفريقيا واعتمادهم على الشيلات يحدث عندما يكون النهام غير موجود على السفينة حالهم حال معظم أهل دول الخليج.

ومثلما ينتقي قبطان السفينة (النوخذة) ومساعده (المجدمي) البحارة الأشداء فإنهما ينتقيان أيضًا النهام صاحب الصوت الصداح والنهمة الشجية التي تثير البحارة وتشحذ هممهم وبسبب هذا الدور المهم يحظى النهام بالكرم وحسن المعاملة.



أستانا.. بلاد الترمذي والفارابي

تُعد كازاخستان تاسع أكبر دولة في العالم، حيث تعادل مساحتها مساحة غرب أوروبا بمساحة تقدر بـ 2.7 مليون كيلومتر مربع.

وعدد سكانها لا يتجاوز 17 مليون نسمة، والعاصمة الجديدة لكازاخستان هي أستانا.

نشأت المدينة عام 1810م بوصفها قاعدة عسكرية للجيش الروسي، ثم ما لبثت أن ازدهرت وأصبحت مدينة عرفت باسم أكمولنسك. وفي خمسينيات القرن العشرين عندما كانت كازاخستان إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق اختارت الحكومة المنطقة التي تقع فيها أكمولنسك لإقامة مشروع الأراضي العذراء، وهو مشروع للتنمية الزراعية. وفي عام 1961م، أطلق على أكمولنسك اسم تسلينوجراد الذي يعني مدينة الأراضي العذراء.

وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991م، أصبحت كازاخستان دولة مستقلة، واتخذت المدينة اسمها الكازاخي أكمولا. وفي عام 1997م، تم نقل عاصمة كازاخستان من الما آتا إلى أكمولا التي تقع وسط البلاد. وفي عام 1998م، أطلق على أكمولا اسم أستانا الذي يعني عاصمة في اللغة الكازاخية.

أستانا ليست عاصمة كازخستان فقط، بل هي عاصمة أقصى الشمال في العالم الإسلامي، كما أنها تعد ملتقى ديانات العالم وتمكنت من جذب أكثر من 10 قوميات على رأسها الكازاخ، يليهم الروس والأوكران والألمان والأوزبك.

وليس سهلاً أن تبني مدينة للقرن الحادي والعشرين دون أن تتخلى عن تاريخ القرون السابقة، لكن شعب الكازاخ نجح في هذا التحدي وجمع مضمون التاريخ في أحدث شكل حضاري في عاصمته الجديدة أستانا.

وقد تغير اسم أستانا كثيرًا عبر التاريخ، بخلاف واقعها الذي لم يتغير، آخر اسم حملته المدينة كان " أكمولا ". قبل أن يصدر رئيس الجمهورية نور سلطان نزاربايف عام 1997 مرسومًا رئاسيًا بإعلانها عاصمة لجمهورية كازاخستان.

وفي 6 مايو عام 1998 تغير اسم المدينة لتصبح أستانا، وتعني حرفيًا "العاصمة".

ففي شارع واحد ترى ثقافة هذا الشعب المتنوعة.

فقد جعل الكازاخستانيون الأسطورة واقعًا حين شيدوا برج الـ Bayterek، أو شجرة الحياة، والذي يمثل رمز التحول والتغيير الذي تشهده العاصمة، وفي قمته وعلى ارتفاع 100 متر شكل رمزي لبيضة السمروك، وهو طائر السعادة الأسطوري، ومن داخل هذه البيضة تظهر لك أستانا بالكامل، وهو من تصميم المعماري البريطاني السير نورمان فوستر.

ليس ببعيد عن برج شجرة الحياة، يمثل هرم السلام، المعروف أيضًا باسم قصر السلام والمصالحة، وهو ملتقى لممثلي الديانات الكبرى يجتمعون داخله لمناقشة كيفية نشر السلام والوئام والتعايش بين الديانات.

وبين رمزي الدين والثقافة في المدينة، وعلى الخط نفسه، توجد السياسة أيضًا، إذ يقع مبنى مقر الرئاسة الذي يشبه البيت الأبيض في الولايات المتحدة ولكنه أكبر منه حجمًا.

"نور أستانا" هو المسجد الرئيسي في المدينة، يبلغ طوله 40 مترًا وطول المآذن 63 مترًا.

أما الخيمة الملكية أو خيمة خان شاطر، فقد وصفت بأنها أكبر خيمة في العالم، سقفها مصنوع من مادة شفافة مرنة وتوفر بيئة مثلى لمحبي التسوق، وتعد من أكثر المعالم الإبداعية العصرية التي تحمي الزائرين من مختلف أحوال الطقس القاسية.

وتشمل المدينة تحفًا هندسية عجيبة وفريدة من نوعها، وتضمّ كل زاوية من زواياها معالم تخلب ألباب السياح.

ويفاخر الشعب بهويته الإسلامية، ولا ينسى أهل كازاخستان أيضًا أن يذكروا الزائر بأن بلدهم مهد الإمام الترمذي والفيلسوف والطبيب المسلم الفارابي الذي ولد في فاراب جنوب كازخستان وتزين صورته العملة الكازاخستانية.

ارتبط اسمها باكتشافات النفط والغاز وثروات من الذهب وزراعة القمح، كما أنها تضم محطة "بايكونور" لإطلاق المركبات الفضائية، شريان البرنامج الفضائي الروسي.









وتعكس أستانا صورة كازاخستان الطموحة. وتحمل لقب أبرد عاصمة في العالم بعد العاصمة المنغولية "أولان باتور"، وقد تصل درجة الحرارة في الشتاء إلى 35 درجة تحت الصفر، بينما يعد شهر يوليو أكثر شهورها سخونة.

لم ينتبه العالم ومعه المسلمون إلى هذه المدينة الجميلة إلا باحتضانها أعمال المؤتمر الثامن والثلاثين لمنظمة التعاون الإسلامي في يونيو 2011، ليكتشف العالم هذه المدينة الفريدة المذهلة التي تجمع ما بين التصميم الأوروبي الحديث ووئام الذوق الشرقي الذي لا ينفصل عن الروح الآسيوية، مدينة شابة كان ينظر إليها منذ زمن قريب فقط كعاصمة جديدة لدولة قديمة، أما اليوم فهي في جزء لا يتجزأ من الصورة الجديدة لكازاخستان البلد الذي يمضي قدمًا في اتجاه القرن الحادي والعشرين.

ومن أبرز المعالم والأنشطة

– عليك زيارة خان شاطر أو الخيمة الملكية، المول الأسطوري في أستانا الذي يجسد شكل خيمة عملاقة. يمتد على مساحة 150 ألف متر مربع أي ما يزيد عن مساحة عشرة ملاعب لكرة القدم، ويرتفع لـ 150 مترًا، وصنع سقفه من مادة البوليمر الشفافة المحمولة على شبكة من الكابلات.

يُعد المول أحد أبرز رموز المدينة. هنا، يمكنك التسوق، أو احتساء كوب شاي والاسترخاء في أحد مطاعم ومقاهي خان شاطر التي لا تُعدّ ولا تُحصى. حتى أنه يمكنك التخيل أنك على الشاطئ في نادي سكاي بيتش الداخلي. تحتوي هذه الحديقة المائية التي بُنيت لهذا الغرض، على رمل حقيقي تم استيراده من جزر المالديف الاستوائية، بالإضافة إلى أجواء يتم التحكم بدرجات حرارتها.

– اكتشف تاريخ كازاخستان في متحف كازاخستان الوطني. يقع المتحف في وسط أستانا، وتحديدًا في ساحة الاستقلال. وهو يُعد أكبر متحف في آسيا الوسطى. تكشف صالاته السبع النقاب عن تاريخ البلاد القديم خلال العصور الوسطى، فضلاً عن فنونها وثقافتها الحديثة.

– إذا كنت من عشاق الطبيعة، فيتسنى لك فرصة الانطلاق في مغامرة بجانب البحيرة، وتحديدًا في متنزه بورلباي الطبيعي الوطني.

يقع هذا المتنزه على بعد 200 كيلومتر شمالي أستانا. خصّص بعض الوقت لزيارة هذا الموقع المذهل لتستمتع بمناظر تخطف الأنفاس لتلال مترامية الأطراف وغابات الصنوبر الآسرة. في أشهر الربيع والصيف، تجوّل في بحيرة بورلباي وتمشَّ في الغابات وقم بزيارة حديقة الحيوانات المجاورة. أما في أشهر الشتاء، فبإمكانك صيد السمك على الجليد، وممارسة رياضة التزلج وركوب المزالج على الثلج.

ولعشاق الطعام حصّتهم أيضًا، فثمة وفرة من الفرص بانتظارهم لتذوّق مأكولات كازاخستان التقليدية.

ومن أجمل المباني التي يمكنك زيارتها في أستانا مبنى قاعة الحفلات المركزية من تصميم المهندس المعماري الإيطالي مانفريدي، وتتخذ شكل زهرة ذات ثلاث بتلات زجاجية.



مهرجان "البوكيرك" الدولي للبالون



حسن محمد النعمي

يُعد مهرجان "البوكيرك" عيد سنوي لبالونات الهواء الساخنة، يقام بمدينة بوركيرك التي تقع في ولاية نيو مكسيكو في الولايات المتحدة الأمريكية، ويقام في أوائل شهر أكتوبر/تشرين الأول من كل سنة، وهو أكبر مهرجان للبالونات في كل أنحاء العالم، إذ يشارك فيه كل سنة ما يزيد عن 500 منطاد، وبعض هذه المناطيد تحمل علم الولايات المتحدة الأمريكية، كما تحمل مناطيد أخرى أعلام باقي الدول، ويتم استخدام شكل المنطاد للترميز للدول المشاركة.

ويعد هذا المهرجان واحد من أكبر مناطق الجذب السياحي للبوكيرك ويشكل مصدرًا رئيسيًّا للدخل للمدينة والشركات المحلية.

تجتمع البالونات في ميدان كبير يكفي لصعود 208 بالونًا في وقت واحد، وخلال عملية الصعود الجماعي تنطلق البالونات في موجتين.

يتم إطلاق العديد من البالونات الغير تقليدية، على أشكال وتصاميم فريدة في الوقت نفسه، وتأتي البالونات على عدة تصاميم فمنها على شكل قلعة وتنين ذو شكل مخيف وعلى شكل بوابة براندينبرج في برلين، وتضيء أعداد كبيرة من البالونات في الليل من خلال شعلات البروبان، ويتجمع أصحاب البالونات وهواة المشاهدة القادمين من عشرات البلاد منذ عقود للتمتع بهذا المهرجان.

وعادة السياح والزوار في هذا المهرجان يلتقطون الآلاف من الصور للبالونات، لذلك ليس من المستغرب أنه لعدة سنوات كان المهرجان برعاية شركة كوداك وأعطيت لقب، كوداك مهرجان كوداك البوكيرك الدولي للبالونات، على الرغم من هذا العنوان كان عادة ما تستخدم فقط في الإعلانات المطبوعة وعلى التذكارات الرسمية.

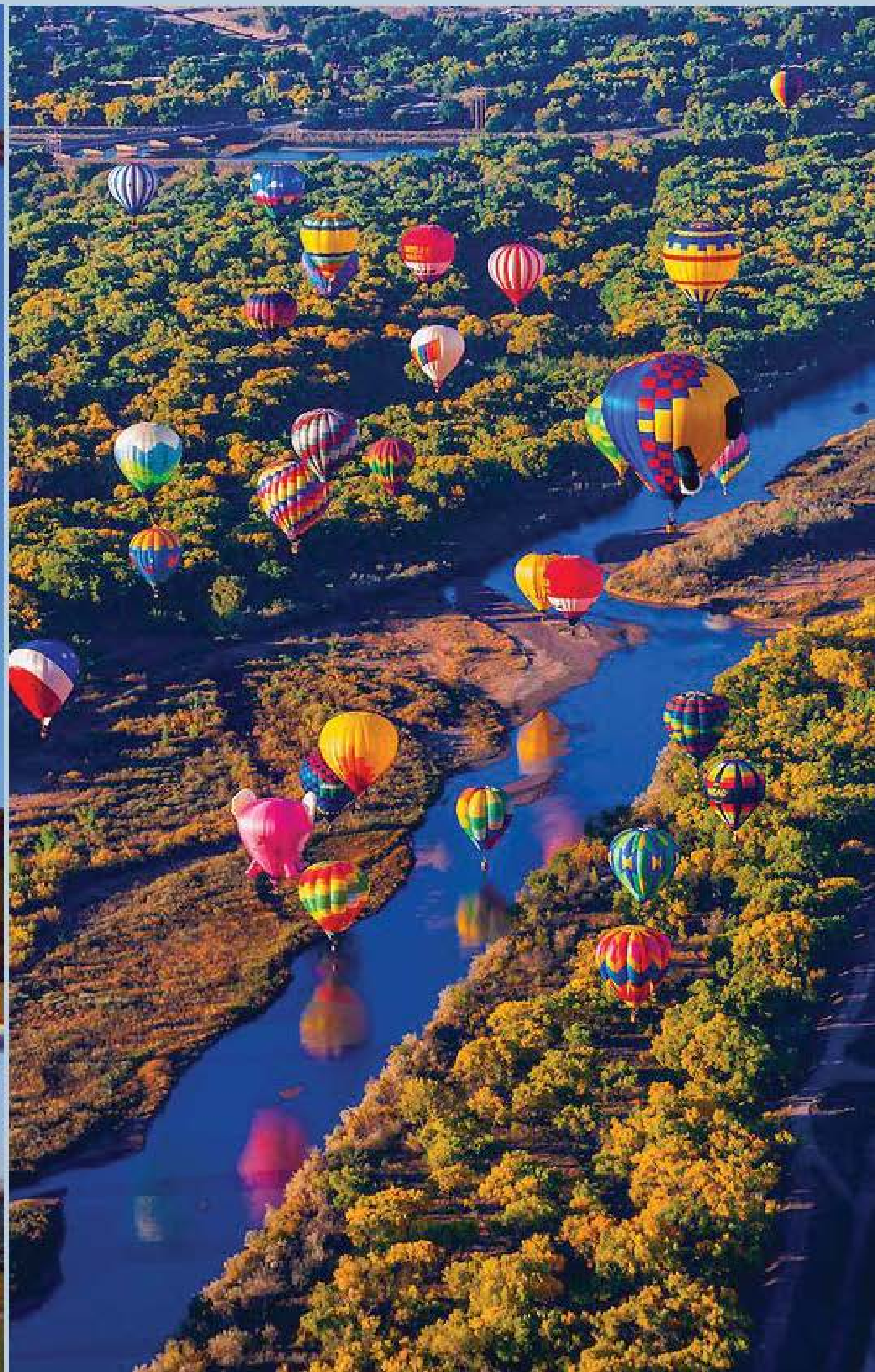
البداية:

في عام 1972 بدأ مهرجان البالونات بتسليط الضوء على الاحتفال بعيد ميلاد الـ 55 لإذاعة راديو كوب 770 عندما طلب مدير المحطة الإذاعية ديك ماكي من سيد كوتر صاحب شركة "كوتر فلاينج سيرفيس" وأول شخص كان يمتلك بالونًا للهواء الساخن في نيو مكسيكو بإمكان الإذاعة أن تستخدم هذا البالون الذي يستخدم الهواء الساخن الجديد كجزء من الاحتفالات مع إمكانية جلب 19 بالونًا من إنجلترا.

انتهى المهرجان الأول بمشاركة 13 بالونًا وذلك في 8 أبريل 1972، برعاية راديو كوب، وكان الحدث الأول وقع في موقف للسيارات من مركز كورونادو للتسوق وحضره حينها 20.000 متفرج.

ويقع مهرجان البالونات الذي تم إطلاق البالونات منه على الحافة الشمالية للمدينة.

في عام 2005، تم افتتاح متحف البالكورك الدولي للبالون في أندرسون- أبروزو البوكيرك.







"نافورة جدة" هدية ملك لشعبه





تربعت نافورة جدة منذ انطلاقها في عام 1985 على مصاف الشهرة العالمية، كأحد أبرز المعالم السياحية التي تمتاز بها السعودية على شاطئ البحر الأحمر وعلى مستوى العالم، حيث مثلت النافورة العريقة متعة بصرية أفقية تتم مشاهدتها من جميع أرجاء المدينة.

وتعود قصة النافورة، إلى العام 1980، وذلك عندما أراد الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله، بناء نافورة تكون بمثابة هدية لسكان المدينة وزوارها، ورغم أن الفكرة تمثلت في البداية ببناء نافورة طولها 120 مترًا، بحيث تكون مكملة لحديقة قصر السلام – مقر الحكومة بجدة – لكن العاملين فكروا في تحويلها إلى عمل فريد من نوعه تتميز به المدينة، ويترك ذكرى جميلة لدى سكانها وزوارها، وتقرر أن تكون النافورة «الأكبر عالميًا».

أنشئت نافورة الملك فهد بجدة بين عامي 1980 و1983 وتم تشغيلها على صورتها الحالية في 1985، حيث يزيد وزن الماء المدفوع في الهواء على 18 طنًا، ويصل وزن الكتلة المحمولة جوًا حوالي 16 ألف كيلوجرام. ويبلغ ارتفاعها 312 مترًا أو ما يعادل 1024 قدمًا، وهو ما يعادل ارتفاع تمثال الحرية الأمريكي، و ارتفاع برج إيفل الفرنسي و أطول من الهرم الأكبر في مصر، مما عُدت معه النافورة أطول نافورة من نوعها في العالم بحسب موسوعة غينيس للأرقام القياسية.

وتدفع مضخات النافورة 4000م مكعب من الماء بصورة متواصلة، وتظل في الهواء مكونة هالة ضبابية تزيدها ألوان الإضاءة ليلاً سحرًا وجمالاً.

وتعد نافورة "جيت واي جيسر" في سانت لويس في الولايات المتحدة، ثاني أطول نافورة في العالم إذ يصل طولها إلى 192 مترًا أي 630 قدمًا، أي ما يقرب نصف ارتفاع نافورة الملك فهد.

وصنعت قاعدة النافورة على شكل مبخرة عربية ترمز للأصالة العربية، والتي نصبت على بعد 90 مترًا من الجزيرة المتصلة بقصر السلام.

لم يكن هناك نموذج سابق لنافورة عملاقة تقام في المياه المالحة، إذ كانت نافورة جدة أول تجربة بالعالم، وحرصًا على عدم تآكل المعدات بسبب استخدام المياه المالحة في عملية الضخ فقد تم تصنيع النافورة بتكنولوجية متقدمة.

كما تم وضع مرشحات لتنقية مياه البحر من العوائق قبل وصولها للمضخات التي صممت بقوة طائرة نفاثة، حيث تضخ بسرعة 233 ميل/ساعة، فيما تضاء النافورة بـ 500 كشاف عالي الإضاءة ذو قدرة عالية مصمم لتحمل السقوط المستمر لآلاف الأطنان من الماء مزروعة في خمس جزر صناعية بنيت خصيصًا لهذا الغرض، ولا تتوقف النافورة عن العمل كليًا إلا في أوقات الصيانة السنوية، وفي أحيان نادرة عندما تأتي الرياح عكس الاتجاه.

في 17 فبراير 2010، نجح بطل فريق ريد بُل أير فورس Red Bull Air Force العالمي للقفز المظلي الأمريكي أوثار نورانس (35 عامًا) في تحقيق إنجاز عالمي فريد من نوعه من خلال قفزة تاريخية على امتداد طول نافورة جدة.



ما الذي دفعك لإدمان التقنية؟

عصر التكنولوجيا، وسهولة الوصول، والبقاء متصلاً أطول وقت ممكن. لقد أصبحنا مجموعة من الأجهزة التي تمارس حياتها الطبيعية في العوالم الافتراضية.

نحن نتشارك صور الوجبات قبل تناولها، والنشاطات قبل أدائها، أصبحنا نمارس حياتنا كاملة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي والانترنت.

كتب "توني شوارتز" في صحيفة نيويورك تايمز "كل من أعرفه مدمن بطريقة أو بأخرى على الانترنت"، إنها شكوى منتشرة هذه الأيام.

هناك تيار مستمر من المقالات والعناوين تتهم الانترنت وتطبيقاته ومواقع التواصل الاجتماعي والألعاب عبر الانترنت بأنها سبب من أسباب الإلهاء والإدمان، ولا يوجد مجال للشك أن كل من يستخدم الانترنت يجد صعوبة بالغة في تركه.

فقط انظر لمن حولك، البشر أصبحوا مهووسين بأجهزتهم كأنهم ملتصقون بها، لا يتركونها ولا يرفعون رؤوسهم عنها، وكثير منا مثل "شوارتز" يجد صعوبة في المهام التي تحتاج إلى التركيز، ولكن الأمر سهل إن أردت أن تتفاعل في إحدى وسائل التواصل الاجتماعي.

علق أحد قارئي مقالة "شوارتز" بأنه على الرغم من قراءته للمقالة إلا أنه اضطر لترك القراءة 6 مرات على الأقل من أجل أن يتفقد بريده الالكتروني.

هناك شيء مختلف في هذه التقنيات، فهي منتشرة، ومقنعة للاستخدام، وتستحوذ على الاهتمام، ولكن من المتسبب في خطأ الإفراط في استعمالها؟

للجواب عن هذا يجب أن نفهم الأشياء التي نتعامل معها، هناك أربعة أطراف مسؤولة عن هذا الإدمان، وذلك وفقًا لموقع "Nir & Far"، وربما لا تكون هي نفسها التي تتوقعها.

1 - التكنولوجيا:

التكنولوجيا نفسها وصانعوها هم أسهل المشتبه بهم من أجل لومهم على صنع المشتتات التي تنقص التركيز.

يقول "نيكولاس كار": إن الانترنت صمم ليكون نظام مقاطعة، آلة مجهزة لتشتيت الانتباه، وإن الخدمات المتوفرة على الانترنت مثل فيس بوك ويوتيوب وتويتر وانستقرام وغيرها يطلق عليها سادة التحايل، فهي تنتج بضائع جيدة لا يستطيع الناس التوقف عن استعمالها.

ويضيف "كار": بعد دراستي لهذه المنتجات لسنوات عدة ألفت كتابًا حول كيفية فعلها هذا الأمر، وتعلمت أنها تبدأ من نموذج الأعمال، وبما أن أغلب هذه الخدمات تعتمد على عائدات الإعلانات، فإن زيادة استخدام الناس لها تزيد من كسب صانعها، ولا عجب أن هذه الشركات توظف فريقًا مهمته التركيز على هندسة خدماتها وتحسينها.

ويختتم كار حديثه بقوله: "إن هذه المنتجات والخدمات لا تسبب الإدمان بمحض الصدفة، بل بحسن التصميم، إن لديها حافزًا لجعلنا نستخدمها دومًا".

ومع ذلك وعلى الرغم من حسن هذه الخدمات، هناك طرق بسيطة يمكن اتباعها للبقاء على مسافة منها. فنحن بعد كل هذا لم نحقن في الوريد بالانستقرام، ولم نستنشق أدخنة الفيس بوك. نستطيع على سبيل المثال أن نغير مدى ظهور تلك التنبيهات الملهية التي تدفعنا للاطلاع على التحديثات في كل مرة.

ووفقًا للرئيس التنفيذي لشركة كاهونا آدم ماركل، فإن أقل من 15% من مستخدمي الأجهزة الذكية يغيرون إعدادات التنبيهات، هذا يعني أن نحو 85% من المستخدمين يبقون على الإعدادات الافتراضية التي تنبههم لكل شيء.

شركتا قوقل وأبل المهيمنتان على أنظمة تشغيل الهواتف المحمولة جعلتا صعوبة في ضبط هذه الإعدادات، فالأمر يعتمد علينا لاتخاذ خطوات تضمن ألا تلهينا هذه الأشياء عن عملنا.

2 - رئيسك في العمل:

بينما تحصد شركات مثل فيس بوك أرباحها من الإعلانات، هناك تقنيات أخرى لا تتبع هذا الأسلوب، خذ البريد الالكتروني على سبيل المثال.

الشركات لا تهتم غالبًا بكثرة أو قلة استخدامك له، على الرغم من أن البريد الالكتروني هو أكبر سبب في الإدمان. إننا نطلع على البريد طوال ساعات النهار ومتى استطعنا ذلك قبل بدء الاجتماعات، وعند الغذاء، وعند الإشارة الحمراء.

أصبنا بالهوس، لكن لمَ؟ لأن هذا ما يريده رئيسك في العمل. فالبريد الالكتروني هو الأداة الرئيسية لشركات الاتصال، فبطء استجابتك يضر بسمعتك، ولسوء الحظ، هذا التعلق بالتقنية يترك مجالاً ضيقًا للأعمال التي تحتاج لتفكير عال وعميق.

بيئة العمل الحقيقية التي تتطلب الإبداع، ومهارات حل المشاكل، لم تعد موجودة في المكاتب بل في البيت حين ينام الأطفال. "كال نيوبورت" الأستاذ المساعد في جامعة جورج تاون يسمي هذا العمل العمل العميق.

وفي كتابه الذي يحمل الاسم نفسه، يقول: "العمل العميق هو أن تركز على مهمة تتطلب قدرًا معرفيًا لا بأس به، وبلا تشتيت انتباه، بينما الأعمال السطحية هي تلك الأعمال المنطقية في طبيعتها والتي لا تحتاج كثيرًا من التركيز. إن النقاشات عبر رسائل البريد الالكتروني مع الزملاء تعد أعمالاً سطحية".

ينصح "نيوبورت" الناس بنقاش نسبة الأعمال العميقة والسطحية مع أرباب العمل، وحاول أن تجعل رئيسك يلتزم برؤية، مثلاً أن يكون نحو نصف الوقت عملاً متواصلاً، وباقي الوقت للمهام السطحية.

يكمل "نيوبورت" قوله: عندما يرون كمية الوقت الذي تقضيه محاولاً الوصول إلى نتائج حقيقية، فإنهم سيعيدون التفكير بالأمر ويقولون: حسنًا، شيء ما يجب أن يتغير.

3 - الأصدقاء:

فكر في هذا المشهد المألوف: أناس يجلسون حول طاولة، مستمتعون بالطعام والرفقة، هناك مزاح خفيف وضحكات، ثم في فترة سكون وجيزة يخرج أحدهم الهاتف النقال؛ ليطلع على شيء ما، بالكاد يلاحظه أحد، ويمر الأمر دون أي تعليق الآن.

في المشهد نفسه، تخيل أن أحدهم تجشأ بصوت عال، كل الحاضرين سيلاحظون ذلك، وسيعد ذلك التصرف غير لائق، لأن هذا التصرف الفظ يخالف أساسيات الذوق العام.

على الشخص أن يتساءل: لم لا نتفق جميعنا على أن نجعل إخراج الهاتف خلال المناسبات الاجتماعية وعند الوجبات من العادات السيئة المخالفة للذوق العام والآداب؟ بطريقة أو بأخرى نحن نتقبل الأمر ولا نقول شيئًا حتى لو أزعجنا الموضوع.

الحقيقة هي أن استعمال أحدهم هاتفه في وقت غير لائق هو أسوأ من التجشؤ، لأن تفحص الأجهزة الذكية أمر معد، فما إن يطالع أحد هاتفه حتى يشعر الآخرون بالرغبة في الشيء نفسه، وحينها يبدأ تفاعل السلسلة، ويبدأ الجميع باستخدام الأجهزة، ويقل الحديث، وتصبح أنت الوحيد الذي لا يقرأ رسائل البريد ولا يطلع على تحديثات تويتر.



من وجهة نظر اجتماعية إن استعمال الهاتف في تلك الأوقات هو أقرب ما يكون إلى عادة سيئة أكثر من التجشؤ، هواتفنا مثل السجائر بالنسبة للمدخنين، عندما يتسلل إليهم الملل يشعرون أن أصابعهم المتململة بحاجة لشيء تعبث به.

إن رؤية الآخرين يستمتعون بأمر ما أو يسترقون النظر، لهو أمر مغر جدًا ولا يمكن مقاومته. التقنية ورب العمل والأصدقاء، كلهم يؤثرون على مدى تعلقنا بالتقنية وإفراطنا في استخدامها.

ولكن لا يزال هناك شخص آخر يستحق التأمل، بحسب "شوارتز" هو "شوارتز" نفسه، ويقول: أنا أعترف بأنني وعلى الرغم من أن مهنتي هي دراسة تأثير التقنية على السلوك، فإني أجد صعوبة في التخلص من قيود التقنية، فأنا متصل بالإنترنت لوقت أطول مما أود، ومن المعتاد أن نجد أنفسنا هاربين ومستمتعين في مواضيع أخرى غير المهام التي نريد الانتهاء منها. وأردت أن أعرف لماذا؟

بدأت الرصد الذاتي لنفسي في محاولة لفهم سلوكي، وذلك عندما اكتشفت حقيقة غير مريحة، أنا أستعمل التقنية للهروب مما أنا فيه، أي عندما أفعل شيئًا لا أرغب في فعله، أو أكون في مكان لا أحبه، فإني أستعمل الهاتف لأنقل نفسي إلى عالم آخر.

لقد وجدت أن هذا الأمر جيد في الغالب، مثل إضاعة الوقت في الحافلة، لكن في كثير من الأحيان لم يكن استعمالي للتقنية أمرًا جيدًا، فعندما أواجه عملاً صعبًا، مثل التفكير في مقالة ما، أو تنقيح إحدى المسودات للمرة المئة، فإن هناك شاشة شريرة تسحبني إليها، أستطيع بكل سهولة الهروب من تلك المصاعب، وذلك بأن أرد على رسائل البريد أو بتصفح الانترنت تحت ذريعة ما يسمى البحث.

وعلى الرغم من أني أرغب بشدة في أن أضع اللوم على شيء آخر، إلا أن تلك العادات السيئة قليلة التعلق بالتقنية، كثيرة التعلق بطبيعة المماطلة والتسويف.

من السهل اتهام التقنية بأنها أداة من أدوات التشتت، لكن التشتت ليس بالشيء الجديد، ناقش أرسطو وسقراط طبيعة الانجرار لفعل أشياء ضد مصالحنا.

وإن كنا صادقين مع أنفسنا فإن التقنية ليست إلا شيئًا نملأ به الوقت والعقل، بعبارة أخرى إن لم نمسك الهاتف فإننا على الأغلب سنكون عندها نفعل أشياء مشابهة في عدم الفائدة.

إن التقنية الشخصية ملتصقة بنا أكثر من أي وقت مضى، ولا شك بأن الشركات تبذل قصارى جهدها لجعل منتجاتها أكثر جاذبية، لكن السؤال هو: هل نرغب نحن في أن يتغير هذا الشيء؟

إن النتيجة المراد الوصول إليها هي أن يستعملها الناس أكثر، وهذه ليست مشكلة بالضرورة، بل هو تقدم. ولكن هذه التحسينات لا تعني أننا لا يجب أن نتحكم في قدر استعمالنا للتكنولوجيا.

وللتأكد من ألا تتحكم بنا يجب أن نتصالح في أنها ليست في حد ذاتها المسؤولة عن تصرفاتنا. فثقافة العمل، والعادات الاجتماعية، وطبيعة وتصرفات المرء تلعب دورًا في ذلك. ولوضع التقنية في مكانها الصحيح فإنه يجب أن ننتبه ليس لتغيير التقنية فحسب، بل لطريقة تغييرها لنا.

المصدر: nirandfar.



كيف تغير العالم دون أن ينتبه أحد؟

حالة الإنكار قد لا تمر بشخص واحد حين يكون عقله غير جاهز لمواكبة المعرفة المطروحة، بل قد تمر بشريحة مجتمع كامل، أو ربما بمرحلة تاريخية بحسب القصة المنشورة في موقع "Collaborative Fund"، والتي أورد فيها هذه التفاصيل:

هل تعرف ما الذي حدث في هذه الصورة؟ إنه حرفيًا أحد أهم الأحداث في تاريخ البشرية، ولكن إليك أكثر شيء مدهش في القصة، في ذلك الوقت القليل انتبه لما حدث، حين تمكن كل من الأخوين "ولبور وأورفيل رايت" من التحليق في الـ17 من ديسمبر عام 1903.

القليل من الاختراعات كان لها التأثير الجذري نفسه في القرن التالي، تطلب الأمر أربعة أيام للسفر من نيويورك إلى لوس أنجلوس في بداية القرن الـ20 بواسطة القطار.

بحلول الثلاثينيات، كان من الممكن إنجاز الرحلة في غضون 17 ساعة جوًا، وبحلول 1950، كانت الرحلة تستغرق 6 ساعات فقط.

على الرغم من أن الطيران ليس معقدًا، إلا أن فكرة رجل في صندوق يطير كانت عجيبة للغاية، ولكن بعد مرور أيام وأشهر بل وحتى سنوات من تحليق الأخوين رايت، بالكاد لاحظ أحد الأمر، حتى إن الصفحة الأولى لصحيفة نيويورك تايمز في اليوم التالي للرحلة الأولى لم تذكر ولا كلمة عن الأخوين رايت، وبعد يومين من الرحلة أيضًا لم تذكر الصحيفة شيئًا عن الرحلة، وبعدها بثلاثة أيام كان الأخوان رايت يقومان بمحاولتهما الرابعة التي استمرت نحو دقيقة، ولم تذكر الصحيفة شيئًا.

ومرت أربعة أيام ثم خمسة ثم ستة، فستة أسابيع، فستة أشهر، دون أن يرد ذكر اسم الرجلين اللذين اقتحما السماء لأول مرة في تاريخ البشرية.

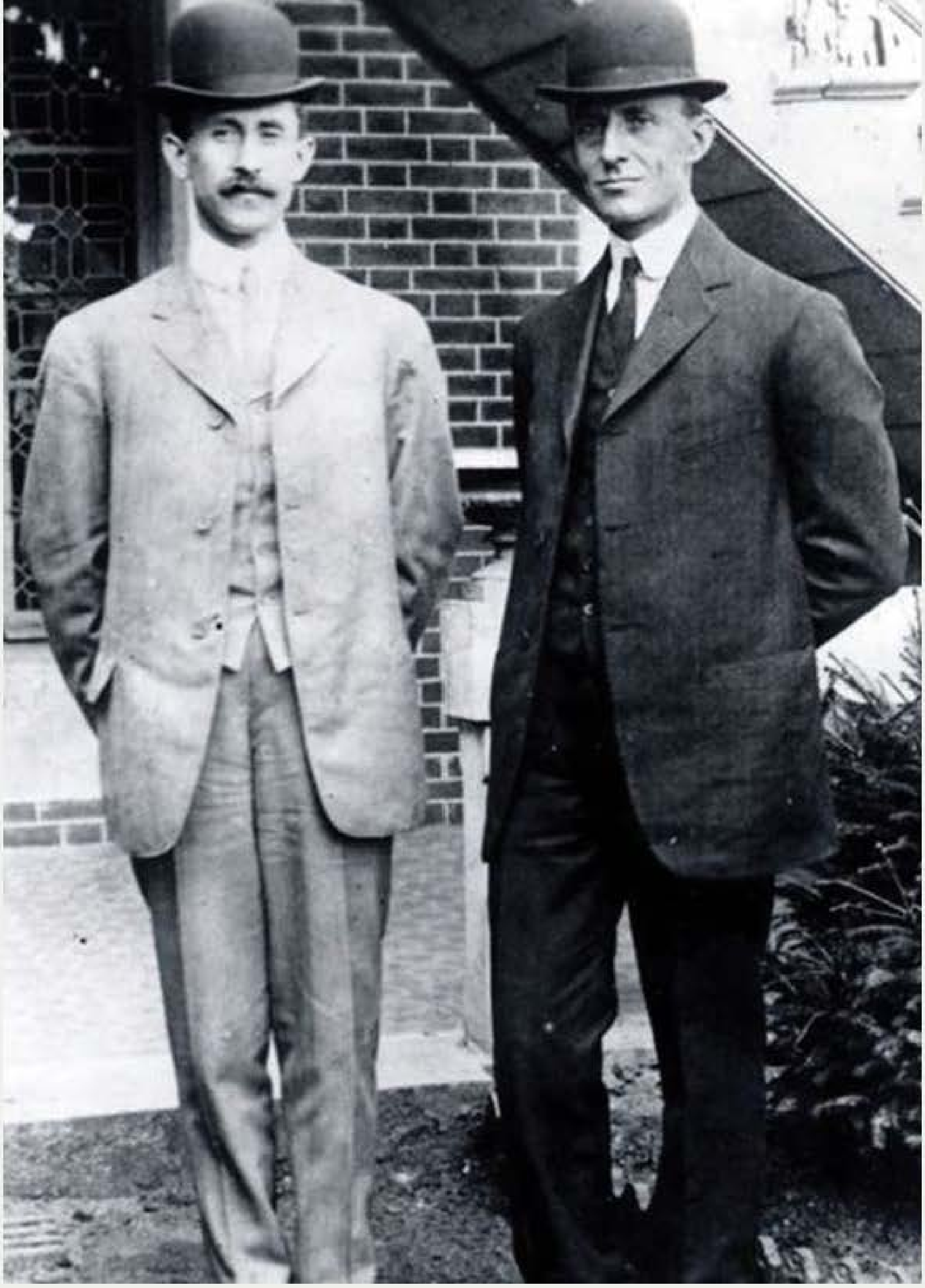
مكتبة الكونجرس تحتوي على أوراق تكشف سرين مهمين: الأول أن أول ذكر للأخوين رايت في صحيفة النيويورك تايمز كان في عام 1906، أي بعد ثلاث سنوات من الرحلة الأولى.

الثاني، هو أن الصحيفة سألت عام 1904 مختصًا في صناعة المناطيد حول إمكانية أن يطير الإنسان ذات يوم، فأجاب بالقول "في المستقبل البعيد جدًا"، وكان ذلك بعد مرور عام على أول رحلة للأخوين رايت.

كتب "فريدريك لويس ألين" في كتابه الذي صدر عام 1952 بعنوان التاريخ الأمريكي: مرت سنوات عدة قبل أن يستوعب الناس ما كان يفعله الأخوان رايت، كانوا مقتنعين أن الطيران مستحيل لدرجة أن معظم من رأوهما يطيران لأول مرة في دايتون بأوهايو في عام 1905 ظنوا أن الأمر حيلة.

ظل الأمر على هذه النحو حتى مايو عام 1908، أي بعد نحو أربع سنوات ونصف السنة من محاولة الأخوين رايت الأولى، فأرسلت تقارير لمراقبة ما كانا يفعلانه، واستيقظ العالم في نهاية المطاف على حقيقة أن الإنسان قد طار بنجاح.

تبرز هذه قصة أمرًا شائعًا، وهو أنه عادة ما يكون هناك فجوة كبيرة بين تغيير العالم وإقناع الآخرين أنك قمت



أورفيل (يسار) وويلبور رايت

بتغيير العالم.

قال جيف بيزوس ذات مرة "يتطلب اختراع أمر ما الاستعداد على المدى الطويل لأن يساء فهمك. أن تفعل شيئًا تؤمن به ولديك قناعة حوله، ولكن لمدة طويلة من الزمن قد ينتقد ذوو النوايا الحسنة هذا الجهد. إذا كان لديك قناعة أنهم ليسوا على حق، تحتاج إلى أن يكون لديك استعداد طويل الأجل ليساء فهمك. إنه جزء رئيس من الاختراع."

إنها رسالة مهمة. فالأشياء التي تعجب الناس على الفور عادة ما تمثل انحرافات بسيطة عن المنتجات القائمة. إننا نحبها لأنها شائعة. فأكثر المنتجات ابتكارًا والتي تغير العالم عادة ما يساء فهمها في البداية، حتى من قبل الأذكياء من الناس.

حدث هذا مع الهاتف. حاول ألكسندر جراهام بيل بيع منتجه إلى وسترن يونيون التي ردت سريعًا بالقول: هذا الهاتف به كثير من العيوب حتى يعد وسيلة اتصال. إن هذا الجهاز ليس ذا قيمة لنا. كيف يمكن للشركة أن تستفيد من هذه اللعبة الالكترونية؟

حدث ذلك مع السيارة. قبل 20 سنة من إقناع هنري فورد العالم بأنه اخترع شيئًا، نشر الكونجرس مذكرة يحذر فيها بالقول:

"عربات بلا أحصنة تعمل بالبنزين بسرعات تصل إلى 14 أو حتى 20 ميلاً في الساعة. إن الخطر الذي يحيق بشعبنا من المركبات من هذا النوع التي تندفع خلال شوارعنا وطرقنا وتسمم الأجواء تدعو إلى اتخاذ إجراءات تشريعية فورية. إن تكلفة إنتاج البنزين تتخطى القدرة المالية للقطاع الخاص. وبالإضافة إلى أن تطوير هذه الطاقة الجديدة قد يحل محل استخدام الخيول، وهو ما من شأنه تدمير زراعتنا".

حدث ذلك مع صندوق المؤشر، وهو ببساطة الابتكار المالي الأكثر أهمية في النصف الأخير من القرن الماضي. وقد أطلق جون بوجل صندوق المؤشر الأول في عام 1975.

لم يبد أحد اهتمامًا بالأمر في العقدين التاليين. ثم بدأ يكسب شعبية شيئًا فشيئًا، وفي التسعينيات، أي بعد ثلاثة عقود على تأسيسه، انتشرت الفكرة كالنار في الهشيم.

يتكرر الأمر نفسه الآن مع الطباعة ثلاثية الأبعاد، والتي بدأت تشتهر في السنوات الخمس الأخيرة، لكنها ليست اختراعًا جديدًا تمامًا. فقد ذكرت في مقابلة مع المدير التنفيذي للأنظمة ثلاثية الأبعاد من عام 1989. وكما حدث مع عدد من الاختراعات، كانت هناك فجوة استمرت عقودًا بين اختراعها وتبنيها.

الحال نفسه ينطبق على الخلايا الشمسية، فقد اكتشفت الخلايا الكهروضوئية في 1876، وطرحت للبيع في الخمسينيات، ووضع الرئيس جيمي كارتر ألواحًا للطاقة الشمسية في البيت الأبيض في السبعينيات، لكنها لم تشتهر إلا في الألفية الجديدة.

تمر الاختراعات الكبرى بسبع خطوات:

1 – في البداية لا يسمع عنها أحد.

2 – ثم يسمع الناس عنك ويحسبونك مجنونًا.

3 – ثم يفهمون منتجك، لكن يعتقدون أنه لن ينجح.

4 – ثم ينظرون إلى منتجك على أنه لعبة.

5 – ثم ينظرون إليه على أنه منتج مذهل.

6 – ثم يبدؤون في استخدامه.

7 – ثم لا يتخيلون الحياة بدونه.

هذه العملية تستغرق عقودًا، ونادرًا ما تستغرق بضع سنوات فقط، وهنا تبرز ثلاث نقاط:

1 – يحتاج الأمر إلى عبقرية كبيرة لإحداث تغيير في العالم.

2 – يحتاج الأمر إلى شيء مغاير تمامًا حتى يتحلى المخترع بالصبر إلى أن يلاحظ الناس اختراعه.

إن الصبر ليس صفة قاصرة على رواد الأعمال فقط، لكنها عادة مطلوب التحلي بها، ولا سيما بالنسبة للمنتجات الاستثنائية. عندما يقاس الابتكار بالأجيال لا ينبغي قياس النتائج بالأشهر.

التاريخ قصة حقيقية عن كيف أن التغيير يمكن أن يكون طويلاً للغاية. سوق الأوراق المالية يحمل ويقدم قصة مذهلة عن الملايين من الناس الذين يتوقعون أن الشركات الحالية ستؤدي عملها بشكل سريع ومنظم، فالفجوة بين الواقع والمأمول تفسر الإحباط الخفي.

3 – الاختراع هو أول خطوات الابتكار، يقول البروفيسور في جامعة ستانفورد "يحتاج الأمر إلى 30 سنة حتى تتكون الفكرة الجديدة في ثقافة ما. فالتقنية لا تقود التغيير إنما هي مسؤوليتنا الجماعية للرد على البدائل والفرص التي تقدمها التكنولوجيا التي تحدث التغيير".

المصدر: Collaborative Fund